

رحلة في بلاد العربية السعيدة
من مصر إلى صنعاء

بقلم

نزيه مؤيد العظم

بكلوريوس آداب

الجزء الأول

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فقد كان بودى أن أجعل فاتحة هذه الرحلة فى البلاد العربية السعيدة صورة حضرة صاحب الجلالة أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين الامام يحيى بن الامام محمد حميد الدين ولكن جلالته وياللأسف لم يأذن لى كما انه لم يأذن لغيرى من الناس الذين زاروا صنعاء اليمن أن يأخذوا صورته، وليست هذه الصور التى راها لجلالته بين حين وآخر فى بعض الصحف والمجلات الا صورا خيالية وضعتها مخيلة مخترعيها وهى لاتشابه جلالته فى كثير ولا قليل ولكن مالا يدرك كله لا يترك كله لذلك استعضت عن وضع صورة جلالته بوضع صورة خط يده الشريف وقد التمست من جلالته أن يحرر لى ذكرى لزيارتى الى مارب والبلاد السبئية لتبقى كوثيقة تاريخية على مر الايام، وقد تكرم حفظه الله وتوج لى هذه الوثيقة التاريخية بعض الاسطر من خط يده الكريمة فجعلتها فاتحة لهذه الرحلة المباركة وهاأنذا أثبتها بالزنكوغراف فى الصفحة التالية .

وقبل أن أبدأ بوصف رحلتى فى البلاد العربية السعيدة ارفع الى حضرة صاحب الجلالة الجالس على عرشها شكرى الجزيل على العطف والعناية والرعاية الملكية التى شملنى بها كل مدة اقامتى فى اليمن

بسم الله الرحمن الرحيم

قد اذنا للهمام الاعز نزيه بك عافاه الله
بالعزم الى مارب وما اليها من البلاد السبئية
وعزم في حفظ الله وبلغ ما امله من ذلك
وعرض علينا بعض ما كان
غير معلوم لدينا
وحرر ٦ المحرم
١٣٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكرى زيارتي الى مارب والبلاد السبئية مصدقة بخط يد جلالة مولانا امير
المومنين الامام يحيي بن الامام محمد حميد الدين المتوكل على الله رب العالمين ومختومة
بخاتمه الكريم ايدهم الله امين
المحرم ١٣٥٥

قد ادنا للهمام الاعز نزيه بك عافاه الله بالعزم الى مارب وما اليها من البلاد السبئية وعزم فى حفظ الله
وبلغ ماأمله من دلك وعرض علينا بعض ما كان غير معلوم لدنا ٦ المحرم سنة ١٣٥٥

اهداء الـكتاب

الى حضرة والدىّ صاحب الجلالة أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين الامام يحى بن الامام محمد حميد الدين ، وصاحب الفضل والسعادة تقى بك المؤيد العظم

فى نفسى شجون زاخرة لاتعرب عنها الـكلمات واى لفظ صدر عنها فاتها معناه ومغزاه على حد قول الشاعر

الدهر لفظ وأنت معناه

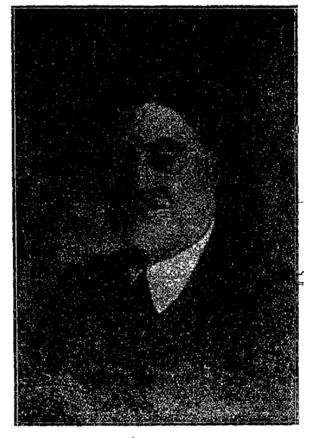
أحتزى بهذا واتقدم الى مقامكما بالتحيات الطيبات المباركات وجزيل الاخلاص والاكبار والاجلال



تقى بك المؤيد العظم



ر يه المؤيد العظم



المستر شارلس كرين

توطئة

عرفت المستر شارلس كرين المثرى الاميركى الكبير وصديق الشعوب المظلومة العظيم عندما قدم الى سورية بعد الحرب العالمية على رأس لجنة الاستفتاء التى أوفدها الحلفاء لدرس حالة البلاد العربية التى انفصلت عن الدولة العثمانية ولتقف على رغبات أهلها فى تقرير مصيرهم وقد قابلته يومئذ فى فندق دامسكوس بالاس بمدينة دمشق الشام وكان لى معه حديث طويل ومناقشات شديدة حول الانتداب إذ كنت

فى مقدمة الذين رفضوا الانتداب رفضاً باتاً بالرغم من جميع الدعايات التى كان يقوم بها مدعو الوطنيـة فى ذلك العهد الذين طلبوا انتـداب أميركا وان لم تـكن أميركا فبريطانيا ورفضوا انتداب فرنسا رفضاً باتاً ووصموا دون حياء أو خجل كل من يرفض الانتداب بانه من أصدقاء فرنسا تعجب المستر كرين من موقفى هذا وقال لى بصراحته المعروفة ولطفه المشهور انك أول شخص قابلته فى هذه البلاد من خريجى الجامعة الاميركية فى بيروت ومن القائلين برفض انتداب أميركا وغيرها من الدول ولـكنه سر من موقفى وصراحتى معـه وتمكنت عرى الصداقة بينـنا لاول اجتماع وأعطانى عنوانه وأخذ عنوانى وفى أواخر سنة ١٩٢٦ قابلته بمصر فى أثناء التجائى اليها بعد الثورة السورية فطلب الىّ أن ارافقه فى رحلة الى الحجاز واليمن فرضيت بالقيام بهذه الرحلة وبالفعل سافرنا فى آخر كانون الاول سنة ١٩٢٦ الى الحجاز فقضينا هنالك مدة فى ضيافة صاحب السمو الأمير فيصل السعود ثم ولينا وجهنا شطر اليمن الميمون ووصلنا اليه فى منتصف شهر كانون الثانى سنة ١٩٢٧ وحللنا ضيوفاً فى رحلتنا هذه على صاحب الجلالة الامام يحيى حميد الدين المتـوكل على الله رب العالمين وكنا كل مـدة مكثنا باليمن موضع حفاوته وعطفه وقابلناه مرارا وأوضح له المستر كرين عن الاستعمار والمستعمرين الشيء الـكثير وقدم له من النصائح الثمينة ماجعلنى احترم هذا الرجل كثيراً وثبت لى بصورة أكيدة حبه للعرب وتفانيه فى نصرة الضعيف

وعقب عودتنا من اليمن طلب الىّ الـكثيرون من الاصدقاء الاوفياء أن أكتب لهم شيئا عن رحلتى هذه فكتبت بعض المقالات فى الجرائد المصرية والفلسطينية والسورية وفى تلك الاثناء ارتحلت الى اليمن ثانية وثالثة ودرست أحواله كثيراً فواصلت الكتابة عنه فى جريدة الحرية الدمشقية فصار لى من هذه المقالات وصف لرحلتى من أولها الى آخرها وقد حبذ الى كثير من اخوانى طبع هذه المقالات فى كتاب خاص ونزولا عند ارادتهم وضعت هذا الـكتاب ورائدى فيه وصف البلاد العربية السعيدة وصفاً صحيحاً كما رأيتها وشاهدتها وقصدى من ذلك الخدمة العامة والله من وراء القصد .

فى عرض البحر الاحمر

(عدن واهميتها التجارية والعسكرية)

قمت منذ بضعة أعوام برحلة من مصر الى صنعاء اليمن فركبت باخرة ايطالية من بور سعيد وعبرت بها قناة السويس تلك القناة العجيبة التى أبدعتها يد الانسان فقربت المسافات وسهلت المواصلات وجاءت معجزة من معجزات هذا الزمان ولكنها أوجدت ويالاسف بين بعض الشعوب أحقاداً ومنافسات لا محل لذكرها الآن ، وهى فى ذاتها حقيرة لصغر حجمها وضيقها ولكنها عظيمة بمركزها لانها الطريق المختصر الموصل بين الشرق والغرب .

خرجت الباخرة من القناة الى بحر الله الواسع ذلك البحر الذى سموه أحمر لوجود شعاب صخرية كثيرة تتخللها شعب مرجانية حمراء على بعض سواحله الصخرية كجدة وعدن والخليج العربى ويرى الانسان على سطح مياه هذه الشعاب فى معظم جهاتها أوراق نبات مائى لونها أحمر قاتم وربما كان لهذا النبات تأثير فى ما يعيش حوله من الاصداف الحمراء والاسماك المرجانية التى توجد بين الصخور بكثرة ويزعم البعض انه سمى البحر الأحمر لان الأنسان يشاهد قبل شروق الشمس وقت الجزر الذى يحصل يوميا لوناً أحمر قاتماً مشرباً بالزرقة ويظل كذلك الى ان يتصل بكتلة الماء الكبرى فى عرض البحر العظيم.

اجتازت باخرتنا هذا البحر فى أربعة أيام ولم تعرج فيها على ميناء واحدة من موانيه الكثيرة كينبع وجده على الساحل الاسيوى وبور سودان وسواكن ومصوع على الساحل الافريقى وذلك لان هذه البلاد ماخلا بور سودان مازالت منذ القرون الاولى على فطرتها الطبيعية فلا صناعة فيها ولا تجارة ولا تقصدها السفن الا فى أزمنة معينة وظروف خاصة وصلنا الى عدن وهى اليوم ميناء انكليزية بحت فى المساء ،

وبعد التفتيش الصحي والجمركي ومراقبة جوازات السفر سمح لنا بمغادرة الباخرة والنزول الى البر فدخلنا المدينة آمنين وقصدت تواً الى فندق كبير يسمى « جرند اوتيل » فوجدته على الطراز الاوروبي الحديث وجل ساكنيه من البريطانيين والاجانب . بكرت في الصباح فنزلت من الفندق وأخذت أطوف في ذلك القسم من المدينة الذي يقال له التواهي وهو مركز البريطانيين والاوربيين وبعض الهنود وقد عبدت طرقه تعبيداً جيداً وفرشت بالاسفلت وبنيت منازله على طراز يخفف وطأة الحر الشديد وغرست على جوانب الطرق بعض الحدائق وأقيمت ملاعب كرة القدم والتنس وغيرها من الالعاب الرياضية .



احد شوارع مدينة عدن

ومن ثم صعدت الى مدينة الوطنيين التي يقال لها بالانكليزية (كريتر) أي فوهة البركان وهي تبعد عن التواهي بضعة كيلو مترات فوجدتها منظمة تنظيما حسناً وفيها كثير من الوكالات الاجنبية التي تبتاع البن والجلود بكثرة وتعدهما للشحن الى الغرب. وأهل عدن خليط من الهنود والزنوج والصومال والعرب وتنحصر تجارة البلد في الهنود واليهود والغرباء ، ولا يزال السكان الاصليون متمسكين بعاداتهم القديمة وخرافاتهم الغريبة فقد شاهدت في أحد الأعياد موكباً يؤم بعض رجاله الناس

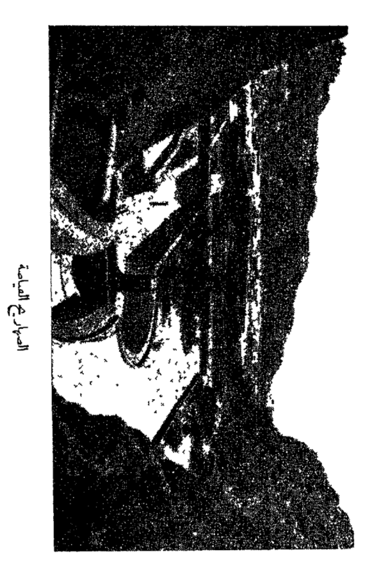
أنهم يأكلون النار ويسيرون فوقها ويضرب بعضهم أنفسهم بالخناجر والمدى ويقوم البعض بالرقص ولعب الخيل ويشترك فى حضور هذه الحفلات جميع الطبقات نساء ورجالا ، ومما يؤسف له أن ا كثرية الوطنيين العرب أصبحوا خداما للاجانب فلا يتعاطون من الاشغال الا الدنيئة كالخدمة فى المنازل وصيد السمك والحمالة ومسح الأحذية ونقل البضائع وخصوصا الفحم والكاز من السفن التجارية الى البر وفى الحقيقة ان عدن قاعدة للفحم تفد اليها جميع البواخر المارة بالبحر الأحمر لتمون نفسها منها. وعلاوة على انها قاعدة للفحم فهى ايضا قاعدة للحرب وقد أسس البريطانيون فيها مطاراً لطياراتهم يسيرونها الى اليمن ولحج وحضرموت وغيرها من البلاد المحمية كما أنهم أقاموا على جبالها العالية قلاعاً حصينة عززوها بالمدافع الضخمة لتدرأ عن عدن كل هجوم من البر والبحر وتحول دون اجتياز البواخر عند اللزوم مضيق باب المندب

ويوجد الى الجنوب الغربى من مدينة عدن سلسلة من الجبال العالية بنى الاقدمون بين شعابها السدود والصهاريج العظيمة يسع الواحد منها الالوف المؤلفة من الغالونات ويأخذ بعضها برقاب بعض فحينما يمتلئ الأعلى تفيض ميـاهه الى الاسفل وهكذا دواليك الى أن تمتلئ جميعها .

ويجرى الماء الى هذه الصهاريج من الأمطار التى تمطر فى الجبال فيبقى مخزونا فيها الى ايام القيظ فيستعمله الناس لقضاء حوائجهم

ويوجد على احدى الروابى القريبة من مدينة عدن هيكل أقامته طائفة من المجوس يصلون فيه ويضعون جثث أمواتهم على سطحه فتأتى جوارح الطير وتلتهمها بسرعة عظيمة

أقمت فى عدن عدة أيام انتظر باخرة تقلنى الى الحديدة وتسـافر عادة بين عـدن والحديدة بواخر صـغيرة كل عشرة أيام مرة وقد اسعدنى الحظ فركبت أفخر باخرة لدى شركة القهوجى (وهى شركة هندية للملاحة) واسمها افريقيا وحمولتها ٥٠٠ طن وتتقاضى هذه الشركة عن الراكب فى الدرجة الاولى ٤٥ روبية وفى الدرجة الثانية ٣٠ روبيـة وعلى الظهر عشر روبيات ، ولا تقدم الباخرة طعـاما لركابها بل جميعهم يزودن انفسهم بطعام كاف لسفر ثلاثة أو أربعة أيام ومع أن المسافة بين عدن



الصهارج الفماضة

والحديدة لا تزيد على ٢٣٥ ميلا تحتارها السفن الكبيره فى أقل مس يوم وسفيتنا احتارتها فى يومين ونصف يوم وقد قيل لنا انها تمق أحيانا خمسة أو ستة أيام اذا كان البحر مصطربا

الامير سيف الاسلام محمد

يستقبل ضيوفه خير استقبال

وبعد صراع عظيم بين السفينة والبحر أقبلنا على الحديدة وهي في الحق جميلة جداً من الخارج وكان الوقت صباحاً وقد القت الغزالة أشعتها الذهبية على جدران المدينة البيضاء فانعكست تلك الأنوار انعكاساً يأخذ بمجامع القلوب وكأن هذا المنظر الجميل لذّ لسفينتنا فأخذت تسير الهوينا وتقترب من البر ببطء لا مزيد عليه وذلك لأن عمق الماء



المرحوم محمد سيف الاسلام النجل الثاني للامام يحيى وعامله على التهامة والحديدة

كان يتناقص شيئاً فشيئاً والرياح تشتد اشتداداً عظيما وكان أحد بحارتنا يقيس عمق الماء بآلة خاصة كلما اقتربنا من المرفأ ولا أستطيع أن أسميه مرفأ لأنه حوض صغير يشبه حمامات البحر الاصطناعية في المدن الكبيرة ولا يمكن لأكثر من عشرين زورقا شراعياً أن تلتجىء اليه ابان الزوابع والعواصف

القت السفينة مرساها على مسافة بعيـدة من المرفأ خشية الأمواج الكبيرة التى كانت تتقاذفها وكنت منتـظراً أن تأتينا المراكب من البر حالا لأنى طيرت قبل يوم وصولنا برقية لاسلكية الى عامل الحديدة المرحوم محمد سيف الاسلام أنبئه فيها بمجيئنا ولـكن لسوء الحظ خاب ظنى ولم يأتنا أول مركب إلا قرب الساعة التاسعة والنصف ولم يحضر الطبيب عليها فلم يأذن لنا القبطان بالنزول فكتبت رسالة الى سيف الاسلام وأرسلتها مع ربان المركب وبينت لسموه فيها حقيقة الخبر فذهب الربان بها اليه وبعد قليل شاهدنا المراكب الشراعية تتطاير الينا على جناح الريح فامتطينا احداها وسرنا باسم الله وكان ربانها يقودها بدقة غريبة كما يقود الفارس جواده وليس من العجيب أن يحسن البحار العربى هذا العمل لان الحديدة مشهورة منذ القديم بسفنها الشراعية وهم الى هذا اليوم يصنعونها بكثرة ولها عندهم أسماء متعددة مرتبـة بالنسبة لحجم المراكب فيقال لأصغرها الهورى ثم القطيرة فالزعيمة فالسنبك فالساعيـة فالبغلة فالسفينة . وما كدنا نبتعد بزورقنا الشراعى عن سفينتنا « افريقيا » حتى قابلتنا سفينة شراعية فأشار ربانها إلى رجل ألقى بنفسه منها فى اليم وأخذ يسبح بخفة ونقل نحونا فالتقطه بحارتنا وإذا به رسول سمو سيف الاسلام يحمل لى رسالة منه يقول فيها انه لم يأخذ برقيتنا اللاسلكية التى أرسلتها اليـه من الباخرة ويذكر ان الوصول الينا صعب بسبب شدة الرياح وانه أمر باعداد السنابيك وسيرها الينا رغم جميع الصعوبات وحرر الى قبطان المركب تحريراً خاصاً يأذن له فيـه بان يسمح لنا بالنزول الى البر رغم عدم مجىء الدكتور

فى ميناء الحديدة

وصلنا المرفأ والتعب قـد أنهكنا فنقلنا بعض الرجال من المركب الى البر حملاً على الاكتاف فقابلنى محمد افندى رضا مدير شرطة الحديدة وقال انه موفد من قبل الامير

محمدسيف الاسلام لاستقبالنا فصعدت واياه الى مقر سمو سيف الاسلام فتبادلنا التحيات الطيبــة والمجاملات المألوفة وشربنا شيئاً من القهوة ثم ذهبنا الى الدار المعدة لــنزولنا وأول شيء لفت نظرى فى الطريق بعض الدور المهدومــة فسألت مدير الشرطة الذى رافقنا الى الدارعن سبب انهيارها فقال هذا عنوان المدنية الغربية وأثر من آثارها الفنية فقلت أفصح ؛ فقال هذه بقايا ضرب الطليان والبريطان للمدينة فى سنة ١٩١٢ وسنة ١٩١٥ أى قبل الحرب العظمى وبعدها



ميناء الحديدة يرسو فيها أحد المراكب الشراعية

وصلنا الى الدار المعدة لــنزولنا فوجدناها داراً فســيحة ذات ثلاثة أدوار الدور الاول مخصص للحيوانات والثانى والثالث للسكنى وتشبه دورالحديدة بعض دورجدة فى الحجاز وجميعها مبنيــة بالحجر والكلس ذات نوافــذ كبــيرة وكثيرة لتــخفف وطأة الحر

جلست فى احدى النوافذ فرأيت منها مكتب المرحوم محمد سيف الاسلام حاكم الحديدة وهو قصر فخم ذو أربعة أدوار يرفرف على بابه علم أحمر اللون فى وســطه سيف وإلى جوانبه خمسة نجوم وهو علم الحكومة المتوكلية

طلبت إلى الطاهى أن يأتينى بكأس من الشاى (ويطلقون عليه فى اليمن كلمة شاهى) ولما جاءنيها الى شربتها مرغماً لان ماء الحديدة مالح ولا تذهب ملوحته حتى مع الشاى والسكر ، وبينما كنت جالساً اسرح النظر فى الحديدة وضواحيها وإذا رئيس البلدية يأتى لزيارتنا والترحيب بنا وبعد ما استراح قليلا وشرب الشاهى نزلنا بصحبته إلى المدينـة فطفنا فى أزقتها وشوارعها وأسـواقها فوجدتها صغيرة بالنسبة الى بلادنا ولكنها نظيفة وذلك بهمة رئيس بلديتها السيد عبدالقادر الشراعى وهو شاب فى مقتبل العمر ذكى ونشيط وشاهدت فى أثناء طوافى مخازن البن وهى عبارة عن جاملات كبيرة لهـا صحن فسيح فى أطرافها غرف كـبيرة تعمـل فى بعضها النساء فى تنظيف الـبن وتقشيره وتحضيره للخزن أو للشحن وصاحب المخزن يجلس عادة على كرسى كبير يشبه السرير على باب مخزنه يدخن أركيلتـه

وبعد الظهر دعانا سمو الامير رحمه الله لزيارته زيارة رسمية فى مقره فرحب بنا كما عهد فيـه من البشاشة واللطف وقال انه تلقى أوامر متعددة من مولانا الامام بوجوب اكرامنا والعناية بنا وتأمين راحتنا ، واعتذر لنا مقدما عما قد يبدر منـه أو من أهل البلاد من التقصير نحونا قائلا انهم لا يزالون على فطرتهم الطبيعية

العناية بزراعة البن والتنباك والقطن فى اليمن

الزامل أى النشيد الوطنى

بحثت مع سموه عن الزراعـة والصناعة فقال ان من أهم مزروعات اليمن البن والتنباك والحبوب لذلك فهو يهتم بها اهتماما زائدا ويعممها فى جميع البلاد الواقعة تحت نفوذه وحكمه وقد توصل بعد التجارب الـكثيرة الى غرس أنواع متعـددة من البن والتنباك فى جهة زبيد وغيرها من البلاد التى لم تـكن معروفة فيها فنمت نموا حسناً وقال ان جـلالة مولانا الامام يهتم جداً بغرس القطن ويجلب الـبذور من مصر واميركا وغيرهما من البـلاد وقد غنت هـذه الأنواع الجيدة الغريبـة عن البلاد نمواً

حسناً فى بعض الاصقاع وسيكثرون من غرسها تدريجياً كما جلب الامام بعض الآلات والأدوات لحلج القطن وأخــذ يشجع الشعب على غرسه ولا بد من أن يأتى يوم يعمم فيه زرعه فى جميع أطراف البلاد

هذا ولقد دهشنا من فخامة قصر سيف الاسلام وترتيبه وزخرفة أبوابه ونقوش نوافذه وزينة جدرانه بالآيات القرآنية والاشعار العربية ودهان سقوفه بأدهنة زيتيــة



محمد سيف الاسلام والى جانبه مؤلف هذه الرحلة وهما يفتشان ترعة زراعية

لم أشاهد مثلها فى جميع دور الحديدة واليمن فسألت أحد الاهلين عن أمر هذا القصر فقال : بنى هذا القصر أحد أغنياء حضرموت الذى جاء الحديدة كتاجر . ولما طاب له المقام فيها استوطنها وجاب العمال الذين بنوه له من خارج اليمن فجاء آية فى الابداع بالنسبة إلى دور اليمن وقصورها

وقد زارنا أمير جيش الحديدة (أى قائد الجيش العام) القائمقام العسكرى سليم بك فاحورى فسألته عن أصله وعن المدرسة التى تلقى فيها دروسه العسكرية فأجاب : ان أصله من الناصرة من آل الفاحورى وانه درس العلوم العسكرية فى القسطنطينية وبقى فى تركيا ١٤ عاما ضابطا وبعدها جاء الى اليمن وكان كل مدة الحرب العظمى فيها وهو مسرور جداً بخدمته فى الجيش المتوكلى أى جيش الامام المتوكل على الله فسألته هل الخدمة العسكرية فى اليمن اجبارية أم اختيارية فأجاب انها اختيارية أيام السلم ولكن جميع أهل البلاد جنود بطبيعة الحال أيام الحرب وقد ألفوا القتال واستعمال البنادق منذ نعومة أظفارهم والحكومة تدفع للجندى ستة ريالات فى تهامة وخمسة فى الجبال مشاهرة وتعطيه ألبسة مرتين فى السنة ، كما انها تقدم له طعاما وشرابا أما اللباس الرسمى فهو ثوب من الشيت الأبيض أو المصبوغ بالأزرق ولباس الرأس عمامة صغيرة يختلف لونها باختلاف ذوق صاحبها فمنها البيضاء ومنهـا الزرقاء ومنها الملونة والمزركشة ، وأما الأحذية العسكرية الضخمة فليست معروفة فى اليمن فبعضهم يلبس الصنادل الخفيفة وبعضهم لا يلبسون شيئاً

وقد شاهدت استعراض الجند يوم الجمعة بعد الصلاة ويجرى استعراض الجند يوم الجمعة فى بلاد اليمن من أقصاها الى أقصاها فعندما يعود العامل (أى الحاكم) فى أى منطقة من مناطق اليمن من صلاة الجمعة يمر الجيش أمامه والحق يقال انى وجدت فى هذا الاستعراض مسحة خاصة من الرونق والبهاء وقد رأيته بادئ بدء ماشياً مشيته العسكرية وموسيقاه تعزف أمامه بعض الأنغام التركيـة ورؤوس الجنود تلمع فوقهـا العمائم . ثم رأيته يعود أمام العامل ثانية وهو يمشى مشيته العادية وينشد أناشيد وطنية يقال لها الزامل ويرقص بالسيوف والخناجر رقصاً جميلا ، أما نشيد الزامل فهو رهيب

جدا يشبه الحداء عند العرب والدروز وللامام زامل خاص ولسيف الاسلام زامل خاص تنشده عقفته (أى حرسه) فى أثناء خروجه للصلاة أو طوافه فى أطراف البلاد وهذا زامل عقفة سيف الاسلام:

سيف الاسلام الذى يدق على المراتب
طالعه سعد السعود
من يعاند دولته
من كبير لاقل كافر يسجنه
هو عمود ترتعب منه الجرائر والمراتب والنصارى واليهود
وجميع المسلمين قايم وقاعد

***

طاعته واجبة علينا
فرض واجب
بعد توثيق العهود
لابد لمن شل رأسه أو يعاند
يستتى نار الوقود
تحت أمره الجن تخدم والمناصر
ماتعلق بالجنود

الطبقات الاجتماعية

السادة والتجـــــار والعمال والبربر

مستشفى الحديدة

مرض أحد خدمنا فسألنا اذا كان يوجد طبيب فى البلد فقيل لنا . نعم يوجد طبيب ايطالى ويوجد مستشفى للحكومة يشرف عليه هـذا الطبيب وهـو موظف رسمى فى حـكومة الامام ويتناول راتبه من بيت مال المسلمين والحـكومة تنفق على المستشفى وتأذن لجميع الأهلين بدخوله مجانا كما أنها تعطى الفقير منهم الأدوية مجاناً وقد زرت هذا المستشفى فوجدته فى غاية من النظافة والترتيب وفيه غرفة فنية للعمليات الجراحية وأدوات جراحية كاملة وصيدلية كبيرة مملوءة بالعقاقير ويساعد الطبيب الايطالى بعض المساعدين من الاحبـــاش جلبهم حضرته معه من مصوع . استدعينـــا هذا الطبيب فوجدناه على غاية من الظرف واللطف أنيس المعشر رقيق العبـــارة وبعـــد أن طب مريضنا وأعطاه الأدوية اللازمة دار حديث طويل بيننا وبينه سألناه فيه عن الصحة العامة فى اليمن فأجاب : صـــار لى عدة سنوات أخدم فى حكومة الامام وقد طفت كثيراً فى بلاد اليمن ووقفت على أحوال أهلها وأمراضهم ولا شك أنهم أقوياء جداً وأجسامهم تقاوم جميع الأمراض مقاومة عنيفة لانه لاطب فيها ولا دواء منذ القديم والأمراض المتفشية فى اليمن تفشياً مريعاً هى الجدرى وحمى التيفوئيد والملاريا والاهالى فقراء ولا يحصلون على قوتهم الضرورى الا بشق الانفس وانهم يتزوجون نســـاء متعددة وان وفيات أطفالهم تبلغ ثمانين فى المائة . وقال ان أهالى اليمن ثلاث طبقـــات الطبقة الاولى وهم الشرفاء من نسل الحسن والحسين وهم محترمون فى نظر الاهلـــين جدا وكل من رآهم يقبل أيديهم والطبقة الثـــانية وهى الوسطى تتألف من التجـــار والعمال وما أشبه ، والطبقة الثـــالثة تتألف من البربر وهذه منحطة للغـــاية ومعظم

افرادها يشتغلون بنقل البضائع من البحر واليه على ظهورهم ويقال لهم الاخدام ومواطنوهم لا يزوجونهم من بناتهم ولا يتزوجون منهم وأصلهم مجهول ولكن هيأتهم تدل على انهم من بقايا البربر الذين افتتحوا بعض أطراف اليمن قديما .



الحديدة كما تبدو من ساحلها الشمالى

والحديدة فى هذه الايام هى ميناء اليمن الوحيد الذى تقف عليه بعض البواخر التجارية وأما المخا التى كانت فيما مضى ميناء أعظم من الحديدة فقد أكل الدهر عليها وشرب وأصبحت حقيرة للغاية لا تمر بها البواخر التجارية الكبيرة ابداً وتنحصر صادرات اليمن فى البن والجلود وبعض أصناف الحبوب وأما وارداته فكثيرة كالاقمشة بانواعها والتنباك والكاز والزيت والكبريت وجميع المصنوعات الاوربية « خردوات » ومعظم هذه الواردات تأتى عن طريق عدن فالحديدة ، وبعضها يأتى عن طريق البر الى عدن فلحج فاليمن

واكثرية سكان الحديدة من المسلمين الشوافع الا أن بينهم بعض الزيود والغرباء من سوريين وهنود وهؤلاء يحترفون التجارة

خرجت ذات يوم فى الأصيل بعد أن خفت وطأة الحر لان الحر فى الحديدة

شديد حداً (وكنت فى أواسط شهر كانون الثانى أنام على سطح الدار التى نزلنا بها من شدته) وأخذت أطوف شوارع البلد باحثاً مدققاً فاسترعى نظرى فى بعض الأسواق المعدة لبيع المأكولات والحلويات. كثرة الذباب بشكل رهيب وفى أثناء طوافى رأيت مشهداً غريبا جداً . رأيت رجلاً مكتوف اليدين يحرسه بعض الجند وقد شدوا الى ظهره طفلاً صغيراً وأخذ أحد الجنود يضرب على ذلك الطفل وكان جمع غفير من الأولاد والرجال يتبع هذا الموكب كيفما سار ساخطا صاخبا مناديا يح يح يا شارب الخمر

تطبيق الجزاء الشرعى على السكير

فسألت عن أمر الرجل فقيل لى انه سكير وقد القى عليه القبض وهو يعاقر بنت الحان وسيق الى المحكمة الشرعية وهو سكران فحكمت عليه بالجلد والتشهير وطريقة التشهير هى على هذه الصفة فقلت فى نفسى يا حبذا لو كانت تطبق هذه القاعدة على السكارى فى بلادنا . .

المحكمة الشرعية فى الجزيرة

وعلى ذكر المحكمة الشرعية أقول انى زرتها فى أثناء طوافى المدينة لأطلع على كيفية المحاكمة واصدار الأحكام وصادف يوم زيارتى لها أن تقدم اليها رجل يشكو أحد اقاربه لاغتصابه داره وكان القاضى الشرعى يجلس فى صدر المحكمة ويجلس الى جانبه كاتبه وامامهما المدعى والمدعى عليه ولا أثر للمحامين والحمد لله فيها وبعد أن استجوب القاضى بدقة رائدة المدعى والمدعى عليه وطرح عليهما أسئلة كثيرة سجلها الكاتب الشرعى فى سجل خاص لفظ القاضى حكمه فى نهاية الجلسة التى لم تستغرق اكثر من نصف ساعة ولا أثر للتكلف أو التصنع فى هذه المحكمة ولا يدخلها النّاس ولا محسوبية من بين يديها أو من خلفها وحكمها مبرم ويحصل الانسان عليه فى جلسة أو جلستين على الاكثر وينفذ فى الحال

خرجت من المحكمة وأردت أن آخذ بعض الصور الفوتوغرافية فى المدينة فتبعنى جمهور غفير من الأولاد والرجال بعضهم يقول صورنى صورنى وبعضهم ينادى

باعلى صوته بخشيش بخشيش وويل للمرء ان غلط وأعطى أحدهم شيئا فانه يصبح عرضة لهجوم الجمهور عليه ولا يتخلص من بين أيديهم الا بقوة الجسد ولذلك اعتاد جلالة الامام أن يصحب صيوفه بعض الجسد فى أثناء طوافهم باليمن واذا صور المرء أحداً فانه للحال يطلب صورته واذا أفهمه انه لا يمكن اخراج الصورة فوراً يغضب ولا يصدق



جندى يمانى والى جانبه شرطيان فى الحديدة

شيوخ من البدو

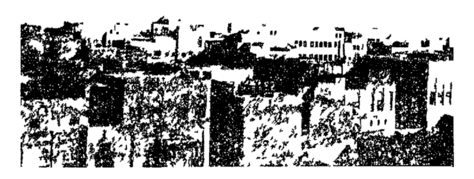
مررت فى أثناء طوافى بدائرة الشرطة فعرجت على المدير لأرد له الزيارة فوجدت عنده كلا من الشيخ اسماعيل العوى شيخ عشيرة الجمادى بقبيلة القحرا والشيخ ابراهيم الصغير شيخ عشيرة الصامر بقبيلة القحرا فعرفنى حضرته بهما قائلاً انهما هما اللذان أسرا الكولونيل جاكوب سنة ١٩١٩ فى باجل عندما كان ذاهبا من الحديدة الى صنعاء لمقابلة جلالة الامام والكولونيل جاكوب هو أحد الضباط الانكليز المستشرقين والمرتبطين بوزارة الخارجية البريطانية فسألتهما لماذا أسرتما ضيف الامام ؟ وهل هذا

العمل مشروع فى عرفكما ؟ فأجابنى اتصل بنا ان هذا الرجل جاسوس انكليزى أتى لبلادنا ليتآمر علينا وعليها ، خيفة من شره وحرصا على البلاد والعباد أبقيناه عندنا رهينة ريثما تفاهمنا مع جلالة الامام عن حقيقة أمره ولما جاءنا رسول الامام يبشنا بانه ضيف أتى للمشاورة والمحادثة مع جلالته أطلقنا سراحه فى الحال

أعجبنى والحق يقال منطق الرجلين ومنظرهما والبستهما وسذاجتهما وهما حليقا الشاربين حليقا اللحيتين — على السنة — عاريا الجسدين حلا مئزرين يشدانهما الى وسطهما قصد التستر ، ولونهما أسمر نحاسى وعضلاتهما مفتولة تدل على الشدة والبأس وقبيلتهم مشهورة منذ أيام الترك بعدم الطاعة وعظيم السطوة وهى تقطن التهامة وحميها من الشوافع وقد انقض الشيخ اسماعيل المعوى على الامام يوم ثورة الزرانيق وانضم مع عشيرته اليهم ففتك رجال الامام بعشيرته وقتلوه شر قتلة لخيانته وغدره

جولة فى الحديدة

خرجت من دائرة الشرطة واتممت طوافى بالمدينة فرأيت بعض الصناع والعمال



مدينة الحديدة

يشتغلون بفتل الاحبال الغليظة ولفها ويصنعون الحبال من نبات القنب الهندى ، ويشبه هذا النبات القنب عندنا ويتبعون فى صناعته نفس الطريقة التى يتبعها صناعنا فى عمل الحبال من قشر القنب ويستعملون هذه الحبال الغليظة فى السفن الكبيرة

وبالقرب من مكان صناعة الحبال يوجد على شاطىء البحر مكان فسيح يعمل فيه النجارون طيلة النهار فى بناء المراكب الشراعية ويجلبون الخشب لبناء هذه المراكب من آسى وغيرها من الاصقاع اليابانية المشهورة باحراجها الكبيرة ، وبالقرب من هذا المكان رأيت أيضا صناعة الكلس ويقولون للكلس فى اليمن نورة ويصنعونه من بعض الحجارة البحرية التى تقذفها الامواج الى الشاطىء بنفس الطريقة التى يصنعون بها الكلس عندنا اى بواسطة الأتون البسيط وهذه هى أهم الصناعات التى شاهدتها فى الحديدة .

بعد انتهائى من هذه المشاهدات أقبل الظلام فسألت أحد الشارة اذا كان يوجد مقاه فى الحديدة فأجاب نعم وأشار لى الى جهتها فيممت وجهى شطر تلك الجهة فأقبلت على عدة مقاه قريبة بعضها من بعض فانتخبت اكبرها واكثرها أنوارا وجلست فيها فوجدت الناس جالسين فيها بنسبة أجناسهم وبلادهم رأيت الهنود المسلمين جالسين فى ناحية والهنود « البنيان » اى غير المسلمين جالسين فى ناحيــة اخرى ووجدت أهل تهامة جالسين وحدهم بعيدين عن الزيود والزيود جالسين وحدهم بعيدين عن الجميع ولم اشاهد أحداً يلعب الورق أو النرد أو الطاولة فسألت عن سبب ذلك فقيل لى ان محمد سيف الاسلام رحمه الله منع جميع الألعاب منذ تسلم زمام الحكم فى الحديدة وتهامة وذلك خوف انتشار الميسر

وأخبرنى محدثى أن جميع الألعاب كان مسموحاً بها أيام الترك وأيام كان السيد حسين عبد القادر عاملا للامام بالحديدة وفى أيام الترك كانت المشروبات الروحية أيضاً تقدم الى الزائر فى القهاوى بصورة علنية للمسيحيين واليهود والمسلمين على السواء وكان عدد نفوس الحديدة وقتئذ يربو على السبعين الفاً ومعظمهم من العرباء وأما اليوم فانها لا تزيد على ١٢ الفا بحسب الاحصاء الاخير

عدت من القهوة الى الدار وانا افكر فيما رأيت وما سمعت من الغرائب فى ذلك النهار وجلست الى طاولة صغيرة فدونت مذكراتى عن ذلك اليوم ثم تناولت شيئا من الطعام وصعدت الى سطح الدار لانام ولكن جيوشا من البعوض هاجمتنى وحرمتنى النوم فاضطررت لوضع ناموسية واستلقيت ثانية فى الفراش فنمت عندئذ نوما هادئا .

ضيوف الامام

وفى الصباح نهضت مبكرا وشاهدت شروق الشمس خلف جبال تهامة ثم شربت قليلا من الشاى وأكلت الطعام ونزلت الى الدار ، وعلى ذكر الطعام أقول اننا كنا ضيوفا على جلالة مولانا الامام وكنا نعامل أفضل معاملة وقد تكرم صاحب السمو محمد سيف الاسلام رحمه الله فارسل الينا الخدم والحشم لخدمتنا والجند لحراستنا ومساعدتنا وكانوا يقدمون لنا كل يوم اللبن والبيض والقهوة والشاى والسكر والارز واللحم والخضار وجميع ما نحتاج اليه من اللوازم الضرورية وهذا هو شأنهم فى تكريم ضيوفهم فانهم يقدمون جميع لوازمهم واذا لم يكن مع الضيف طباخ فانهم يرسلون له طباخا خاصا يعمل له طعامه حسب ارادته لا حسب عادة أهل البلاد

منازل الحديدة

تأملت وأنا جالس الى النافذة فى منزلنا والمنازل التى تحيط به فلاحظت أن جميعها مبنية من الآجر الأحمر والطين والكلس وجدرانها مكلسة من الداخل والخارج بالنورة (أى الكلس الذى يصنعونه من حجارة البحر) ومن محسنات النورة أنها بيضاء ناصعة البياض لاتلصق بالألبسة اذا اتكأ المرء عليها ولاحظت أن أرض غرف المنزل من الداخل مصنوعة من المدسة وكذلك السطوح وهى كبيرة ومتسعة ومسطحة ولها مراريب كثيرة

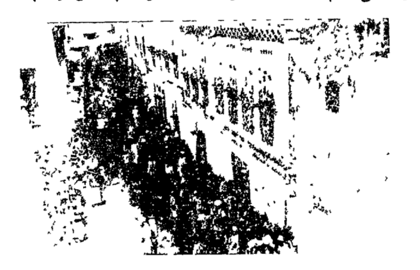
وسقوف البيوت فى اليمن مصنوعة من الخشب المدهون بالوان نادرة جميلة والابواب مصنوعة من الخشب أيضاً ومحفورة حفراً جميلا وكذلك أخشاب النوافذ

فهى أيضاً محفورة حفراً جميلا وعليها حواجز خشبية (احصاص) كالحواجز التى تستعمل فى دمشق ورجاجها فى أغلب الاحيان ملون وهم يرغبون اللون الاحمر والاخضر والازرق كثيرا وجميع المنازل مبنية على طراز هندسى يمكن معه دخول الهواء بكثرة لان صيف الحديدة حار جداً

وفى داخل المنزل توجد فسحة مفتوحة ممتدة من السطح الى الدور الاول لجلب الهواء ويستعمل الدور الاول غالبا كمخزن واما الدور الثانى والثالث والدور الرابع فى بعض الاحيان فتستعمل جميعها للسكن ويوجد فى جدرانها كثير من الخزائن اى (الدواليب) تستعمل لوضع الملابس ويصعد الى الدور الثانى غالبا بدرج مبنى من الآجر والطين واما سلم الدور الثالث والرابع فتصنع من الخشب وهذه السلالم عريضة تحيط بها نوافذ كثيرة لتضيئها .

الاجانب فى الحديدة

خرجت من الدار لأتمم تطوافى فى البلد فطفتها جميعها وهى تتألف من عدة شوارع اقيمت على جانبها المنازل وثلاثة اسواق تجارية متصل بعضها ببعض تحيط بها المنازل



شارع من شوارع الحديدة

من كل ناحية وتعرض فى هذه الاسواق البضائع المختلفة من أقمشة الى تنباك الى نشا وسكر وخردوات .

ويوجد فى الحديدة تاجر واحد يونانى الف شركة دعاها شركة ليغراتو وهو يبتاع معظم محصول البن فى اليمن ويصدره الى اميركا وفرنسا وبريطانيا وتوجد شركة ايطالية وهذه شبه حكومية وتوجد ايضاً وكالة روسية وهذه ايضاً حكومية سياسية اكثر منها تجارية ويقوم رجالها بدعاية شيوعية واسعة النطاق ولا يوجد تاجر أوربى واحد خلاف هذه الشركات الاجنبية الثلاث ولكن هناك كثير من التجار الهنود المسلمين والبنيان وبعض التجار من الاتراك وواحد من السوريين

ومن دواعى الاسف انه بالرغم من اقبال اليابيين على ابتياع الاقمشة المصنوعة فى سورية بكثرة كالصايات الحريرية والديما لايهتم السوريون بتوسيع تجارتهم مع اليمن ولا يقومون بأى نوع من الدعاية لها ولا أبالغ اذا قلت ان السواد الأعظم من سكان اليمن من الطبقة الوسطى يلبسون ديما بلادنا وجميع الأشراف والسادة من الطبقة العليا يلبسون صاياتنا الحريرية ويباهون بها ومع ذلك فنحن مقصرون جداً فى الدعاية لمصنوعاتنا وذلك ناتج أولا عن فقدان من يمثلنا تمثيلا خارجياً رسمياً فى تلك البلاد وثانياً لأن تجارنا كما يقول المثل العامى : « بريدون قطا من حشب يصطاد ولا يأ كل » فلا يقومون بدعاية ما لبضاعتهم ولا يشرفون على الأسواق بأنفسهم حتى ولا يوجد لهم وكلاء فى الحديدة ولا فى عدن وانى على مثل اليقين بأنهم لو اهتموا قليلا بهذه الشؤون لاستولوا على أسواق اليمن بأجمعها . ومتى أدرك القارىء الكريم ان سكان اليمن يبلغ عددهم نحو خمسة ملايين يدرك أهمية التجارة مع تلك البلاد وأهمية أسواقها

زيارة المسجد الكبير

بعد طواف الأسواق عرجت على المسجد الكبير ويقولون له الجامع وقد بنته امرأة من أهل مسقط منذ ثلاث مائة سنة ويقال لها فاطمة ابنة الزراف وهو خلو من السجاد والبسط وغيرها ولكنه متسع وجميل ولا يوجد فوق محرابه نقوش وغيرها بل يوجد شبه دولاب صغير له نافذة زجاجية تحفظ فيها بعض الآثار القديمة من عهد

النبى ﷺ ، وقد حلت هذه الأشياء الوالى محمود نديم بك من الحجار ارصاء للشوافع أيام الدولة العثمانية

الصيد البحرى

خرجت من الجامع وسرت نحو البحر فرأيت جماهير من صيادى السمك يحملون صيدهم ليبيعوه فى الساحة العامة وصيد السمك فى الحديدة مهنة لا يستهان بها والسمك جيد ورخيص للغاية لأن الطلب عليه قليل لرخص اللحم

وصلت نطواق الى الميناء وزرت رئيس الميناء ويدعى احمـد ابراهيم ويلقب بأمير البحر وهو رجل مسن يتقن التركية جيدا واخاله من أصل تركى

فى المكتب الرشدى

ثم زرت المكتب الرشدى المتوكلى ومديره سليم بك الماحورى وأساتذته احمد افندى الكثرى والفقيه حمود الكستبان ومحمد افندى صادق المحارى وسلمان صادق المحارى وغيرهم ويبلغ عدد الطلاب فيه نحو مائتين يتعلمون القراءة والكتابة والصرف



موسيقى الجيش فى الحديدة وفى مقدمتها مديرها
خالد افندى بن محمود المنصور وهو رجل حلبى الاصل

والنحو والقرآن والفقه والحساب والجغرافية الى غير ذلك من العلوم الابتدائية . وقد أبدى لى سمو سيف الاسلام محمد رحمه الله رغبته الشديدة فى جلب بعض المعلمين من سورية ليدرسوا الاولاد ويشرفوا على هذا المكتب وغيره من المكاتب، وعند عودتى إلى مصر أقنعت الأخ الصديق المجاهد عادل الحامدى الطرابلسى بلزوم ذهابه الى اليمن وتسلم مديرية مكتب الحديدة فلبى طلبى حفظه الله وسافر لليمن فوراً وأحاله لايزال هناك الى يومنا هذا .

خرجت من المكتب بعد ان استعرضت طلبته وحادثت بعضهم فوجدتهم على جانب عظيم من الذكاء الفطرى والنباهة العربية ثم ذهبت الى ادارة الجمرك فقابلت القاضى محمد الحجرى وتحادثت معه طويلا بشأن الرسوم . والحجرى رجل من القبائل المعروفة ذكى ونشيط وشجاع وكان المرحوم محمد سيف الاسلام يحبه محبة جمة ويستعين به عند الملمات والشدائد وقد عينه مديرا للجمارك فقام بهذه الوظيفة أحسن قيام وكان يعامل الناس باللين واللطف وقد سمعت عنه أعطر الثناء والمديح من جميع التجار الذين صادفتهم

- ٣٧ -

مرفأ فرنسى يبنى بجوار الحديدة

الطليان يضربون المرفأ والخط الحديدى بالقنابل

جمرك الحـديدة

والجمرك فى الحديدة منظم ونظيف ، وهو يتألف من (وكالة) فيها فسحة واسعة مكشوفة للشمس والهواء، وعلى جوانب هذه الفسحة بنيت عدة بنايات وغرف كبيرة وصغيرة وكل غرفة أو بناية معدة لخزن نوع من أنواع البضائع والحاجيات .

و يأخذون فى الحديدة رسماً جمركياً قدره اثنان ونصف فى المئة على جميع الصادرات وأما الواردات فلا يأخذون عليها رسما بل يأخذون هـذا الرسم وقدره اثنان ونصف فى المئة أيضاً فى مكان الاستهلاك

فى مدرسة الصناعات

ذهبت من الجمرك الى ظاهر المدينة فزرت مدرسة الصناعات التى كان بناها الترك أيام الدولة العثمانية فوجـدتها قد تهدمت ولعبت بها يد الزمان والانسان ، إذ قامت حولها معارك بين جيش الامام وجيش الادريسى بعد الحرب العامة ، فدكت بعض معالمها دكا ودرست أطلالها درساً .

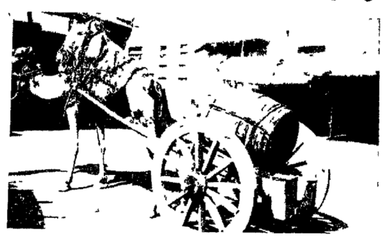
ولـكن سيف الاسلام محمد رحمه الله اعتنى ببعض أبنيتها وحدائقها وبنى بناية صغيرة فى الحدائق وأقام فيها (شادروانا) أى بحيرة ، وغرس بعض الأشجار والنبـاتات وحصن الحدائق بحصون من القش والنباتات اليابسة لتمنع عنها تيارات الرمال الجارفة الـتى تكتسح الحديدة وأطراف تهامـة بين آونة وأخرى وبهذه الطريقـة دفـع عنها هجوم الطبيعة

وبالقرب من حديقة مدرسة الصناعات يوجد مركز التلغراف اللاسلـكى ويراسل

هـذا المركز مصنوع وأسمرة فى الساحل الافريقى ويدير التلغـراف اللاسلـكى بعض الأحصائيين من الطليان ويدعون اللاسلـكى باليمن بطار الهواء

عند آبار المياه

وبجوار طار الهواء توجد عدة آبار للماء تدعى آبار الحلى ويبلغ عمقها خمسة أمتار وتموّل الحديدة على هذه الآبار للشرب وهى أقل ملوحة من ماء الآبار فى المدينة لأنها أبعد عن شاطئ البحر



عربة لنقل الماء من آبار الحلى الى الحديدة

وقد أقام سيف الاسلام رحمه الله عليها حرساً من الجنـــــد وبنى لهم بناية خاصة يقيمون فيها لحراستها، وتبعد هذه الآبار عن الحديدة نحو كيلو مترين وينقل الناس الماء منها على الحيوانات والعربات ويستخرجون منها الماء بدلاء يدوية على الطريقة القديمة المعروفة عندنا، ولو اهتمت الحـكومة قليلاً بها لأمكن رفع الماء منها بالمضخات وسحبها إلى المدينة بأنابيب حديدية وبذلك توفر على الناس عملاً كثيراً وعناء عظيما

فى رأس

يوجد على بعد عشرة أميال من الحديدة رأس فى البحر يقال له رأس الـكثيب وقد

استحصل الفرنسويون فى أيام الدولة العثمانية على امتياز يخولهم بناء مرفأ فيه وقد أصابوا جداً باختيارهم اياه لانه موقع طبيعى واسع يصلح لبناء مرفأ أمين ودخوله سهل على المراكب الشراعية الصغيرة والسفن التجارية الكبيرة

وقد باشر الفرنسويون عملهم فيه فجلبوا بعض الآلات والأدوات وحفروا أرض الحوض وزادوا فى عمقه حتى صار فى امكان أعظم السفن أن ترسو فيه كما مدوا بجانبه خطا حديديا ضيقاً كالخط الحديدى بين دمشق وبيروت الى الطمية وهى قرية صغيرة بالقرب من باحل وسارت القطارات على هذا الخط بالفعل مدة وجيزة ولكن لما أعلنت ايطاليا الحرب على الدولة العثمانية سنة ١٩١٢ أرسلت بعض سفنها الحربية وضربت هذا المكان فخربت جميع ما بناه الفرنسويون، وقد شاهدت بأم العين بعض بقايا القاطرات المكسرة

وفى أيام الحرب العظمى اقتلع اليابيون الخط الحديدى واستعملوه فى بعض أبنيتهم. والخلاصة أن تهامة اليمن قد خسرت مشروعا كبيراً كان فى الامكان أن يعود عليها بالأرباح الطائلة والخيرات الكثيرة

السفر الى صنعاء

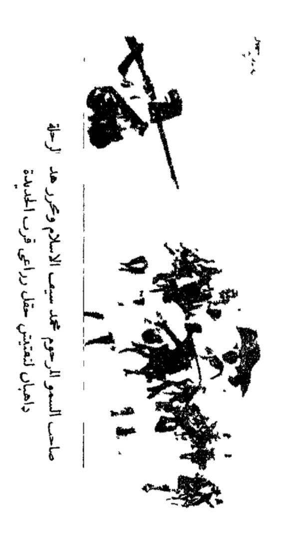
بعد مضى ثلاثة أيام على وصولنا الى الحديدة وهذه هى أقل مدة للضيافة طلبنا من سيف الاسلام رحمه الله الأذن لنا بالسفر الى صنعاء وبعد اللتيا والتى أجابنا الى طلبنا

ولكن يجدر بى قبل أن أترك الحديث عن الحديدة أن أوفى صاحب السمو الملكى المرحوم محمد سيف الاسلام شيئا من حقوق الصداقة التى تربطنى به فأصفه للقارئ الكريم وأذكر بعض أعماله ليرى الخسارة الجسيمة التى أصابت اليمن بفقد هذا الرجل الفذ العظيم فأقول

الامير سيف الاسلام

نشأ رحمه الله فى صنعاء، وتربى فى حجر جلالة والده الامام، وتلقى دروسه على علماء أعلام فبرع فى العلوم الدينية والحديث والشعر وكان على جانب عظيم من الذكاء والدهاء ولاه والده على الحديدة لما لهذا المرفأ من الأهمية السياسية فى نظر اليابيين ونظر الأجانب

على السواء، وقد أحسن سموه إدارة وطبعته كل الاحسان وكان صلة الوصل بين حكومة اليمن وبعض الحكومات الأجنبية كالانكليز والروس، وقد حال رحمه الله فى ظروف عديدة دون وقوع كوارث كثيرة ومهد بحكمته ودهائه السياسى الطريق لعقد المعاهدة الانكليزية اليانية واهتم بالمدارس فجلب لها المعلمين من الخارج، واهتم بالزراعة فجلب



صاحب السمو المرحوم محمد سيف الاسلام وكرر هد ا رحلة
ذاهبان لتفتيش حقل زراعى قرب الحديدة

أدوات زراعية حديثة وأقام عدة حدائق فى الحديدة والزيدية وغيرهما من البلاد جرب فيها غرس بعض النباتات الغريبة عن اليمن كالشاى والقطن الـكلاريدس والتين الخ

وكان رحمه الله شفيقا رحيما حكيما يكلم الناس على قدر عقولهم ،وقد اجتذب اليه قلوب جميع الرعية بهذه الاخلاق والطباع الحميدة،وكان لفقده رنة أسف وأسى فى اليمن لم نسمع بمثلها منذ القديم وقد كتبت لجلالة مولانا الامام يوم وفاته كتاب تعزية ومن الاطلاع على جواب جلالة الامام يظهر للقارىء الـكريم فداحة المصيبة التى انتابت اليمن بفقد ذلك الراحل العظيم : قال جلالته بعد التحية ما نصه

وقـد تناولنا كتاب تعزيتكم فى المصاب العظيم والخطب الجسيم بوفاة من اختار الله له ما عنده بعد ما بلغ أشده فنقله الى جواره وهو لم يبعد عن عهد الشباب وطراوة الاهاب والتقدم بين ذوى الأحلام الراسخة وعلو الجناب وهذا حال الدنيا وشأن من فيهـا من الأحياء ، ولم نتدرع بغير الصبر ولا تمسكنا الا بالرضا والتسليم لحـكم من له النهى والأمر ،ونسأل الله تعالى للفقيد العزيز واسع الرحمة ولـكم المـكافأة بالحسنى على الوفاء وحسن العزاء والسلام »

كيف مات سيف الاسلام

وأخذت أيضاً كتاباً من صاحب السمو الحسين نجـل مولانا الامام الذى تولى الحـكم على الحديدة بعد أخيه المرحوم محمد سيف الاسلام وهو كتاب رقيـق ينعى فيه أخاه ويصف شدة المصاب عليه وعلى اليمن قال حفظه الله مانصه .

السلام عليـكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فانا نحمد الله اليـكم على حلو القضاء ومره اذعانا لحـكمه وطاعة لأمره وان كان القلب خافقاً والدمع دافقاً والـكرب مطبقا والأسى محدقا من خطب عظيم أناخ بالمعالى ورزء جسيم هو علم المـكارم العالى وفاة بدر الدين ونابغة المجددين المصلح الـكبير والمجاهد فى سبيل الملك القدير الشفيق على كل أحد من العباد المجد فى نشر رايات الارشاد والمجتهد فى النهوض الى اوج السعادة بالبلاد سيف الاسلام وحسنة الايام محمد نجل أمير المؤمنين الذى ان فارقت ذاته الدنيا فقد خلدت فيها صفاته العليا وان فقد شخصه ووطئه مساعيه الجليلة فما فقد آثاره الجميلة

وان رفعت عن دار الاكدار روحه الطاهرة فما ارتفعت منها بلسان ذكراه العاطرة أفاض الله على تربته الزكية سحائب رحمته الصيبة وسلم على روحه الزكية تحيـة من عند الله مباركة طيبة وجعـل فى أعلا الغرفات وطنه وأجزل له ثواب من سن سنة حسنة .

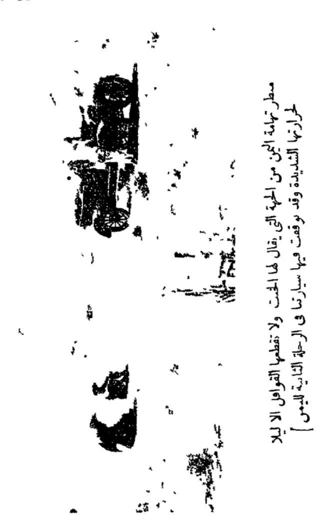
وانه رحمه الله وعفر له وأكرم مثواه مات شهيدا : شهيد الرأفة والرحمـة شهيد الانسانية والمروءة شهيد الشجاعة والنجدة وذلك انه خرج فى ١٦ من شهر ذى الحجة للتنزه فى جزيرة بقرب الساحل وكان يجيد السباحة ومعه رفقاؤه للاستحمام فى نحو الساعة الخامسة فبيناهم كذلك اذ اضطرب البحر وكان من رفقائه ثلاثة قد أوغلوا الى القعير فحال الموج بينهم وبين رجاء السلامة فألقت نفسه العالية جثمانه الطاهر فى لجج البحر المتلاطم لينقذ أولئك من مخالب المنايا فأنقذ الاول ثم الثانى ثم لما عاد الى الثالث تعلق به فقضى الرب ماسبق فى علمه ونفذ حكمه ولا معقب لحكمه فالحمـد لله على ماقضاه وان أورى القلوب وأجرى العيون وانا لله وانا اليه راجعون

تهامة

فى اليوم الذى عزمنا فيه على شد الرحال الى صنعاء أرسل لنا صاحب السمو المرحوم محمد سيف الاسلام حرساً من الجند وعدة بغال لتحمل حوائجنا وسارت البغال مساء لنتمكن من قطع تهامة ليلا ، وتهامـة هى السهل الممتد من البحر الاحمر حتى أول الجبال ويختلف اتساعه اختلافا بيناً فى أماكن متعـددة فيبلغ فى بعضها من عشرين كيلو متراً الى خمسة وعشرين فثلاثين كيلو متراً ، وتقطعه القوافل ليلا تجنباً لحرارته الشديدة ، وتلطف سمو الأمير كذلك فأرسل الينا سيارة لتوصلنا الى باجل ، ومن البديهى ان السيارات فى الحديدة غير موجودة الا عند سموه وعند الشركة الايطالية التجارية ، وفقدان السيارات ناشئ عن فقدان طرق صالحة لسيرها .

امتطينا السيارة على بركة الله وكانت فى مجموعها سـيارة دولية وزعم أنهـا من مصنوعات معامل فوردكانت عجلاتها الأمامية من صنع ايطاليا ، وكاوتشوكها الداخلى من صنع فرنسا ، وواحـدة من العجلات الخلفيـة انكليزية وأما الأخرى فكانت

اميركية ، وصـــدوقها الخشبي وسقفها كانا مصنوعين من بقايا صناديق زيت الـكاز الانـكليزية والاميركية والايطالية ، ولما كان الدهر قد أناخ عليها بكلـكله فما كادت تخرج بنا من الحـديدة حتى صارت تسير سير المتثاقل وقد اضطررنا الى اصـلاحها و(تربيطها) وتغيير مائها وتربيتها مرات كثيرة فأدركنا الليل قرب قرية صغيرة من



مطر تهامة اليمن من الجهة التي يقال لها الحبت ولا تقطعها القوافل الا ليلا لحرارتها الشديدة وقد توقفت فيها سيارتنا في الرحلة الثانية لليمن

قرى التهامة يقال لها دير سهيل فنزلنا منها وقررنا قضاء تلك الليلة الى جانب الطريق لأن سيارتنا لم تكن على استعداد لسير الليل إذ لامصابيح لها ولا طريق معبدة تسير فيها فقضينا ليلتنا نفترش الارض ونلتحف السماء ولما أصبح الصباح نهضنا مبكرين فشاهدنا الى جانبنا بعض الاشجار الغريبة التى لاتوجد الا فى البلاد الحارة وهى



السيارة التى أقلتنا من الحديدة عبر التهامة

نوع من أنواع الميموسا (Mymosa) وشاهدنا أيضاً بعض الاعشاب البرية وبعض النباتات المحلية كالدخن والذرة فسألت أحد القرويين عما اذا كانت الجمال والماشية تأكل من تلك الاعشاب البرية وتلك الاشجار الغريبة فأجاب بالايجاب وقدشاهدنا بالقرب من القرية بئر ماء يبلغ عمقها ٥٥ متراً ويستعمل ماؤها للشرب فقط وهو أفضل من ماء الحديدة اذ لاملوحة فيه تذكرت هنا أقوال بعض المستشرقين من الفرنجة وأقوال بعض أبناء العرب الذين زاروا بلاد اليمن وقالوا عن تهامة فى مؤلفاتهم ان تربتها قاحلة ماحلة أى (Stérile) فأيقنت من هذا الكلام انهم لم يكونوا على علم بما يقولون لأن الاراضى الماحلة بالمعنى العلمى هى التى لاحياة فيها ولاينبت فيها نبات وليس من العجيب ان نجد أمثال هذه الاغلاط فى كثير من المؤلفات العربية ولكن

من العجب العجاب ان مجد السائح أو الرّحال الاجنبي يمر ببلاد لا يعلم من لغتها شيئاً ولا يدرك من عادات أهلها وأخلاقهم الا النزر اليسير فيمكث فيها شهراً أو بعض الشهر يجتمع فيه غالباً ببعض التراجمة ومن حذا حذوهم من المرتزقة فى تلك البلاد فيسألهم أسئلة كثيرة ويدون أقوالهم فى مذكراته ثم يذهب الى بلاده ويضع تلك الأقوال فى مؤلف ضخم فيشوه سمعة أمة بأسرها بقلة درايته وسوء عنايته .

سيدات يلبسن القبعة والأثواب القصيرة

وشاهدت فى تهامة أشجاراً برية تشبه النخيل ولاحظت أن الهواء لا ينقطع فيها الا فى الصباح . ويوجد فيها آبار قديمة على أبعاد مختلفة ولا يستعمل ماؤها لغير الشرب لأنها عميقة واستخراجه منها بكميات كبيرة صعب ولكن لو وجد المال الكافى لدى القرويين ليتمكنوا من استعمال المضخات الميكانيكية أو (الطلمبات) الهوائية فى استخراج هذا الماء الكثير واستعماله فى غرس النخيل والقطن وغيرهما من نباتات المناطق الحارة التى لا شك أنها تنمو فى تهامة نمواً جيداً كما هى الحال فى بعض جهات كاليفورنيا التى تشبه تهامة كل الشبه والتى تمكن الاميركيون بعلمهم ومالهم أن يحولوها من صحراء جرداء مقفرة الى غوطة مشجرة مأهولة بالحيوان والانسان

وقد شاهدت كثيراً من المزروعات فى أطراف تهامة القريبة من الجبال كالذرة بأنواعها البيضاء والصفراء والحمراء والسمسم (ويسمونه هنا جلجل أو جلجلان) ، وشاهدت ايضاً نباتاً يقولون له (السنى) ويستعملونه كمسهل وهو يشبه كثيراً عرق السوس ويعرف فى بلادنا وفى مصر (بالسنمكى)

بعد تناول ماتيسر من الطعام فى صباح ذلك اليوم ركبنا سيارتنا وسرنا باسم الله الى (باجل) فوصلنا اليها قبل الظهر ووجدنا حاكمها السيد عبد الكريم بن اسماعيل كوكبان فى انتظارنا أمام سراى الحكومة وقد صف ثلة من الجند على باب السراى فاستعرضناها ودخلنا الى السراى فى أثر العامل وكان أحد الجنود يحمل سيف العامل ويسير أمامه وآخر يحرسه من خلفه . سرنا فى السراى الى أن وصلنا الى غرفة فسيحة

حيث أداروا علينا أكواب (الشاهى) ، ثم سألنا العامل : (أتتقشرون ؟) فلم نفهم قصده ، فسألته وما معنى تتقشرون ؟ فقال ألا ترغبون فى شرب شيء من القشر ؟ فلم ندرك أيضاً ما يقصد ، فاستردته ايضاحاً ، فأمر حضرته جنديا قريبا منه ، أن يجلب لنا القشر ، وما هى الا لحظة حتى عاد الجندى يحمل بيده ابريق فخار صغيرا يتصاعد منه البخار ، وصب منه فنجاناً ودفعه الىّ فشربته بصعوبة كأنى أشرب دواء ولكنى وجدت فيه طعماً كطعم القهوة فقلت هل هذه هى قهوتكم ؟ فأجاب : نعم هذه قهوتنا ولكنها ليست مصنوعة من البن كما هى العادة عند الترك وغيرهم بل من قشره ، وهنا أدركت معنى (تتقشرون) أى تشربون القشر .

وفى جميع أطراف اليمن لا يشربون القهوة بل يشربون القشر . بعد ما تقشرنا جميعنا مدت الأسمطة وجيء الينا بالطعام وكان ارزاً ولحماً ودجاجاً وخضراً وحلوى ، وضعت جميعاً بعضها الى جانب بعض ، فجلسنا حول السماط ورحنا نزدرد الطعام بأيدينا ، وكدت مراراً أختنق وأنا أبتلع اللقمة ، لان فى الأطعمة كلها كميات كبيرة من الفلافل الحارة ، ويميل اليمانيون بطبيعتهم الى تناول المأكولات الحارة و « يلتهمونها » بسهولة !

خرجت من السراى بعد تناول الطعام وطفت حولها متجولا فشهدت موكبا من الناس سائراً نحو بيوت مصنوعة من القش تشبه بيوت الشعر عندالبدو الرحل ، فتبعت ذلك الموكب ولما وصل الى البيوت خرجت منها نساء كثيرات ، وأخذن يزغردن بأصوات عالية غريبة ، والتف الجمهور حول بيت من تلك البيوت وأخذ بعض الرجال يرقصون بالعصى والسيوف والمدى على ضرب الطبول كما أخذ البعض ينشد أناشيد حماسية بأنغام لطيفة ،ولكنى لم أتمكن من فهم شيء منها

حفلة زواج

وشاهدت أيضاً بعض الفتيان والفتيات راكبين على الهجن ، كل فتى وفتاة على هجين وكان بينهم فتى وفتاة لايتجاوز سنهما الثانية عشرة راكبين هجينا وأمامها طفلان صغيران . فسألت عن أمرهما فقيل لى هما عريس وعروس قادمان من بيت



عروسان يمانيان

العروس ، فقلت وما شأن الطفلين الراكبين أمامهما؟ فقيل لى هذه إشارة معنوية لطلب البنين ، وقد زاد جمال هذا الموكب الوطنى وبهاءه اختلاف الأزياء وتنوعها فبعض الرجال كانوا عارين من الثياب حلا مئزر فى وسطهم وبعضهم كانوا يلبسون ألبسة مزركشة ملونة وبعض السيدات كن يلبسن سراويل طويلة وقمصاناً طويلة الأكمام ولكنهن سافرات الوجوه وبعضهن كن كالرجال عاريات الا من مئزر بسيط ، وبعضهن كن لابسات أكماما قصيرة (ديكولته) وبعضهن وضعن على رؤوسهن حجاباً أسود وبعضهن وضعن فوق هذا الحجاب قبعة (بربيطة) مصنوعة من قش القمح والشعير ذات حجم كبير لترد أشعة شمس تهامة المحرقة ، وهى من صنعهن وقد علمتهن الحاجة التى هى أم الاختراع ان لا يتقيدن بعادة أو قانون بل يلبسن ما يوافق محيطهن واحتياجهن

دامت الاناشيد ودام الرقص مدة طويلة ثم مدت الاسمطة فأكل جميع المدعوين هنيئاً وشربوا مريئاً وبعد الغروب تفرقوا الى منازلهم بعدما هنأوا والدي العروسين وتمنوا للعروسين كثرة البنين والحياة الطيبة .

الزامل

عدت بعد مشاهدة هذا الموكب الى السراى وتناولت طعام العشاء ثم صعدت الى السطح لاقضى الليلة فى ضوء القمر والنجوم وأتمتع بالنظر الى السماء وأنفرد بنفسى قليلا ،ولكننى وجدت على السطح المقابل لسطحنا شردمة من الجند ومعها موسيقاها، ولما بلغت الساعة الثامنة زوالية أخذت الموسيقى تعزف بعض الانغام التركية وكانت على بعد بضعة كيلو مترات منا قلعة حصينة قائمة على رأس رابية وهى معسكر لاحدى فرق التهامة وكان الجنود فيها يعزفون أيضاً بعض الانغام التركية كلما توقفت موسيقى السراى عن العزف واستمر العزف هكذا نحو نصف ساعة ثم أخذ الجنود بالقرب منى ينشدون (زاملهم) الخاص — أى نشيد فرقتهم — وهو كما يأتى :

(والعز ياصبيان قومى ما يأتى الا بالعصايب (١)
والذى يحيى بأول شبابه ماحصله والرأس شايب
(قرار)
يامن تمنى حربنا لابد ما نطلب عواق (٢)
أو ينادى بالصلاح (٣)

شعرت وايم الحق بينما كان الجنود ينشدون نشيدهم الوطنى ان كل شعرة فى رأسى قد وقفت وكاد قلبى يخرج من فمى ، كأنى قادم على معركة حربية عظيمة وذلك بالرغم من أنى لم أفهم كلمة واحدة مما كانوا ينشدون ولكن الانغام والنبرات كان فى مقدورها أن تدفع حتى الجبان الى القاء نفسه فى أشد المعارك هولا وفظاعة

ولما انتهى جند السراى من النشيد بادر جند القلعة الى محاوبتهم ، وبعد الانتهاء من الاناشيد أتى دور ضرب الطبول فضرب جند السراى الطبول ضربا يستفز الشعور ويهيج الاعصاب ، فجاوبهم جند القلعة بضرب كضربهم ثم ختمت الحفلة عندنا وعندهم ، بالمناداة بكلمة (وامتوكلاه) على نغم .. (بادشاهم جوق يشا !) اشارة الى دوام صحة صاحب الجلالة الامام يحيى حميد الدين المتوكل على رب العالمين

(١) بالقوة (٢) العفو (٣) الصلح

وفى هذه الساعة الرهيبة لا يسمع المرء فى بلاد اليمن من أقصاها الى أقصاها الا نداء الجنود فى ثكناتهم وقلاعهم وحصونهم : «وامتوكلاه» وبعدئذ يضرب بوق النوم فيذهب جميع أهل المدن الى النوم ويصبح الخروج من المنازل الى الازقة والشوارع محظورا على الجميع ماخلا الجند !

لفظت سيارتنا فى ناحل أنفاسها الأخيرة فترحمنا عليها وركبنا البغال ، والبغال هى أفضل حيوانات الركوب فى اليمن ، أولا لانها قوية وثانيا لانها تتسلق الجبال الشامخة الوعرة بسهولة تامة خلافا للخيل التى تصعد الجبال الوعرة ولكن بصعوبة . ويجلبون البغال الى اليمن من بلاد الصومال بحراً

سرنا على البغال مسافة أربع ساعات فى سهول واسعة خصبة مغروسة سمسما وذرة وأقبلنا نحو الظهر على قرية صغيرة مبنية من القش يقال لها (البجيح) وهنا شاهدت جمعاً من السيدات من ذوات القبعات قد أحطن بفتاة صغيرة لا تتجاوز سنها الثالثة عشرة وكن يغنين لها ويضربن على الدفوف وهى ترقص رقصاً جميلا فسألت عن أمرهن فقيل لى هذه عروس ترقص صباح عرسها تسلية لضيوفها وزوارها !



عروس ترقص صباح عرسها

تناولنا طعامنا فى قهوة ويقال للقهوة فى تهامة (مقهاية) وقضينا فيها ساعة من الزمان طلباً للراحة والمقاهى فى الحديدة وتهامة هى المطاعم والصادق اذ لا يوجد فى بلاد اليمن جميعها فندق واحد بالمعنى الذى نفهمه نحن معاشر السوريين بل فنادق اليمن هى مقاه وخانات يأوى اليها المسافر هو وراحلته ..



صورة لبعض سكان تهامة اليمن وقد وقفوا يستعرضون موكبنا العربى لديهم وتظهر فيها هيئاتهم المختلفة

الرق لا وجود له فى اليمن

بينا كنا جالسين فى المقهاية أقبل علينا كثير من الاهلين للفرجة فلاحظت أنهم يختلفون اختلافاً كبيراً من جهة اللون والهيئة وتركيب البنية عن أهل الحديدة ويغلب على ظنى أنهم انقى دما من سكان الساحل وهذا أمر بديهى لانهم لم يختلطوا كثيراً بأهل القارة الافريقية الذين كانوا يأتون الى سواحل اليمن بقصد التجارة وبيع الرقيق وما دمت فى ذكر الرقيق ، فانه يحضرنى الآن أنى كنت قرأت فى بعض الصحف والكتب أن تجارة الرق مازالت موجودة فى اليمن وهذا افتراء باطل فلا اثر للرق فى بلاد اليمن وهذا

الزمن ، لان الامام حفظه الله منع هذه التجارة منذ تولى الحكم ، وكان عنده عبد يدعى صمصام فأعتقه لوجه الله وزوجه من فتاة كانت فى خدمته ووظفه فى احدى الوظائف

طبيعة اليمن الفاتنة

بيوت اليمن تشبه القلاع

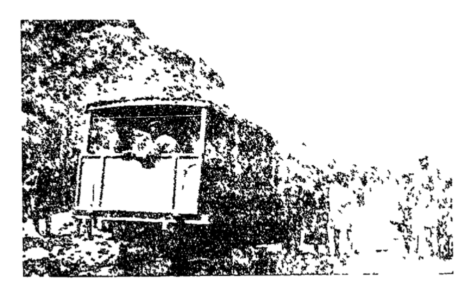
ركبنا بعد الظهر من الحجيج إلى (عبال) وهى محطتنا الثانية وكان رفقتنا حرس من الجند فاقترب منى أحدهم وأخذ يسألنى عن بلادنا وعن الحكم فيها وعن الاسلام والمسلمين والترك ومصطفى كمال فكنت أجيبه على أسئلته أجوبة مختصرة توافق عقليته وأشار لى فى الطريق الى جبل وعر عال واقع الى الغرب ، وقال . هذا هو جبل برع ؛ وفيه كثير من البن والقات والموز وغير ذلك من النبات ، وقد وقع فيه بعد الحرب العامة ـ أى حينما كانت الحديدة وتهامة بيد السيد الادريسى ـ معارك كثيرة بين جنود الامام وجنود الادريسى وفى أربع مرات متواليات انتصرت جنود الادريسى على جنود الامام ولم تمكنها من احتلال القلعة الكائنة فى رأس الجبل ولكن منذ بضع سنوات احتل الامام الساحل وأحاط بجبل برع من الجهات الأربع وحاصر قوة الادريسى فقتل معظمها وفر منها القليل . ويقال انه قتل فى هذا الجبل نحو الفين من جنود الامام وثلاثة آلاف من جنود الادريسى . وبعد البحث الدقيق عن أسباب الحرب الطاحنة التى وقعت بين الامام والادريسى مدة من الزمن ظهر لى أن البريطانيين كانوا يحرضون الادريسى على قتال الامام ويمدونه بالمال والسلاح والعتاد ، ويغرونه بعدم التخلى عن تهامة التى تركها الترك فراراً من جنود الامام فاحتلها السيد الادريسى من غير مقاومة ، ولا يزال البريطانيون الى هذا اليوم يحرضون ملوك العرب وأمراءهم على التقاتل لتضعف قواهم ويصبحوا لقمة سائغة لكل أجنبى طامع !

قضينا ليلتنا فى عبال فى (مقهاية) فسيحة أعدت خصيصاً لنزولنا وكانت مبنية من الحجر والقش ، وتوجد الى جوانبها بعض (المصاطب) ينام عليها المسافرون ويربطون حيواناتهم الى مداود فى وسطها وهذه (المقهاية) كغيرها من مقاهى اليمن

خاليـة من كل شئ يقال له أثاث أو رياش ولا يوجد فيها سوى بعض الكراسى المعمولة من قشور الساقات ، وهى تشبه (الفوتيل)

وفى الصباح نهضنا مبكرين وركبنا البغال ووجهتنا (الحجيلة) فوصلنا اليها بعد بضع ساعات وكانت تبدو لنا طيلة الطريق مياه جارية وأشجار وأطيار كثيرة غريبة وطروش عظيمة من الماعز والبقر والغنم ، والحجيلة قرية صغيرة فيها دار للحكومة وعامل ومركز للجند ومركز للتلغراف وهى واقعة فى أول الجبال وبيوتها مبنية من الحجر لا من القش .

ابتداء من الحجيلة ينقسم الطريق الى فرعين : فرع يذهب الى (وسل) و (مناخة) وهو وعر ولايسلكه غير البغال، وفرع يذهب عن طريق بيت (القايلى) ويقال له (طريق القوافل) لان قوافل الجمال الذاهبة الى صنعاء والعائدة منها تسير فيه وهو أبعد من الاول وأسهل منه ؛ وقد عبد منذ برهة جلالة الامام طريقاً جديدة للسيارات عن طريق معبر فصار بالامكان قطع المسافة بين الحديدة وصنعاء بيوم واحد بعد ما كانت تستغرق ستة أيام على البغال



سيارة مسافرة الى صنعاء عن طريق معبر فى وديان جميلة

بعد ما استرحنا من وعثاء السفر وأطعمنا تناولنا قليلاً سرنا الى وسل بين الجبال والاودية ولم يكن هنالك طريق نسير عليها لان الأمطار والسيول جرفت الطريق وجعلتها أثراً بعد عين منذ عدة سنين وكنا نهتدى الى بقايا الطريق بأحد جنودنا الذى اتخذ لنفسه وظيفة دليل وقد شاهدت فى الطريق أحراجاً عظيمة وأطياراً غريبة وقردة كبيرة من نوع (البابون) ودام طريقنا فى صعود بين تلك الجبال الوعرة بضع ساعات ولكننا لم نشعر بطول الوقت لان وطأة الحر الشديد التى كادت تخمد أنفاسنا فى تهامة خفت هنا كثيراً ومنظر الجبال الشاهقة وصوت تغريد الأطيار الساطقة كالدرة والسفاء كل ذلك حوّل اهتمامنا عن وعثاء الطريق الى جمال الطبيعة فمضت الساعات دون أن نشعر بها ودون أن نعبأ بالتعب

قضينا ليلتنا فى (وسل) الى جانب مقهاية كبيرة ووسل قرية صغيرة ، بيوتها من الحجر ، وتختلف عن غيرها من البيوت التى رأيناها حتى الآن كثيراً ، فهى تشبه القلاع وفى جدرانها (رمايات) ونوافذها صغيرة وقليلة بعكس نوافذ الحديدة وسلالمها لولبية ضيقة وهذا شأن البناء فى جميع القرى الجبلية فى اليمن فهى تشبه القلاع ، لأن اليمانيين منذ الأزل كانوا فى قتال دائم بعضهم مع بعض ، ولذلك كانوا يختارون تلالاً منيعة يبنون عليها مساكنهم ويحصنونها على الطريقة الآنفة الذكر ، فلو مر المرء ولو على بعد بضع مئات من الأمتار ، فى جانب القرية فانه لا يكاد يتبينها ، أولاً لأنها من لون الجبل المبنية عليه ، وثانياً لانها فى الغالب تبنى فى زاوية مستورة من التل لكى لا تتعرض للأنظار كثيراً ، وغرف معظم منازل الجبال صغيرة وذات منافذ قليلة ،وقد قست مرة إحدى الغرف فى قرية معبر فوجدت ارتفاع بابها ثلاثة أقدام ونصف وفى الغرفة عادة ثلاث أو أربعة نوافذ صغيرة وكبيرة ، أما الصغيرة فطولها سبع قراريط والكبيرة فطولها ثلاثة عشر قيراطاً وعرضها ثمانية ، وطول الغرفة ثلاثة عشر قدما وعرضها ثمانية اقدام وارتفاع سقفها سبعة أقدام

نهضت فى وسل مبكراً وصعدت الى سطح عال فشاهدت منظراً لم أر مثله فى حياتى (إلا فى قمة جبال الشيخ ورأس ظهور أبو الجن فى جبل سرعايا) وذلك انى وجدت

نفسى أعلى من الغيم الذى كان يمر تحـتى بسرعـة زائدة ، ورأيت حولى جبـالاً عظيمة تناطح الجوزاء يعلو رأسها فوق السحاب تيهاً واستكباراً ، وكان القمر يرسل أشعته الضعيفة من خلال الغيوم فى الجهة الغربية فيكسبها لوناً تحار فى جماله العقول ، وان هى إلا برهة من الزمن حتى ودعتنى البقيـة الباقية من حشاشة أنواره اللطيفـة وبزغت من الشرق أشعة الغزالة القوية الكثيفة فاخذت تبدد جموع تلك الغيوم وتضىء الجبال والأودية والسهول فتظهر عظمة الخالق الجبار فى هذه الديار

وتعلو قريـة وسل عن سطح البحر ٤٤١٠ أقدام وقد سرنا منها عقيب طلوع الشمس وكانت طريقنا فوق جبال وعرة شاهدنا فى وديانها وعلى منحدراتها شـجر القات وشجر البن والصبارة والياسمين البرى والرياحين وأنواعاً مختلفة من الازهار ذات الروائح العطرية الذكيـة وأنواعاً كثيرة وغريبة من الأطيـار وفى جملتها البلبـل والعندليب والهزار

وصلنا نحو الظهر الى قرية صغيرة بين وسل ومناخه ويقال لها العتّاره فشاهدت قربها منظراً خالف الأمثال السائرة ، وأثبت انه لا بد لكل قاعدة من شواذ اذ يقولون فى الامثال «ان الصيف والشتاء لا يجتمعان على سطح واحد» وهنا شاهدت صيفاً وشتاء وخريفاً فى آن واحد رأيت حقولاً من القمح والشعير بعضها خضراء يانعة وبعضها صفراء يابسة وبعضها تزرع زرعاً جديداً، وقفت بالقرب من تلك القرية الجميلة وسرحت نظرى فى ذلك الوادى الصغير فاذا به آية من آيات الجمال ، تظهر فيه مقدرة الاله العظيم المتعالى ، فالفصل فصل شتاء ، ولـكن لا برد هنالك ولا أمطار ، ونحن فوق جبال عالية كجبال لبنان ، هواؤها عليل وماؤها سلسبيل وشجرها كثير وساؤها جميل ، تنساب بين هضابها عين ماء لا تسقى من الزرع الا القليـل ، ولـكنها تشفى العليـل وتروى الغليل

ودعت هذا المنظر وبودى لا أودعه وصعدنا فى طريقنا الى مناخه ، فرأيت جبالاً مزروعة ذرة وحـنطة وشعيراً ولا يكاد الانسان يرى فيها قطعة صغيرة صالحة للزرع لم يحولها القرويون الى حقول زراعية غرسوها حنطة أو شعيراً أو قاتاً أو بنا . وهذا مما

يدل على ان اليانيين منذ القديم أهل جد ونشاط وإذا رأيناهم اليوم متأخرين عن غيرهم من الأمم فلا شك ان ذلك يعود الى الامبراطورية العثمانية التي أهملت شأن اليمن كما أهملت غيره من الاقطار العربية كل الاهمال وكانت تعتبر بلاد اليمن مستعمرة حقيرة



واد بالقرب من قرية العتارة

وتعامل أهلها معاملة سيئة ، ولم يكن لها همّ غير جباية الضرائب وارسالها الى العاصمة العثمانية اشباعا لبطن عاهلها ورجاله . واذا طاف المرء بلاد اليمن من أقصاها الى أقصاها لا يجد للدولة العثمانية أثراً من آثار المدنية غير الحصون والقلاع وبعض المستشفيات العسكرية والأسلاك البرقية ومدرسة أو مدرستين للصناعة . وكان رجال العهد البائد في تركيا لا يرسلون إلى اليمن إلا كل مغضوب عليه من الموظفين الملكيين والعسكريين ، غير ناظرين الى المقدرة العلمية والأهلية الشخصية ، فكان هؤلاء الموظفون يسيئون استعمال وظائفهم ويرتكبون الموبقات والمحرمات ويتناولون الهدايا

والرشـوات ، وهذا مما أثار خواطر اليابيين وجعلهم فى اضطراب دائم مع الحـكومة العثمانية ولم يتمكن الـترك من صيانة الأمن فى اليمن مـدة حكمهم ، أما اليوم فبفضل صاحب الجلالة الامام يحيى حميد الدين ورجال حكومته الأفذاذ أصبحت بلاد اليمن من أفضل بلاد العالم أمنـاً ، ويمكن للمرء أن يسير بمفرده فى طول الـبلاد وعرضها فـلا يعترضه أحد ولا يعتـدى عليه أحد. والسر فى ذلك شـدة حرص الامام على تطبيـق قواعد الشريعة الاسلامية الغراء على جميع من تحدثه نفسه بالاخلال بالأمن أوالتعدى على الغير، ولا فرق عند جلالته بين الحقير والرفيع والفقير والغنى ؛ فالقاتل يقتل حالاً والسارق تقطع يده بلا رحمة أو شفقة ، والزانى يجلد ويشهر . وهلم جرا . . .

أساطير وترهات ... يذيعها الاوربيون

لا خلاف دينى بين الزيود والشوافع ؟

وكان رجال الدولة العثمانية فى جميع أيام حكمهم لليمن يسعون الى بذر بذور الشقاق بين أهل البلاد فتارة كانوا يستميلون اليهم الشوافع ويضربون بهم الزيود وتارة كانوا يستعينون ببعض الزيود لضرب الشوافع ، وقد بثوا داخل بلاد اليمن وخارجها دعاية باطلة خلاصتها أن الزيود والشـوافع لا يحب بعضهم بعضاً وانهـم يتحينون الفرص لايقاع بعضهم ببعض ، وان هنالك اختلافا فى العقائد الدينية بينهم . ومما يؤسف له ان نجد بعض كتاب الغرب فى هذا الوقت يأخذون بهذه الدعاية فيكتبون عن الغرب فصولا فى هذا الباب كلها أباطيل

أما لا أنـكر أن هنالك بعض اختـلافات مذهبية ثانوية بين الشـوافع والزيود ولـكنى لا أعيرها أية أهمية ، لأنه لا شأن لها من الوجهة القومية ولا من الوجهة الدينية واليك بعض الأمثلة

يجوز عند الزيود تحليف اليمين للمدعى والمدعى عليه ولا يجوز عندهم أن يقال آمين فى نهاية قراءة فاتحة القرآن الـكريم . وفى الطلاق ، لا يعتبر الزيود قول الرجل لامرأته

طلقتك ثلاثاً الا بمثابة قوله طلقتك مرة واحدة فيجب على من أراد طلاق امرأته ثلاثاً أن يعيد هذه العبارة ثلاث مرات، ولا يعترف الزيود بخليفة مالم يكن من آل البيت الى غير ذلك من الاختلافات اليسيرة . والزيود جمع (زيدى) نسبة الى زيد بن على ومذهب زيد بن على فرع من فروع مذاهب المعتزلة، فلا يجوز والحالة هذه أن يطعن فى الزيود من الوجهة الدينية وما من عاقل من المسلمين يجرؤ على الطعن فى مذهب زيد بن على وقد قال أحد الأدباء الذين زاروا اليمن فى كتاب كتبه عن رحلته ان حكم الامام يحيى فى اليمن حكم زيدى لا حكم عربى وان الشوافع ليسوا راضين عنه وانهم محرومون من الوظائف وهذه الأقوال مبالغ فيها كثيرا فجلالة الامام يحكم جميع البلاد على السواء ولا يفرق بين حقوق رعيته لاختلاف مذهبهم أوديهم وهو لا يحترم الشوافع فقط بل يحترم اليهود أيضاً الذين هم أقلية ضئيلة ويعاملهم كمعاملة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم فى صدر الاسلام لأهل الذمة ، وأما الشوافع فهو يحترمهم كثيراً ويعتمد على بعض كبار رجالهم وقد عين منهم الكثيرين فى وظائف مختلفة ، فالمزجاجى من الشوافع وهو عامل الامام فى لحية وأخوه عبد الله عامل فى زبيد ومحمد باسلامه عامل آب وهو أيضاً من الشوافع ومأمور حربية الامام من الشوافع واسمه الحاج لطف . كما أن كثيرين من أئمة الجوامع هم من الشوافع ، والمثال على ذلك الشيخ طاهر امام جامع بئر العرب فى صنعاء . وجميع من ذكرت هم من الموظفين الكبار وأما الموظفون الصغار من الشوافع المستخدمون فى اليمن لا يحصى عددهم، كما ان وزير خارجية الامام القاضى محمد راغب هو من الشوافع أيضاً وينتسب الى أصل تركى

ويجدر بالذكر هنا أن معظم الكتاب الذين كتبوا عن اليمن عقيب الحرب العامة لا تخلو كتاباتهم من الدعايات والأغراض وذلك لأن بعض الدول الأجنبية أخذت تتزاحم على هذه البلاد ولا تمر سنة الا ونجد فى صنعاء مندوبين كثيرين أوفدتهم دول مختلفة أو شركات أجنبية لمفاوضة جلالة الامام فى بعض الشؤون السياسية والاقتصادية وقد اتفق انى عند ما زرت صنعاء فى احدى رحلاتى المتعددة كانت فيها وفود ألمانية

واميركية وايطالية وريطانية وروسية وبكل أسف أقول ان هده الدول وتلك الشركات وجدت لنفسها خارج بلاد اليمن بعض الدعاة المأجورين الذين أخذوا يكتبون عن اليمن أشياء كثيرة تسويدا لصفحته ومعظم هذه الأشياء افتراء واختلاق

عفواً أيها القارئ الكريم لقد شططت بك عن سبيل الرحلة وطرقت أبوابا سياسية وذلك لتكون على بينة مما يحاك للبلاد العربية المستقلة من الدسائس الأجنبية لتمزيقها والاستيلاء عليها

هؤلاء يهود من أهل الذمة

يطيلون سوالفهم ويحللون الخمر ولا يحملون السلاح

ويحظر عليهم أن يركبوا الخيل لانها علامة الفروسية !!

وفى الطريق ظهرت لنا مساحة ، وهى تشبه صهوة الفرس من حيث شكل ملأها ولما وصلنا اليها ذهبنا توا الى دار الحكومة فوجدنا العامل وثلة من الجند فى انتظارنا وقد اعدت لنا فى « السراى » نفسها غرف للاستراحة والنوم ، ولكن رغبتنا فى رؤية البلدة ، حملتنا على تقصير مدة الاستراحة ، فما كدنا نستريح قليلا ، حتى خرجنا لمشاهدة البلد

تبعنا فى الطريق جم غفير من الرجال والاولاد ، وقد لاحظت أن بينهم أشخاصاً يختلفون عن غيرهم ، سواء بالسوالف الطويلة ، أو بالالبسة و « الحبيات » — أى الخناجر — وبينما كنت اشاهد أهل تهامة وأهل القرى التى مررت بها فى أول الحال يلبسون عمائم مختلفة ، وجدت هنا جماعة يلبسون عمائم وغيرهم يلبسون (لبدا) بعضهم لف عليها قطعاً من القماش ولا يشدون الى وسطهم كغيرهم من أهل البلاد الحبيات أى المدى ولا يحملون عتادا ولا سلاحاً ، فسألت عنهم فقيل لى هؤلاء يهود من أهل الذمة ، فقلت ولماذا يرخون سوالفهم ولا يحملون سلاحاً ؟ فقيل لى : اما اطلاق السوالف فعادة من عاداتهم وأما حمل السلاح فمحظور عليهم من قبل الحكومة ، ومحظور عليهم ايضاً ركوب الجمال والخيل ، لأنها علامة الفروسية ولكن يسمح لهم

بركوب البغال والحمير بشرط انهم اذا قابلوا أحداً من السادة يترلون عنها احتراماً لهم وتعظيما
طفت أسواق البلد فوجدتها ضيقة وحقيرة وشاهدت فى محازنها كثيرا من الاقمشة والشمع والتنباك والخردوات الاوربية وأكثرها من مصنوعات المانيا وكميات وافرة من السكاكر والحلوى والفواكه وصلت الى طرف البلد الشمالى الشرقى فوجدته فى عزلة عن البلد وتختلف هندسة أبنيته عن غيرها من الأبنية وهى أصغر منها وأحقر فسألت



توراة يهودية مكتوبة على رق غزال وقد وقف الى جانبها الحاخام

عن هذا الحى الحقير فقيل لى هذا هو حى اليهود وقد شاهدت فيه كثيراً من السيدات والاولاد فرأيت ألبستهم تختلف عن ألبسة أولاد المسلمين ونسائهم فالسيدات اليهوديات يسدلن على رؤوسهن نقابا اسود ويلبسن فوق هذا النقاب قبعة (مزركشة) بالقصب والفضة وتبقى وجوههن سافرة بينما المسلمات القرويات وحدهن سافرات وأما المسلمات فى المدن فيضعن حجاباً يستر رؤوسهن وعيونهن ووجوههن وتسدل

اطرافه حتى الكواهل فلا يظهر منهن شيء محرم أومحلل وقد لاحظت أن اليهوديات القرويات تختلف هيآتهن كثيراً عن هيئة السيدات المسلمات وذلك لاختلاطهن بغير جنسهن أيام الدولة العثمانية

أردت أن اصور ولداً يهودياً فغضب أحد أولاد المسلمين الذى كان مرافقاً لموكبي المختلط وشتم اليهودي بقوله له : اذهب ياخبيث ، ياشارب الخمر ! فغضب اليهودى لهذه الاهانة وقال لرفيقه المسلم ! تعال معى نذهب الى العامل فاشكوك اليه وهذا الغريب ـ وأشار الى ـ يشهد عليك ، واذا كنت شجاعاً حقاً فاعترف أمامه بهذه الشتيمة ! فلم يجسر الولد المسلم أن ينبس ببنت شفة ، أمام هـذا التهديد لأن قانون اليمن الخاص بمعاملة أهل الذمة صارم جداً . فكل من يشتم ذمياً أو يعتدى عليه يسجن ويغرم بتقديم ذبيحة اما بقرة أو حمل أو نعجة لتذبح وتوزع على الفقراء . وياحبذا لوكان اليهود الصهيونيون الذين أموا فلسطين يتحدثون من هذه المعاملة درساوعظة

ويوجد لليهود فى صنعاء كنيس خاص ولهم أيضاً مدارس خاصة وهم يمارسون صلاتهم وعاداتهم على الطريقة التى يريدونها ويعلمون أولادهم وبناتهم فى مدارسهم كما يشاؤون لا وفقاً لبرامج الحكومة المحلية . وتوجد فى كل معبد من معابدهم توراة قديمة مكتوبة على رق الغزال باللغة العبرية وعندهم أيضاً بعض كتب التوراة من مطبوعات النمسا أرسلتها لهم الجمعيات الصهيونية من الخارج ولقد سألت كثيرين من اليهود الذين قابلتهم فى اليمن هل هم مسرورون من معاملة المسلمين لهم أم لا ؟ فأجابنى الجميع أنهم مسرورون جدا وانهم يتمتعون بحقوق لا يتمتع بها المسلمون أنفسهم فهم لايدفعون ضرائب ولا أعشاراً ولا فطرة ولا رسوما بل يدفعون الجزية وهى شيء زهيد بالنسبة الى ما يدفعه المكلف المسلم الى حكومته من أنواع الضرائب المختلفة ، وجميع الصناعات اليدوية فى أيديهم فترى النجار والحداد والصائغ والبناء والمعمار والتاجر والصيرفى الخ منهم ، وهم يصنعون الخمر ويشربونها فلا تمنعهم الحكومة ولكنها لا تأذن لهم أن يبيعوها للمسلمين .



اليماني يجوع في سبيل «القات»

مجلس القات ، كيف يصنعونه ، وما هي لذته ؟

عدت من طوافي في البلد وذهبت الى دار العامل لأرد له الزيارة فوجدت عند باب داره بعض الجنود ، فطلبت إلى أحدهم أن يبلغه اني بالباب أريد زيارته ، وما هي الا لحظة حتى عاد الجندي قائلا تفضل ! فدخلت خلفه ، الى ردهة كبيرة ولكنها مظلمة لفقدان النوافذ فيها ! ولشدة النور في خارجها وضعفه في داخلها صرت أتخبط في الظلام لاأعرف طريقي فقادني الجندي كما يقود صحيح البصر الأعمى الى درج لولبي ضيق يشبه درج المآذن عندنا فصعدته بعناء الى أن وصلت الى الدور الثالث وهنالك كانت بعض الأشعة تنبعث من نوافذ صغيرة ورأيت بابا كبيرا مقفلا فقرعه

الجندى فما لبث أن فتح مدخلته فوجدت حضرة العامل وحوله بعض كبار الموظفين فى الحكومة ووجوه البلد وكانوا جالسين على طنافس صغيرة مفروشة بسجاد عجمى وجميعهم يدخنون (الاركيله) ويمضغون القات[1] ، فقلت السلام عليكم فأجاب الجميع عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ونهضوا على الأقدام : وتقدم العامل الى وصافحنى مرحباً بى ترحيباً جميلاً وأجلسنى الى جانبه وقال : أرجو غض النظر عن استقبالك هنا (أى فى هذه الغرفة الصغيرة) فنحن بمجلس القات ! فقلت انى مسرور جداً بأن أشاهد القات ومجلسه . فقدم لى حضرته رزمة من القات وقال : (هيا كل !) وهم يقولون أ كلَ القاتَ وجز ته عنى مضغه فشكرته على هديته وأخذت بضع أوراق من هذا النبات العجيب ووضعتها بفمى وأخذت أمضغها فوجدت فيها طعما غريباً لم أذق مثله فى حياتى ولكنى لم أجد فيه لذة ما بل بالعكس نفرت منه نفسى

سرحت طرفى فى تلك الغرفة الصغيرة فرأيت فيها أربع نوافذ جميعها مقفلة وفى وسطها اناء (صدر) كبير من النحاس الأصفر وضعت عليه الارا كيل ، وتصنع الارا كيل فى الغالب من النحاس ويعنون بها عناية عظيمة ويسمونها (مداعة) ولها عندهم أسماء متعددة منها المدعى (بكسر الميم والعين) والمرة وتصنع من الفخار و(العرشى) وتصنع من الحديد ، والكركر (بضم الكافين) الى غير ذلك من الأسماء الغريبة وأما (العريش) المستعمل فى اليمن فيبلغ طوله نحو أربعة أمتار وله غلاف من الحرير المزركش يباهى صاحبه به ويبرهن عن مقدار ذوقه فى اختيار الألوان الجميلة وكان الدخان فى غرفة العامل يتصاعد من هذه الارا كيل بكثرة وقد فسد هواء الغرفة من النفس المحصور ودخان الارا كيل فشعرت بانقباض فى صدرى فسألت العامل لماذا لا تفتحون هذه النوافذ فيتغير هواء الغرفة؟ فقال من البرد، انا نخشى البرد كثيراً وجبالنا كما تراها باردة والبرد مضر بالصحة ، وأردف قائلا وهل عندكم فى بلادكم برد كبردنا ، فقلت نعم ان بلادنا أبرد من بلادكم كثيرا وفى الشتاء تهطل الثلوج على جبالها مراراً ومع ذلك فنحن نفتح نوافذ بيوتنا كل يوم أ كثر من مرة لتغيير هوائها . فقال حضرته ان

(١) يلفظون «القاف» كالجيم المصرية

ردالیمن مصر فاذا تعرض له الانسان فلا شك انه يمرض فورا. فسكت لهذاالجواب بالرغم من عدم قناعتي به وحولت نظري الى بعض الجلوس فرأيتهم منهمكين بمضغ القات وأمام كل واحد منهم رزمة كبيرة والى جانبها اريق فخاري ومبصقة فضية،أما الاريق فيستعمله ماضغ القات لجرعة منه بين حين وآخر وأما المبصقة فيستعملها للبصاق ولطرح بقية أوراق القات التي يمضغها والتي لا يبلعها بل يمص ماءها ثم يطرحها من فمه في المبصقة . ويدوم مجلس القات من بعد الغداء ظهرا حتى المساء

والقات نبات غريب فيه مادة مخدرة ويقال له بالانكليزية (كاتا اديوس) أو (فورسكالى) ومن خصائصه انه يؤثر في الأعصاب فيخدرها فيشعر المرء بسبط وانشراح ويقول الاطباء انه مضر بالصحة كثيرا لانه يقلل من شهية الانسان للطعام ويزيد فيه الميل الى شرب الماء ويضر بالاسنان ويسودها ، وبالمعدة فيقال من عصيرها وبالنسل فيضعفه . وبالرغم من جميع هذه المضار وبالرغم من علم أهل اليمن بها فهم يمتدحونه وينشدون القصائد بمزاياه ويستعملونه بأجمعهم ماعدا صاحب الجلالة الامام يحيى فقد منعه طبيبه الخاص عن استعماله منذ عدة سنوات ولا يزال جلالته ممتنعاً عنه الى هذا اليوم

ولكن أسف أقول ان اليمانيين يضيعون ثروتهم ووقتهم في القات لافرق في ذلك بين سيد ومسود وغني وصعلوك وتجد الصانع الذي يشتغل كل نهاره بفرنك واحد ينفق معظمه على القات ويهتم للحصول عليه أكثر من اهتمامه للحصول على قوته الضروري. وقد سمعت الكثيرين يقولون انهم يفضلونه على الطعام والشراب

ويغرس شجر القات كما يغرس البن في الأودية المرتفعة التي لا تتعرض لحرارة الشمس الحادة الا بضع ساعات في اليوم وتوجد منه أنواع مختلفة تختلف أسماؤها باختلاف المكان الذي تزدمه وتغرس فيه فهنالك قات الوادي والقات التعري والبرعي والريمي نسبة الى قرى الوادي وتعز وبرع وريما ويشبه القات بعض الشبه الجوز الصغير عندنا ويبلغ طول شجرته أحياناً خمسة أمتار ويمتاز بعض الانواع عن بعضها بالحلاوة والطول والقات أثمن وأغلى نبات في اليمن وتساوي الرزمة الصغيرة من غصونه نحو

ثلاثة فرنكات . ومن ألطف ما سمعت عن القات ان اللصوص أيام الدولة العثمانية كانوا يتعرضون للقوافل وينهبونها ولكنهم كانوا دوماً يسمحون لتجار القات أن يمروا فى طريقهم دون أن يتعرضوا لهم بأذى

جلست فى مجلس القات نحو ربع ساعة كدت أفقد فيها صوابى لشدة الدخان واحتباس الهواء وأخيراً استأذنت العامل بالانصراف فأذن لى بعد ان استوضحنى عن راحتنا وعن مأكلنا ومشربنا وهل نحن فى حاجة الى أى مساعدة ؟ فقلت اننا والحمد لله على غاية مايرام وعدت إلى السراى

ثورة الزرانيق على اليمن

أولاد الأمراء والوجوه رهائن عند الامام

رأيت من نافذة غرفتى فى السراى صبية يلعبون فى صحن دار متسعة ظننتها لأول وهلة مدرسة ولكن سرعان ما تبدل هذا الظن إذ رأيت بالقرب منهم جنديا حاملاً بندقيته ، وواقفاً لحراستهم ، وقد دهشت لهذا المشهد الغريب وسألت البعض عن أمر هؤلاء الصبية ، فقيل لى هؤلاء من الرهائن !

وقد اعتاد أئمة اليمن وغيرهم من أمراء العرب وملوكهم فى العصور الأولى أن يحكموا البلاد على طريقة الرهائن فكانوا يأخذون ممن يولونه الحكم فى صقع من الأصقاع ولداً من أولاده أو أخا من اخوته فيحفظونه عندهم رهينة لكى يأمنوا شر ذلك الحاكم أو العامل فلا يقدم على العصيان أو التمرد إذا قويت شوكته وعظمت دولته حفظاً لحياة ابنه أو اخيه ، ويأخذون أيضاً الرهائن من معظم وجوه البلاد النائية وشيوخها ليأمنوا شرهم . وقد عاب البعض على جلالة الامام هذا النوع من الحكم ونعتوه (بالدمل) ولكنهم لو أنصفوا لعذروه عليه لان بلاد اليمن بقيت فى حكم الدولة العثمانية ٤٠٠ سنة وهى فى فوضى دائمة القوى يأكل الضعيف والناس فى حرب مستمرة بعضهم مع بعض ، وهم بطبيعتهم ميالون الى الغزو فلا يستطيع الحاكم أن يحصد شوكتهم الا بشىء من الارهاب والشدة . وطريقة الرهائن هى من جملة الطرق التى

استعملها الامام حتى قضى على الفوضى فى البلاد . وهى معروفة عند الغربيين ومستعملة عندهم الى هذا اليوم ويسمونها (بالاقامة الاجبارية ـ ريزيداس فورسيه)

مدير المال

قابلت فى مناخه مدير المال فسألته عن واردات قضائه فقال ان مناخه مركز لقضاء (حراز) وهذا القضاء من أغنى أقضية اليمن وأكبرها ، وفيه شيء كثير من البن والقات وخصوصاً فى الجبل القريب المدعو (صعفان) وقال ان عائداته تبلغ فى السنة ٣٠٠٠٠ الف ريال تساوى أى ثلاثة آلاف جنيه انكليزى ، ويقصدون بالعائدات واردات الجمرك ، وأما بقية الضرائب فتبلغ ألوفا متعددة من الريالات تختلف فى بعض السنين بحسب جودة الموسم وكثرة الأمطار أوقلتها

وتستوفى الضرائب عينا أو بدلا ، ومنها الاعشار والزكاة والويركو . وجميع البضائع التى تدخل مناخه يستوفون عنها اثنين ونصفاً بالمائة ضريبة جمركية ، هذا إذا لم تكن مرسلة (ترانزيت) إلى صنعاء

اطلعت على دفتر حسابات مدير المال فاذا به من دفاتر الترك القديمة وبقيد حضرته حساباته فيه من دخل وخرج بالعملة الفضية والعملة الذهبية . ولم تمن حكومة اليمن إلى هذا اليـــوم تطبع أوراق خاصــة بمعاملاتهـــا وهى لا تزال تستعمل دفاتر الدولة العثمانية وأوراقها

جبل صعفان

جبل صعفان جبـــل مشهور بالقرب من مناخه وهو غنى ببنه وقاته وموزه وغير ذلك من الأثمار والنباتات ، وقــد تنازعه الامام يحيى والادريسى عقب الحرب العامة ووقعت فيه معارك كثيرة وقد حدثنى البعض عن هذه المعارك قال احتل الادريسى هذا الجبل عندما انسحبت جيوش الدولة العثمانية من اليمن وجرت فيه معارك تشيب من هولها الاطفال ، وخاصة فى احدى قراه الغنية التى يقال لها قرية (الخراج)وكان النـــصر تارة للزيود وطوراً للشوافــع ، وقــد تجلى هنها مقدار تأثير طبيعة الأراضى

فى المحاربين . فالزيود رجال الامام من أهل الجبال ، والشوافع من أهل السهول، فكان النصر فى الجبال دائماً حليف الزيود ، وكان النصر فى تهامة غالباً حليف الشوافع

وقد أدرك كل من الفريقين المتحاربين نقطة الضعف فى خصمه ، فكان الزيود أحيانا يتقهقرون أمام الشوافع فى أسفل جبل صعمان ويفسحون لهم المجال للتوغل فيه ثم يحملون عليهم ويقتلونهم على بكرة أبيهم وهكذا كان الحال مع الشوافع فكثيراً ما أفسحوا المجال للزيود فى تهامة وتغاضوا عنهم الى وقت الظهر أى إلى وقت اشتداد الحر عندئذ يهاجمونهم وفى أغلب الاحيان ينتصرون عليهم ونسيهى أن أهل الجبال قد ألفوا اعتدال الهواء والماء وليس بمقدرتهم أن يتحملوا شدة حرارة تهامة كما يتحملها أهلها الذين نشوا وشابوا فيها ولذلك طال الحرب بين جنود الامام وجنود الادريسى وكان النصر بينهما سجالا ولكن فى نهاية الامر تغلب رجال الامام على رجال الادريسى ومزقوهم شر ممزق واستولوا على باجل والحديدة وجميع تهامة الى حدود امارة الادريسى فى عسير

ثورة الزرانيق واحتلال الانكليز

للصالح وقمطنة

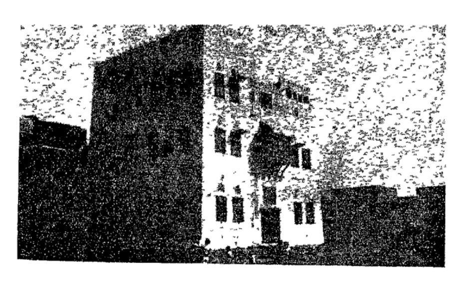
ولما كان الشئ بالشئ يذكر ، ما دمنا أتينا آنفاً على بيان حروب الامام والادريسى فلا بأس من أن نذكر شيئاً عن ثورة الزرانيق تلك الثورة المطيمة التى قتل فيها ألوف كثيرة من المسلمين الابرياء فى سبيل المطامع الاجنبية . وقد وقعت هذه الثورة سنة ١٩٢٩ وصادف انى كنت فى تلك السنة فى اليمن وقد شاهدت الجنود المتوكلية تساق لمقاتلتها من كل حدب وصوب

تقطن قبيلة الزرانيق فى تهامة ما بين الحديدة وزبيد وأهم مدنها بيت الفقيه ويقال ان عدد نفوسها يبلغ نحو ٩٠٠٠٠ جميعهم من الشوافع ولم تستطع الدولة العثمانية كل مدة اقامتها باليمن اخضاع هذه القبيلة لشدة بأسها ومراسها وكانت كثيراً ما تضطر الى التساهل معها بشأن تعديها على القوافل والمسافرين وتقدم لكبار شيوخها المال والهدايا باسم الاخوة والصداقة ، ولما استولى جلالة الامام على تهامة والحديدة ترك هذه القبيلة

وشأنها ولم يتعرض لها بخير أو شر وهي بدورها حافظت عدة سنوات على السكينة التامة ولم تعتد على القوافل ولا على المسافرين، ولكن لما وقعت الواقعة بين جلالة الامام وجيرانه البريطانيين واختلفوا على حدود ولاية عدن المحمية ، وادعى البريطانيون ان الضالع وقعطبه وغيرهما من البلاد الواقعة الى جنوب اليمن والتي هي بيد جلالة الامام هي ضمن الاراضي التي وافق الترك على ضمها لنواحي عدن التسع المحمية بموجب معاهدة فطلبوا من الامام التنازل عنها فرفض الامام ذلك الطلب لان هذه البلاد في عرف جلالته وعرف حكومته جزء لا يتجزأ من اليمن وبناء على تمسكه ورفضه التسليم بما ادعى الانكليز هاجموه بطياراتهم وجيوشهم على حين غرة وانتزعوا هذه البلاد منه وأخذوها عنوة. والسر في أخذهم لها هو أنها غنية بالمعادن كالزئبق والرصاص وهواؤها عليل ومناخها جيد وهم يريدون أن يبنوا فيها مستشفى لجيوشهم المحتلة لعدن ويتخذونها مصيفا لهم ولعائلاتهم القاطنة في عدن وقد أتموا تعبيد طريق بينها وبين عدن حالما استولوا عليها

وفي نفس الوقت الذي هاجم فيه الانكليز جنوب اليمن قدم الشيخ احمد الفتيني كبير شيوخ قبيلة الزرانيق الى حمية الامم احتجاجا على استيلاء جلالة الامام يحيى على تهامة والحديدة بدعوى ان هذه البلاد جزء متمم لاملاك الزرانيق ويقول بعض العارفين ان هنالك علاقة بين هجوم البريطانيين على اليمن وبين حركة الزرانيق والله أعلم وقد أخذت عصابات من الزرانيق تسلب وتنهب على الطرقات في رابعة النهار وبلغ من جرأتهم أن هاجموا مخفراً من مخافر جند الامام في جنوب الحديدة وقتلوا جنديين من جنوده فغضب جلالة الامام من تصرفات الزرانيق غضبا شديداً وأرسل حملة بقيادة احد السادة للتنكيل بالعصاة فاجتمع شيوخهم بالسيد المشار اليه وبكروا به ووعدوه بتسليم العصاة والمجرمين ودعوه الى مكان قريب من بيت الفقيه وهناك غدروا به وبجنوده وقتلوهم شر قتلة لم يطق جلالة الامام صبراً على هذه الخيانة التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ العرب فانتدب ولي عهده صاحب السمو احمد سيف الاسلام لتأديبهم والاستيلاء على بلادهم فسار سموه على رأس قوة كبيرة من مركزه في حجة في

طريقه الى بلاد الزرانيق ومر بالحديدة ولكنه لم يدخلها اذ بلغه أن الأهلين قد أقاموا له الزينات واستعدوا لاستقباله استعداداً فخماً وكان جوابه لهم أنه من العار علينا أن نقوم بمثل هذه التظاهرات وسام على العرش الوثيرة والى جانبنا عدونا يعيث في الأرض فساداً ويسلب راحة الأهلين ويعتدى على أرواحهم وحلالهم ومن المشهور عن سموه شدة ديموقراطيته وعلو همته وعظيم بسالته وشجاعته وميله وعطفه على المظلوم وكرهه للظالم، وهو ربع القامة حنطى اللون ذو عينين سوداوين تتقدان ذكاء ونشاطاً، محبوب من جنده ومن الطبقة العامة حباً جماً، ولكنه محسود ... يحسده بعض الخاصة لبروز هذه الصفات الكريمة فيه، اذا رآه المرء في معسكره راكباً أو جالساً فلا يفرق بينه وبين أى جندى من جنوده لأنه يلبس لباسهم ويأكل طعامهم ويتزيا بزيهم، سار سموه الى بلاد الزرانيق فاحتل بلاد المراوعة والدريهمة بعد مصادمات عنيفة وشعر بان الزرانيق متصلون بأكثر من واحدة من الدول العظمى عن طريق البحر وانهم يجلبون منها العتاد والسلاح فادرك للحال خطورة الموقف وبدلا من أن يوجه أفكاره نحو داخلية البلاد استولى أولا على شواطئها البحرية فاحتل الجاح والطائف ـ وهى غير طائف



سراى الحكومة فى بيت الفقيه وقد أمر جلالة الامام ببنائها بعد احتلال المدينة

الحجاز طبعاً ـ وميناء عليفقه وأقام فيها حصوناً وحرساً للشواطئ واستولى على مراكب الزرانيق الشراعية وأرسلها الى الحديدة وبذلك تم له مايريد ومنع الزرانيق من الوصول الى البحر وأحاط بهم احاطة السوار بالمعصم وقطع عنهم كل مدد خارجي .

أدرك الزرانيق شدة الخطر المحدق بهم ففر شيخهم الأكبر مسبب هـذه الثورة أحمد الفتيني والتجأ الى أصدقائه الانكليز فى جزيرة قمران التى تقع على مسيرة يوم الى شمال الحديدة واستسلم بعض الشيوخ الى سيف الاسلام دون قيـد أو شرط ، وأسر سموه خلقاً كثيراً من أعدائه واكره معظمهم على الالتجاء الى بيت الفقيه وحصرهم فيها

ولما رأى جلالة الامام شدة الضرر الذى لحق بهذه القبيلة أمر ولى عهده بحصار بيت الفقيه وهى أعظم مدنهم وعدم مهاجمتها وذلك رحمة بارواح الجميع فامتثل سموه لارادة والده وشدد الحصار عليها فبلغ ثمن رطل الحليب ريالا اماميا أى خمسين ضعف ثمنه فى الاوقات العادية وبلغ ثمن رطل الخبز أربعين ضعفاً فلم يطق الزرانيق الدوام على هذا الحصار فاستسلموا الى سيف الاسلام وأعطوه الرهائن أسوة بغيرهم من القبائل .

نقيل الشجة

زرنا فى مناخه التى يبلغ علوها ٧٣٣٠ قدما فى نقيل يقال له نقيل الشجة ويطلق لفظ النقيل فى اليمن على الطريق الجبلية الوعرة . وكانت الأمطار تهطل رذاذاً ، وقد شاهدت فى هذا الطريق الجمال الجبلية الضخمة تنقل أثقالا عظيمة غير مبالية بالصعود والهبوط ولا مكترثة بالوعر والجبل ، ولا شك أن القارئ يدهش متى علم أن الجمال تصعد الى علو ١٠٫٠٠٠ قدم بأحمالها الثقيلة على طريق لا تسلكها غير القردة والنعال والماعز ، وشاهدت أيضاً فى هذا النقيل نسوة ينقلن حطباً على رؤوسهن من أسـفل الوادى السحيق الى مناخـة ولو أن القـرويين شجروا جبلهم لوفروا على نسائهم عناء كثيراً ، ومما لاريب فيه أن الأشجار تنمو فى هذا الجبل نمواً حسناً ، ولا شك انها كانت كثيرة فى الزمن الغابر لأنى شاهدت بقاياها على جنبات الوادى



اسرى من الزرانيق يساقون الى الحد وقد ربطوا الى رقابهم الحبال

حصن المكارمة

فى منتصف هذا الوادى رأيت على رابية قريبة من الطريق حصناً كبيراً حوله بعض المنازل فسألت أحد الجنود عنه فقال لى كان هذا الحصن أيام الدولة العثمانية مخفرا للجنود ، وهو حصن رجل من المكارمة يقال له اسماعيل ، والمكارمة فئة من الاسماعيلية أتوا اليمن من الهند وتوطنوا فى قضاء حراز ويقطن معظمهم فى جبل مناخه الشرقى

ويبلغ عدد نفوسهم فى هذا الجبل نحو عشرة آلاف ، ولهم عادات خاصة وعادات خاصة . وقد حاربوا الامام مدة من الزمان ولكنهم غلبوا أخيرا على أمرهم ودخلوا فى طاعة الامام فأكرههم على تجديد اسلامهم والاقلاع عن عاداتهم الغريبة المخالفة للشريعة الاسلامية الغراء ، ومن بعض خرافاتهم أن الواحد منهم يذهب الى شيخه ويعقده مبلغا من المال يبتاع منه به ذراعاً فى الجنة وغنائم آخر يغفر له خطاياه ، ولكن بفضل الامام زالت هذه الخزعبلات اذ أرسل جلالته الى هؤلاء الناس أئمة صالحين من أهل العلم والفضل فلقنوهم قواعد الدين الحنيف وأرشدوهم الى عبادة الواحد الأحد فأقلعوا عن خرافاتهم وكفرهم . ولا يأخذ الامام منهم جنوداً نظامية ، ولكنهم عند الحاجة يدعون للجندية فيتطوعون من تلقاء أنفسهم لمقاتلة أعداء الامام . ويجدر بالذكر هنا أن شرف التجنيد فى الجيش المتوكلى لا يحصل عليه فى الدرجة الأولى الا من كان من حاشد أو بكيل ،وحاشد وبكيل هما أكثر قبائل اليمن نفوساً وأعلاهم كعباً وأعناهم زرعاً وأكثرهم ضرعا وهما ذراعا الامام اليمين واليسار وعليهما يعول عند الشدائد والملمات

وصلنا الى أسفل نقيل الشحة بعد أن مشينا ساعة ونصف ساعة هبطنا فيها ٢٥٣٠ قدما وما أكثر الصعود والهبوط على طريق الحديدة صنعاء وماأسخف القائلين بأنه فى الامكان الاستيلاء على صنعاء عن طريق الحديدة حربا، وقد شاهدت بعينى رأسى أماكن متعددة وعرة وحصينة لا أغالى اذا قلت ان عشرة جنود يحولون دون سير حملة منظمة كثيرة المدد والعدد .

سارت بنا الطريق من أسفل نقيل الشحة بين وديان وتلال لا تعد ولا تحصى وكان جبل الجيس امامنا وجبل مناخة خلفنا وهذان الجبلان عظيمان شاهقان يرتفع الأول ١٠٫٠٠٠ قدم عن سطح البحر ويعلو الثانى ٨٠٠٠ قدم وبينهما وديان وآكام وسلاسل من الجبال آخذ بعضها برقاب بعض ، وفيها بعض الأشجار المثمرة ويقال لها سدر وثمرها أحمر يشبه الزعرور ويأكله القرويون ويوجد فيها أشجار غير مثمرة ويقال لها القطر والعسق وهى تصلح للوقود

انقطعت الأمطار عند ما وصلنا الى اسفل الوادى واشرقت الشمس وارسلت أشعتها الذهبية فى الفضــاء فأعادت الى أجسامنا الحرارة الطبيعية فانشرح صدر أحد جنودنا لهذا المطر وأخذ ينشد بصوت رخيم نشيداً جميلا بنغم لطيف ، ولــكنى لم أفهم من ألفاظه شيئاً ؛ انما طربت كل الطرب لتلحينه وترتيــله وحلت نفسى فى حضرة محمد عبد الوهاب اليمنى ولما استقر بنا الجلوس بعد برهة وجيزة سألته : ماذا تنشد ؟ فقال كنت أنشد نشيدا خطر فى بالى لوقته فقلت اسمعنى شيئاً منه فقال :

مالله عليــكم يا جمــل مناحــة　　　عد حد يجد بعد الفراق راحة
غــنى على قلبى وكم حنينــه　　　يبقى زمانا ماعــد يرى حبيبــه

شاهدت بين هــذه الوديان والآن كام حقولا من الذرة البيضاء ويدعونها هنــا (شامى) أو (رومى) نسبة الى الشام وبلاد الروم لأن أصلهــا من هذه البلاد . وكان شريط التلغراف ويقولون له بالمين (سلك) يسير الى جانب طريقنا وهو ممدود منــذ عهد الدولة العثمانية ، ولــكن حالته الحاضرة غير مرضية ولا متينــة . فهو مربوط فى



احد المناظر الجبلية فى الطريق

بعض الأما كن الى أعصان الأشجار ومربوط فى بعصها الى عواميد ولـكنها حالية من الفناجين الحرفية التى تستعمل لهذه الغاية ، ولذلك كثيراً ما تتوقف المحارات أيام هطول الأمطار .

سرنا على هذا المنوال بين الآكام والوديان نحو ساعتين ونصف الساعة ، الى أن وصلنا الى مقهاية ، وهنا توقفنا عن السير لتناول الطعام والاستراحة ، فنظرت الى الالتيمتر اى قائمة العلو فوجدت اننا هبطنا الى علو ٥٠٠٠ قدم أى اننا كنا أوطى من مناخة بـ٢٣٣٠ قدما، وكانت درجة الحرارة فى الساعة الواحدة بعد الظهر ٨٣ درجة فى ميزان فارنهيت بينما كانت فى مناخة فى مثل هذا الوقت من اليوم الماضى ٧٠ فارنهيت .

يصبغون بالنيل وجوههم

استرحنا من وعثاء السفر قليلاً ، ثم سرنا الى (معحق) على طريق غير معبدة ، بين وديان وهضاب كثيرة ، ولم تتغير طبيعة الارض ولا طبيعة النباتات تغيراً يذكر انما صرنا نرى هنا فى هذه النواحى عــدداً عظيما من الغنم والمــاعز والجمال ، والجمــال كالزراف تأكل أوراق الاشجار قبل الأعشــاب ، أما الأراضى فهى خلو من القرى الـكبيرة العامرة ، وأصحابها يقطنون فى بيوت صغيرة كبيوت البدو الرحل متفرقة بين الأشجار ، يكاد المرء لا يراها لصغر حجمها وتواريها عن الانظار .

وهذه الأراضى تابعة لناحيــة الحيمة ويغرس فى أرض الحيمة خــلاف الذرة ، العدس والشعير والحنطة ، ويغرس فى وديانها الشمالية شيء كثير من البن والقــات والموز والمنكو ويقال للمكان الذى يقطنه عامل الحيمة معحق وهو حصن قائم على اكمة عالية فى أسفلها بعض الدور اتخذها العامل مكتباً له وخصص واحدة منها للمسافرين النازلين فى ضيافة الامام وقد قضينا ليلتنا فيها ولـكن لم نذق خمسا طعم الـكرى لان جيوشاً من البق (الاكلان) والنمل الأحمر هاجمتنا هجوم المستميت .

وتصلح معحق أن تـكون مشتى أيام البرد لان درجة حرارتها فى الليل والنهار معتدلة وليس كما قال عنها الاستاذ الريحانى فى كتابه قلب اليمن وجحيمه ومقره لانـ

ارتفاعها عن سطح البحر ٥٥٣٠ قدماً ودرجة الحرارة فيها بلغت بعد الظهر ٧٧ فارنهيت

قمنا من مفحق نحو الساعة السابعة صباحاً وكانت وجهتنا قرية متنة فسرنا صعودا نحو ساعتين على طريق ممهدة بين الجبال والوديان كانت الحكومة العثمانية عبدتها لسحب المدافع ونقل الجنود الا انها بسبب الثورات المتواصلة لم تتمكن من انجازها وهي الآن مخربة من جرف السيول والأمطار ، وبعد مسير ساعتين ونصف ساعة من مفحق وصلنا الى قرية الجميس وهي قرية صغيرة فيها بعض المقاهي للمسافرين وكانت قبلا مركزاً لعامل الخيمة الا أن العامل انتقل منها أخيراً الى مفحق بأمر جلالة الامام لأهمية مفحق من جهة واردات الدولة

لم نقف بالجميس طويلا اذ كان الصباح جميلا والهواء عليلا فشعرنا بنشاط شديد ساعدنا على مداومة السير وكان يقابلنا بين حين وآخر على الطريق بعض المسافرين من الاشراف أي السادة فكانت تفوح علينا منهم رائحة عطرية جميلة بخلاف العامة من الناس الذين كانوا يمرون بنا فتهب علينا منهم رائحة ثيابهم المنيلة الزرقاء التي نستعملها نحن لتنييل البياضات الداخلية لتنييل أثوابهم القطنية الخارجية ولكنهم ينيلونها الى حد عظيم فتصبح زرقاء غامقة الزرقة كما أنهم ينيلون وجوههم وأيديهم وجسدهم بهذه النيلة أيضاً .

وسألت بعض الناس لماذا تنيلون ثيابكم وأجسادكم على هذه الصورة ؟ فقالوا ان بلادنا باردة جداً والبرد يضر بنا كثيرا وقد وجدنا بعد التجربة ان أفضل طريقة يحفظ فيها الانسان نفسه من البرد هي تنييل الثياب والأجساد فاقتنعت بهذا الجواب المنطقي !!! قائلا في نفسي لاحول ولا قوة الا بالله ، والفرق بين ألبسة السادة والعامة عظيم جدا كالفرق بين ألبسة الأغنياء والفقراء في سائر البلاد فالسادة عدا العبايات الحريرية التي يرفلون فيها يلبسون الاصواف الجميلة والاجواخ الغالية في البلاد الباردة وعامة الشعب في البلاد الباردة يلبسون الدبيا وفوقها جلود الاغنام وما أشبه

كانت طبيعة الاراضي والمزروعات بين (مفحق) والجميس كطبيعة مارأينا قبل من الأراضي والمزروعات وعلاوة عليها شاهدنا أنواعا مختلفة من الصبير ، ومن الجميس

ابتدأت الطريق تصعد بنا صعودا كبيرا ويمكن أن يقال عنها انها ممدة حرثياً وكانت تسير على رؤوس التلال وأطراف الجبال تشكل لولبي ودمنا على هذه الحال برهة من الزمان أى الى أن بلغنا قمة جبل الخميس أو (جبل نوعان) ويقال لها القرن وعلوها عن سطح البحر ١٠،٠٠٠ قدم وكانت درجة الحرارة هنا وقت الظهر ٦٧ فارنهيت وأعلى



اثنان من السادة على حيوطهما

قرية فى هذا الجبل تدعى بيت السلامة وعدد سكانها نحو مائتين ومنازلها نحو ثلاثين منزلا جميعها مبنية بالحجر على شكل الحصون وقفنا بالقرب من هـذه القرية وسرحنا البصر الى جهة الغرب فرأينا على الافق البعيد قرية مناحه تتلألأ منازلها فوق رؤوس الجبال كالنجوم فى السماء وبيننا وبينها من الوديان والجبال والآكام مالا يعد ولا يحصى فكأننا أمام بحر زاخر من اليابسة لايدرك الإنسان أوله من آخره . أمواجه الآكام والتلال وسطحه السهول والوديان ، وفوق هـذه الامواج شـيدت معاقل المكارمة وحصونهم وفى أعلى رؤوس تلك الجبال منازل الربود وقلاعهم وجميعها تشبه بياضهـا السفن الشراعية من ماخرات البحار

وهنا شهدت منظرا فى الجبال لم أر مثله فى بلاد الشام وذلك من حيث عظمة

هذه الجبال وكثرتها واختلاط بعضها ببعض اختلاط الحابل بالنابل وكأنى بأعظم وديان الشام وجبالها لاتساوى نقطة من هذا البحر الخضم ولا درة من ذراته

والفرق بين هذه وتلك شاسع من حيث حرارة الشمس . فشمس اليمن فى جميع فصول السنة وفى أعالى الجبال شديدة محرقة بينما هى فى جبال الشام لطيفة دافئة وبديهى أن سبب ذلك عائد الى قرب بلاد اليمن من خط الاستواء وبعد الشام عن هذا الخط

الفحم الحجرى والخط الحديدى

سرحنا البصر الى الجهة الشرقية التى نسير نحوها فرأينا قمة فى جبل سنان ناشبة تناطح السحاب والى الجنوب رأينا سلاسل عظيمة من جبال بنى مصر وبينما نحن منهمكون فى مشاهدة هذه المناظر البديعة اذا بأحد جنودنا يتقدم منا ويقول انظروا الى هذا التل الاسود اللامع هو من الفحم الحجرى . فاتجهنا بأنظارنا نحوه فرأيناه اسود يلمع لمعاناً يسترعى الانظار وذلك لشدة سواده وانعكاس النور عنه فسرنا اليه فاذا به تل حجرى ركانى من نوع «اسديون» فقلنا للجندى ومن أخبرك أن هذا فحم حجرى ؟ فقال كنت أيام الترك جنديا فى الجيش العثمانى وقد رافقت بعض المهندسين الغرباء الذين جلبهم الترك لهندسة طريق السكة الحديدية المزمع انشاؤه وقتئذ وقد قال لنا أحدهم ان هذا التل من الفحم الحجرى واذا حفرتم الى عمق يخرج لكم نوع أفضل من النوع الذى على سطح الارض فضحكنا من جهل هذا المهندس وقلنا للجندى ولمن حولنا من الناس الذين تجمعوا ليشاهدوا الغرباء لكى نقنعهم أن هذا الصخر ليس فحما : احملوا لنا شيئاً منه وأضرموا ناراً، فأتوا بقطعة منه وأضرموا ناراً حامية فطرحنا تلك القطعة فى النار وبطبيعة الحال لم تحترق ولا فعلت بها ألسنة اللهيب شيئاً . ولما خمدت النار وبردت القطعة الحجرية أخذها الجندى بيده فوجدها كما هى فقلنا له شمها فشمها فلم يجد أثرا لرائحة الفحم فيها وقد أخذ العجب من جميع الناس وصاروا ينظرون بعضهم الى بعض مستهزئين فسألناهم (وكان معظمهم من سكان قرية بيت السلامة)

أحقيقة قال المهندسون الاجانب الذين جلبهم الترك ان هذا التل من الفحم الحجرى؟ فأجاب بعضهم انهم كانوا بأنفسهم يرافقون بعثة المهندسين بصفتهم من أهل الخبرة بتلك الاراضى ليرشدوهم الى جميع الطرقات وأكدوا لنا أن المهندسين قالوا هذا القول مرارا .

ومما يوجب الاستغراب ان هؤلاء المهندسين لما أتوا الى اليمن لمد خط حديدى من الحديدة الى صنعاء أخطأوا كثيرا فى اجراء مد الطريق التى كانوا يتعقبونها ودليلنا على ذلك انهم أرادوا أن يصعدوا بهذا الخط الى علو ١٠٠٠٠ قدم فى قمة جبل القرن ثم يهبطوا الى صنعاء لعلو ٧٥٠٠ قدم وهم فى غنى عن هذا الصعود لو أرادوا أن يتجنبوه وينحرفوا الى طريق ثانية غير هذه الطريق وقد اكتشف الطريق الثانية القاضى محمد راغب وزير خارجية اليمن وبعض المهندسين الاميركيين الذين أرسلهم شارلس كرين الى اليمن على نفقته ليساعدوا الامام فى بعض المشروعات العمرانية

والخطيئة الثانية التى ارتكبتها الدولة العثمانية ومهندسوها الغرباء وربما تعمدوا ذلك تعمداً لكى يستولوا على جزء من مالية اليمن بصفة الضمانة الكيلومترية كما حدث ويحدث فى كثير من الخطوط الحديدية الخاضعة لهذا الترتيب فى سورية وغيرها من بلاد العالم هى فكرة مدهم خطاً حديدياً الى صنعاء فمن البديهى أن الخط الحديدى فى هذه الجبال الوعرة الشاهقة التى لا يعرف لها أول من آخر يحتاج الى رأس مال كبير لانشائه ومتى تم انشاؤه فانه يحتاج الى نفقات باهظة للمحافظة عليه ولتسديد مرتبات الموظفين وهو أبداً معرض للخطر لكثرة السيول فى الجبال أيام المطر ومن عرف اليمن وعرف مقدار الصادرات والواردات التى يمكن شحنها على هذا الخط يدرك أنه من المستحيل عليه أن يسدد نفقاته لذلك فمن الجهل أن يفكر أحد فى الوقت الحاضر فى مد خط حديدى كهذا فى الجبال. وأما فى تهامة أى ما بين الحديدة والحجيلة وبيت الفقيه والزيدية وغيرها فبالامكان أن تبنى الخطوط الحديدية بنفقات بسيطة ولا تكون عرضة للأخطار ولذلك اقترح المهندسون الاميركيون الذين أوفدهم المستر كرين الى اليمن على الامام أن لايقوم بهذا المشروع وأن يكتفى فى الوقت الحاضر بتعبيد طريق تصلح لسير السيارات فقط ، وقد أصغى جلالته الى هذه النصيحة وعمل بها وكلف أحد

هؤلاء المهندسين أن يتولى كشف طريق صالحة للسيارات وقد وفق هـذا المهندس المدعو المستر توتشل فى هذه المهمة وخطط طريقاً من صنعاء الى حجة الى الحديدة وقد أتم جلالة الامام تعبيد هـذه الطريق وأصبحت اليوم صالحة لسير السيارات ونقـل البضائع وأخبرنى أحـد القادمين من اليمن حـديثاً بأن السيارات فى الوقت الحاضر صارت تروح وتغـدو عن هـذه الطريق بصورة مستمرة وقد ازداد عددها فصارت بالعشرات بينما كانت تعد بالآحاد قبل بضع سنوات

سوق بوعان

هبطنا من بيت السلامة فى واد ضيق ثم فى نقيل يقال له نقيل (بوعان) الى أن وصلنا الى بعض المقاهى وسوق كبيرة يقال لها سوق (بوعان) وهى تتألف من عدة أزقة ضيقة بنى فيها الأهلون (عششاً) حقيرة من الحجارة والطين لا نوافذ لها ولا أبواب ولا سقوف ويأتى اليها الناس كل أسبوع مرة أى كل يوم خميس ويحملون معهم بضائع مختلفة فيبيعونها هناك ويشترك فى هذه السوق سكان القرى القريبة والبعيدة وقد رأيت البعض قد أتوا اليها من بلاد سنحان وحولان أى من مسافة ثلاثة ايام وشاهدت فيها معرضاً للبضائع المختلفـة التى يحتاج اليها الاهلون من قشر بن وحنطة وشعير وعدس وحردوات وترول وأقمشة مختلفـة وحيوانات بانواعها وتبغ وتنباك الى غير ذلك من الاشياء وكانت تعج بالناس عجيـجاً ، ومن ألطف ما رأيت ان أهل القرى القريبـة يأتون إلى هذه السوق ويبتاعون زيتا فى كل أسبوع مرة ويحملونه فى أباريق مصنوعة من التنك لا يزيد حجم الواحد منها على حجم زجاجة صغيرة تسع مائة غرام وهذه الكمية تكفى احدهم أسبوعا كاملا وهم يشعلون الترول للتنوير فى مصابيح صغيرة مصنوعة من الصفيح (صواية) ويستعملون للغاية نفسها زيت الزيتون فيشعلونه فى مصابيح مصنوعة من حجر المرمر وفى البيع والشراء يستعملون النقود أو يستعملون (الحاجيات) نفسها ولأول مرة فى حياتى شاهدت هذه القاعدة الاقتصادية الأوليـة تطبق بحذافيرها كما يصفونها فى كتب الاقتصاد، أى قاعدة (المقايضة) فيأتى الفلاح إلى السوق مثلا وهو

لا يملك غير شوال من الحنطة فيأخذ بهذا الشوال كازاً وبنا أو حاجة إلى غير ذلك من لوازمه من دون أن يستعمل النقود

أنواع البن

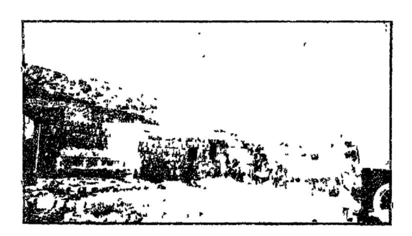
والى جنوب بوعان تقع بلاد بنى مصر وهى مشهورة بجودة بنها ويقال له : (الصافى) وهو أفضل أنواع البن فى اليمن ثم يليه البن الحيمى — من الحيمة — فالبرعى من جبل برع فالريمى من بلاد ريما . وقد شاهدت شجر البن ، وهو يشبه فى بعض الوجوه شجر الليمون وثمره أحمر اللون يشبه حب الريحان وعندما يتم نموه وينضج تماماً تجمعه النساء ويأخذنه الى دورهن فينشرنه على السطوح الى أن يجف ويصبح لونه أسود فيجرشنه بطواحين يدوية فتخرج منه القشرة السوداء ويبقى حب البن الصافى ، ويستعمل اليمانيون القشر لمشروبهم الخاص ولا يستعملون الحب أبداً ويقولون ان القشر مرطب ومفيد للجسم جداً ويغلون معه أحياناً حب الهال أو القرفة فى أباريق فخارية خاصة من صنع اليمن .

وأهم صادرات اليمن البن ، وكان قديماً يشحن الى البلاد الخارجية من ميناء المخا فاطلق عليه بعض الشعوب الغربية كالأميركيين مثلا اسم المخا ، أما اليوم فمعظمه يرسل إلى الحديدة أو إلى عدن من أعالى اليمن عن طريق البر ويسميه البعض البن العدنى لانه آت بطريق عدن ويوجد بالحديدة بعض التجار الاجانب كاخوان ليفراتو وهؤلاء يبتاعونه من الوطنيين وينظفونه وينقونه ثم يخلطون الانواع المختلفة بعضها ببعض ويرسلونها إلى الخارج من الحديدة وعدن ويتراوح ثمن الفراسلة فى الحديدة بين ٩ و ١١ ريال أى بين الأربع والخمس ورقات سورية وزن الفراسلة عشرة كيلو غرامات ونصفاً ويتلاعب هؤلاء التجار الأجانب بأثمار البن كما يشاءون وتشاء اطماعهم لانهم هم الواسطة الوحيدة التى يتمكن القرويون من بيع بنهم بواسطتها للخارج وذلك لان رأس مال التجار الوطنيين قليل ومعرفتهم بالعالم الخارجى وأسواقه محدودة

البلشفيك فى اليمن

ولـكن ابى الله أن يستنزف هؤلاء التجار المحتكرون أموال الناس فسخر لليمن أخيراً الشركة التجارية الروسية التى أتت سنة ١٩٢٨ وأخذت تضارب تجـار البن وغيرهم من التجار بشتى الصنائع وقد رأيت سماسرتها فى الطريق يبتاعون البن رأساً من القرويين وقد حلت شيئاً من السلع المختلفـة كالسكر والارز والدقيق والـكاز والخشب والـكبريت والاقمشة الى غـير ذلك من الصنائع الـكثيرة واستولت على الأسواق التجارية وثبتت أثمان الحاجيات بعد ما كان التجار يتلاعبون بها كيفما شاءوا وقد كان لهذه الدعاية البلشفية اثر بعيد فى اليمن وقد أخذ بها معظم الناس وصاروا يمتدحون هـذه الشركة ويثنون عليها أطيب الثناء وقد اهتمت الحـكومة الروسية كثيراً بأمر اليمن وصارت تسير بواخرها من اوديسا فى البحر الاسود الى خليج فارس فى العجم تمر هذه البواخر بالبحر الأحمر وتقف بالحديدة فى ذهابها وايابهـا وتنقل الصنائع والحجاج بأثمان بخسة لا تزاحم وقد ضربت بعملها هذا السفن التجارية الصغيرة التى تسير بين شواطئ البحر الأحمر ضربة قاضية لان أصحاب هـذه السفن كانوا يستنزفون أموال التجار ويتقاضون منهم اجوراً غير معقولة لنقل بضائعهم ولا أكون مغاليا اذا قلت انهم يتناولون اجرة الطن من عدن الى الحديدة كما تتنـاول السفن الـكبيرة اجرة الطن ما بين عدن ونيويورك ولذلك لما أتت هذه الشركة الروسية حول التجار نظرهم نحوها وانصرفوا عن غيرها ولا تأتى سفينة روسية الى الحديدة الا وهى ملأى بشتى الصنائع والحاجيات وتعود من الحديدة ملأى بالجلود والبن .

سرنا من بوعان الى متنـة على طريق معبدة يمكن فى الوقت الحاضر للسيارات أن تسير عليها الى صنعاء بسهولة تامة وكان الى جانبها سهل لا بل واد متسع تخترقه فى بعض المحال جداول صغيرة ويزرع فيه الشعير والحنطة والذرة ، وبعد مسيرة ساعتين تقريباً وصلنا «متنة» وهى قرية صغيرة لا يزيد عدد منازلها على الثلاثين وقد بنت الدولة العثمانية فيها ثـكنتين ولـكنهما تخربتا فى الوقت الحاضر من عدم الاعتناء بهما وكانتا فى



مسجد وسبيل ماء في متنة

بالطبيعة قد أدركت أنه لم يبق لزوم لهما في ظل حكم جلالة الامام يحيي فمالت عليهما رياحها وأعاصيرها ومطرها وسيولها فجعلتهما أثراً بعد عين، والحق يقال انه لا حاجة للثكنات العسكرية ولا للمخافر في ظل حكم صاحب الجلالة الامام لأنه بفضل حب الأهلين لجلالته وتعلقهم بعرشه وسدته لا يسمع الانسان اذا جاب البلاد من أقصاها الى أقصاها بحادثة سلب أو نهب أو قتل الا ما ندر ، والأمن مستتب في كل ناحية من نواحي اليمن ويمكن للمرء كما يقولون أن يحمل الذهب ويسير بأمان واطمئنان أينما شاء دون أن يعترضه معترض أو يعتدى عليه معتد ، وقد سرت بنفسي مرة دون حرس أو جند من الحديدة الى صنعاء ومن صنعاء الى عدن واستغرقت هذه الرحلة معي نحو عشرين يوما فلم أشهد ما يكدرني أو يخيفني . وطفت مرة في شمالي صنعاء وشرقيها لوحدي وكنت أقابل أينما ذهبت بالحفاوة والاكرام وكان القوم يستأنسون بي ويسألونني أشياء كثيرة عن العالم الخارجي وخاصة عن الترك وتركيا ومصطفى كمال

لنا (متنة) مساء وكان البرد شديداً وليس ذلك غريباً لأن علو متنة ٩١٨٠ قدماً

عن سطح البحر ، وأما جنودنا فلم يصلوا معنا لأنهم وقفوا فى الطريق لتناول الطعام والقشر والقات وذلك على الرغم من توصيتنا لهم بلزوم السرعة وعدم التوقف فى الطريق ، ولكن من البديهى أن كل يمانى مغرم بالقشر والقات حتى إذا ما حان وقتهما لا يلتفت لأمر ولا يصغى لنهى مهما يكن شأن الآمر أو الناهى ، وأما فيما



جندى يمانى فى بزته العسكرية

عدا ذلك فالجندى اليمنى مطيع جداً وهو صغير الجسم ، خفيف الحركة ، قليل الأكل صغير اليدين والرجلين ، يتحمل الأتعاب ، وينقل الأثقال من سلاح وعتاد دون أن يمس ست شفة بل يسير كل يوم فى أثناء السفر عشر ساعات متواليات الى جانب الخيل أو البغال ولا تبدو عليه علامات التململ أو التذمر مهما تدم هذه الحال ولا يتناول وقت السفر من الطعام الا كمية قليلة ولا من الراحة الا قسطا يسيراً وقد فر ذات يوم فرس من خيلنا عقب وصولنا الى مكان معين بعد سفر سبع ساعات فما كان من ثلاثة من جنودنا الا أن أخذوا يعدون خلفه وظل الفرس يعدو وهم يعدون الى منتصف الليل وأخيراً تمكنوا من القبض عليه وجلبه الى (المقهاية) ثانية . وأما من جهة الشجاعة فحدث عن الجندى اليمنى ولا حرج فهو من أبسل جنود العالم اذا لم يكن أبسلهم ، وقد سمعت عن حروب الجندى اليمنى مع الترك من النوادر والحكايات ما يشيب لهوله الأطفال وأقل ما يقال ان الجندى اليمنى كان يهاجم الجيش التركى بالخناجر والشبارى والعصى ، وكان يتغلب على تلك الجيوش ويستولى على سلاحها وعتادها فى كثير من المعارك والاحوال وهو يعتمد على هذه البسالة ويستعملها فى جميع حروبه .

واليمانيون أذكياء جداً بفطرتهم ويميلون إلى المزاح بطبيعتهم ويحبون النكات اللطيفة وخلقهم خفيف الروح لا يمل الانسان معاشرتهم وكلهم أحرار فى مبادئهم مستقلون فى رأيهم لا يقيمون على الضيم ولا يرضون بالذل والخنوع فترى أصغرهم قدراً يأتى الى أرفعهم مقاماً من الأشراف والسادة ويقبل يديه أو ركبتيه أو طرف ثوبه حباً واحتراماً ثم يقول له وجهاً لوجه دون ما خوف أو وجل وفى كثير من الصراحة والجرأة : أريد هذا ، ولا أريد ذاك ، وهذا حقى وليس حقك ، وانى لن أتنازل عن حقى لك أو لسواك وإن أبيت فحتكم إلى كلام الله فيجاوبه السيد المخاطب بلهجة لطيفة مؤيداً طلباته أو ناقداً لها باسلوب جميل والرفيع يحترم الوضيع احتراماً زائداً وما ذلك إلا لكبر نفس الوضيع وعدم اذعانه للذل والهوان وليس تقبيل الأيدى أو الركب أو الثوب نقيصة عند اليمانيين بل هى عادة ألفوها منذ القديم أباً عن جد، ولكنهم

لا يقبلون الا أيادى السادة الشرفاء الذين يمتون الى الحسن والحسين بانسابهم وهؤلاء يبادلونهم تقبيل الأيدى عند التحية

لم نستطع أن ننام داخل المقهاية فى مثنــة لكثرة البق الذى هاجمنا هجوما عنيفاً فالتجأنا الى السطح ونما نوماً هادئاً وكانت درجة الحرارة تحت الصفر فاضطررنا الى تغطية أنفسنا بجميع الأغطية الموجودة معنا والنوم بثيابنا. وفى الصباح نهضنا قبيل بزوغ الشمس فشعرت بنشاط زائد فنزلت الى المقهاية لأتفقـد جنودنا وخدمنا فوجدتهم جميعاً نياماً وقد لفت نظرى غطاء بعضهم

النوم فى الاكياس

دنوت منهم فاذا هم نيام داخل اكياس مصنوعة من الخام وكل واحد منهم رابط كيسه فوق رأســه ومدخل رأسه فيه . ناديت أحدهم ففك رباط كيسه وخرج منــه متأبطا بندقيتــه فقلت له ما هذا ؟ فقال هذا كيسى أنام فيه ليقينى من البرد ، فقلت الا تشعر داخله بانقباض فى صدرك ؟ وهلا تتضايق بالتنفس؟ فاجاب كلا انى أنام فيه مستريحا ولا يدخل البرد من هذا الــكيس فانظر اليــه ، فأخذته بيدى وتأملته فاذا هومصنوع من الخام السميك وخياطتــه قوية جداً . وجميع أهل الجبال فى اليمن على ما علمت يستعملون هذه الاكياس وينامون فيها بعد أن يخلعوا جميع ملابسهم . ولا اعلم ماذا يقول حضرات الأطباء فى تفسير عدم اختناقهم أو على الأقل عدم تسممهم من الغازات الـكربونية التى تفرزها أجسامهم لانه من البديهى ان الهواء لا يتجدد داخل هذه الاكياس لانهم يحكمون رباطها ويصنعونها من القماش الذى لا يمكن للهواء أن يدخل بين مسامه . خرجت من المقهاية فشاهدت خارجها مسجداً صغيراً وسبيل ماء وما أكثر هذه المساجد فى اليمن ، فأينما سار الانسان يجد سبل ماء أقيمت فى الطرقات ليرتوى منها المــارون والمسافرون ، ومساجــد بناها أناس من أهل الخير والاحسان ووقفوا عليها الأوقاف وأقاموا الأوصياء لينفقوا عليها من ريعها . وأجمــل مسجد رأيته فى الطريق هو مسجد «سنان باشا» وفيه بركة ماء كبيرة وتــكية للجند، ويقال

ان فيه قبر النبي (شعيب) ، وقد سمى هذا المكان سنان باشا باسم أحد الباشوات العثمانيين الذين أتوا الى اليمن وجامع سنان باشا هو آخر مرحلة الى صنعاء .

أسماء الاشياء

سرنا من (متنة) بعد طلوع الشمس وكان الهواء بارداً جداً ودرجة الحرارة تحت الصفر ففضلنا المشي على الاقدام بدلا من الركوب لتنشيط الدورة الدموية

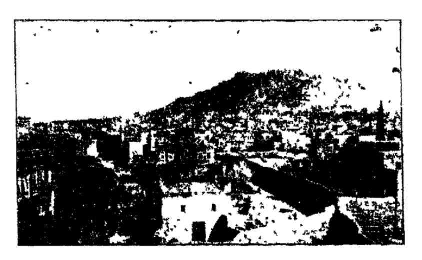
وكانت طريقنا تمر فى قلب الوادى المتسع «سهمان» وقد تخللها فى بعض الاماكن صعود وهبوط ، وما زلنا كذلك الى أن وصلنا قمة جبل عصر . وقد شاهدنا فى الطريق الزراع يبذرون حبوبهم فى الارض فسألت أحد جنودنا ماذا يزرعون ؟ فقال لى بر ، فلم أدرك معنى البر فدفعنى حب الاستطلاع الى الذهاب الى أحد الزراع لرؤية ما يزرع فلم يبخل على المزارع بذلك وأعطانى شيئاً من حبه فاذا هى حنطة بيضاء وهكذا كنت أصبح دائماً كى أعرف أسماء الأشياء لأن هنالك اختلافاً عظيما بين لغتنا ولغة اليمن ، ولأول وهلة لا يمكن للشامى أن يفهم اليمنى ولكنه بالتدريج يتعلم الألفاظ الغريبة عنه فيصبح فى امكانه التفاهم مع اليمانيين ، والى القارئ الكريم بعض الأمثلة فى اختلاف الالفاظ عندنا وعندهم . فهم يقولون للنقود (طلط) وللحيوانات (قواش) وللبئر (بحر) وللحم (شركة) وللسكين (الجنبية) وللعمال (الشقاة) ولساقية الماء (الغيل) ولكل من يتقن الكتابة والقراءة (قاضى) وللقاضى الشرعى (الحاكم الشرعى) وللاقمشة (البز) الخ

سلام عليك ياصنعاء يامقر الخلافة !

جبل عصر أو السفينة

وقفنا على قمة جبل «عصر» برهة من الزمان ، ومن هنا رأينا صنعاء تحتنا تمتد فى سهل واسع وتحيط بها الجبال من كل حدب وصوب على ابعاد مختلفة ، وكان الوقت قبل الظهر وقد أرسلت الشمس أشعتها الذهبية على منازل المدينة القديمة وجوامعها

وما دنها فبدت آية من آيات الجمال وانعكست تلك الأنوار على جدرانها البيضاء وزجاج نوافذها الملون فزادتها جمالا على جمال ، وكم وددت لو كنت رساماً لأرسم هذه الصورة بالألوان .. وأ كثر مايسترعي الانظار في صنعاء عن بعد مآذنها الكثيرة المختلفة الألوان والاشكال والارتفاع



منظر جانب من مدينة صنعاء

ولما وصل جنودنا الى قمة الجبل ورأوا صنعاء نادوا بلسان واحد «السلام عليكم ورحمة الله ، السلام عليكم ورحمة الله ! » فناديت أيضاً معهم «السلام عليكم ورحمة الله» دون أن أدرك السر في ذلك ولكن بعد هنيهة سألت أحد الجنود على من تسلمون ؟ فقال : ألا تعلم أن صنعاء هي دار الخلافة ومقر الحضرة الشريفة ؟ فأجبت نعم ، الحق معك ، وسلمت للمرة الثانية عن علم «السلام عليكم ورحمة الله السلام عليكم ورحمة الله»

فلما أدركت هذه الحقيقة اللطيفة سررت غاية السرور وتناثرت دموع الفرح من عيني وغبطت الجندي اليمني ، لا بل راعي البقر في اليمن ، لأن له خليفة يفتخر به ولأنه يملك الحرية والاستقلال ويعلم أن هذه الجبال والوديان والسماء والماء والاشجار والهواء هي ملكه ووطنه لايزاحمه فيها مزاحم ولاينازعه عليها منازع !

هنيئاً لك أيها اليمني السعيد ؛ السعيد بحريته والسعيد بعلاقته والسعيد ببذله مهجته في المحافظة على أمته ووطنه

بورك فيك يا أمير المؤمنين ويا حميد الرسول الأمين يا من ضحيت منذ نعومة اظفارك راحتك وجسدك وقاتلت قتال المستميت حتى حررت شعبك من نير الاستعباد والاستعمار .

بهذه العبارة المؤثرة ختمت مذكراتي في ذلك اليوم وكانت نفسي تذوب شوقا إلى رؤية الشام وأهل الشام ..

هبطنا من جبل عصر على طريق لولبية كان الترك قد عبدوها قديما لنقل المدافع . ففضلت المشي على الركوب تجنباً لكثرة دورانها فتركت بغلتي وسرت رويداً رويداً على الأقدام

العرب يغارون على الشام

حديث الرجل العسالي

جاءني رجل مرتد فروة من جلد الغنم ومتزراً من الديما وقفطاناً مبيلا وقال : السلام عليكم : فأجبته وعليكم السلام والرحمة والاكرام : فقال هل أنتم آتون من بلاد مدحل ؟ فقلت لا نحن لسنا آتين من داخل اليمن بل آتون من خارجها ونحن غرباء عن هذه البلاد. فقال نعم أعلم من هيئتكم بأنكم من بلاد مدحل أي من خارج اليمن ولكن أين بلادكم ؟ فقلت هل تسمع بالشام فنحن من الشام ، فقال نعم أسمع بالشام وأصلنا نحن أيضاً من الشام من بني غسان جاء جدودنا قديماً الى اليمن واستوطنوا بلاد حولان وكنا أيام الدولة العثمانية براحة واطمئنان عاصين عليها فلا ندفع لها عشوراً « أي عشر » ولا ضرائب لأن الترك كانوا ضعفاء لا يقوون على تحصيل شيء من القبائل الا بالقوة واخراج الجيوش الجرارة والحملات وهذا العمل كان متعذراً في أغلب الأحيان وكنا قبل خروج الحملات نعلم بها فنرحل عن مضاربنا ريثما تمر الحملة فنعود ثانية وأما الآن فقد تبدلت الأرض ومن عليها والله يحفظ الامام انه استولى على البلاد والعباد وضرب أهل الشرق بأهل الغرب وأهل الشمال بأهل الجنوب وأخذ من الجميع

الرهائن وأخضعهم لسلطانه فأصبحوا لامره طائعين ولجميع مايريد من الضرائب والتكاليف دافعين . فقلت وهل تحبون الامام أم تفضلون الدولة العثمانية عليه ؟

فأجاب أي والله نحبه ولا نحب أحداً غيره لانه بعكس الدولة قوى وقادر أن يأخذ لناحقنا من شيوخنا اذا ساورتهم أنفسهم بالتعدى علينا والضعيف والقوى والغنى والفقير عنده سيم بعض (أى بعضهم مثل بعض) فهو لايفضل واحدامن أجل ماله وجاهه أو حسبه ونسبه على الآخر بل يسمع شكاية المظلوم ولايهاب الظالم بل يجازيه ويسجنه ويقفه عند حده مهما كان شأنه . فسألته وكيف حالكم مع الجند والعمال ؟ فأجاب : لاشغل للجند معنا مادمنا ندفع ما علينا ولا نخالف شريعتنا واما العمال فأحيانا يظلمونا ويأخذون منا زيادة عن حق بيت المال ولكن الله يحفظ الامام فكل من يشكو امره له ينصفه حتى من العمال انفسهم .

ثم سألني هو بدوره عن بلادي الشام وعن بعدها عن اليمن وعن الترك، وهل نحن مسرورن بحكمهم أم لا ؟ ولما قلت له ان الترك قد رحلوا عن الشام بعدما رحلوا عن اليمن وان الفرنسويين استولوا على الشام والانكليز على القدس غضب وقال: لاحول ولا قوة الا بالله ! .

ثم قلت له : ولكن السوريين ثاروا على الفرنسويين وحاربوهم نحوسنتين ، فبدت على اسارير وجهه علامات الفرح والسرور . ولكن لما قلت له ان الشوام غلبوا في النهاية على أمرهم وخضعوا للقوة غضب واحتد وقال . « الله أكبر الله أكبر ! اين المسلمون في الدنيا ؟! بلاد الشام مقدسة ، وفيها القدس ثالث الحرمين الشريفين ! لماذا لم يأتوا ويخلصوا القدس والشام ويحاربوا معكم ؟ والله انا أي نحن نروح ونجاهد من أجل المسلمين في آخر الدنيا روحى فدا المسلمين وفدا الشام والقدس فقلت القدس بيد الانكليز والانكليز جيرانكم واصحابكم في عدن. فقال لا والله الذى يأخذ بلادنا ماهو نصاحبنا والجهاد فيه لازم . وأردف بكلام كثير كله غيرة وحمية ، ولا يسعنى ذكره الآن لاسباب بديهية . انما يمكنني القول بان معظم أهل اليمن من زيود وشوافع يغارون على اخوانهم المسلمين في جميع المعمورة غيرة دينية صحيحة ويرغبون

كثيراً فى سماع أخبارهم والاستفسار عن أحوالهم وقد سمعت من بعضهم اقوالا أشد حماسة من أقوال صاحبنا الغسانى هذا من جهة عامة الناس غير المسؤلين عن السياسة وأما من جهة الخاصة وجهة المسؤلين عن سياسة الدولة فجميعهم أيضاً يشعرون نفس الشعور ويظهرون عين الميـل ولكنهم لبعدهم عن البلاد الاسلامية ولعدم وجود الدعاية الكافية لتوحيد كلمة العرب وعدم معرفتهم بشؤون العرب معرفة صحيحة يميلون الى سياسة العزلة والانفراد

النساء القرويات والنساء المدنيات

وفى أثناء الطريق كان يمر بنا كثير من النساء القرويات ذاهبات بمفردهن أو مع رجالهن الى الحقول والجبال لقضاء الاعمال المختلفة، والنساء القرويات فى اليمن كغيرهن من نساء القرى فى جزيرة العرب يقمن بمعظم أعمال الرجال من زراعة وحراثة ونقل وذهاب الى الاسواق لبيع الحاصلات وحلب اللبن وتقشيره الى غير ذلك من الاعمال الخشنة وعلاوة على مشاركتهن للرجال فى هـذه الاعمال فانهن يقمـن باعمال منزلهن خير قيام ويعنين بتربية أطفالهن وقد لاحظت أنهن نشيطات جداً على العمل ويشتغلن ليـل نهار دون كلل أو ملل ولا يتناولن من الراحة الا قسطاً يسيراً

ويميل لون النساء فى الجبال الى السمرة وفى السهول الى الصفرة وهذا خلاف مايتبادر الى ذهن الانسان فى مثل هذه الاحوال لان النساء فى الجبال عادة يميل لونهن الى البياض والحمرة ولكن حرارة شمس اليمن تغير الألوان وتحرق الاجسام، ومن اللطيف فى بعض نساء اليمن انهن يردن فى سـوادهن او صفارهن سواداً أو صفاراً بوضع الاخضبة والادهان على وجوههن وأذرعهن وهن يعتبرن ان الجمال (التواليت) بالسواد والصفار كما يعتبر نساء العرب ان الجمال (التواليت) فى الحمرة والبياض وتختلف ازياء نساء اليمن اختـلافا بيناً لم أر مثله فى جزيرة العرب فبينما يشاهد الانسان نساء قبائل تهامـة نصف عاريات يرى نساء صنعاء متحجبات من أعلى الرأس الى أخمص القدم بشكل لا يمكن معه للمرء ان يرى من تركيب أجسامهن شيئاً حتى ولا يقدر أن يفرق

بين ظهورهن ووجوههن الا من حركة سيرهن اذا كن مقبلات أومدبرات . ويكثر نساء اليمن من التزين بالحلى المختلفة وعندهن حلى للرأس وللعنق وللأذن وللانف وللمعصم وللزند وللكاحل وللصدر وبالاختصار لجميع أعضاء الجسم . وقد رأيت كثيراً منهن يلبسن أثوابا بلا اكمام ولا تختلف عن عادة (موضة) سيدات بلادنا كثيراً ، ويلبسن فوق زنودهن الأساور الضخمة المصوغة من الفضة ومعظم الحلى مصنوعة من الفضة ويقولون لها (مخلص) وبعضها مطلى بالذهب وبعضها من الذهب الخالص وتختلف أسماؤها عندهم عن اسمائها عندنا ، ويقوم بصناعتها اليهود ويتقنونها اتقانا بديعا وقد نقلوا عن رسوم الحلى التركية رسوما متعددة فجاءت نادرة الجمال

ومن المشهور عن سيدات اليمن شدة عفافهن وتمسكهن بدينهن والقيام بجميع فروضهن واطاعتهن لازواجهن ولذويهن بالرغم من ضغط هؤلاء عليهن ضغطا شديدا ويكثر الرجال فى اليمن من الزواج وقلما يجد الانسان رجلاً متزوجا بأقل من زوجتين أو ثلاثة وكثيرا ما يطلق الزوج زوجاته ويتزوج من غيرهن ، وربما بلغ عدد زوجات بعضهم من مطلقات وغير مطلقات الثمانية أو العشرة أو اكثر ، وقد روى لى أحدهم عن نفسه أنه تزوج من تسع زوجات طلق منهن ستا وبقى عنده ثلاث وقد رزقه الله من جميع زوجاته ٢٥ ولدا مات منهم ١٦ وبقى عنده تسعة . فسألته وكيف كان بامكانه أن يعدل بينهن فقال ان الامر سهل جدا لان النساء فى اليمن قد ألفن تعدد الزوجات فلا تجد الغيرة اليهن سبيلا ولا يؤاخذن رجالهن على الزواج ولا يلمنهم ويعيش غالبا زوجات الرجل فى منزل واحد دون أن يحدث بينهن شجار أو خصام

امام اليمن يعطف على المرأة

لم تهتم الدولة العثمانية بتعليم نساء اليمن وتثقيفهن — شأنها فى جميع البلاد العربية التى كانت تحت حكمها — ونذر أن يجد الانسان فى اليمن امرأة متعلمة ، وأظن ان هذا الاهمال كان من حسن حظ الرجال .. فلا يتنازع الرجل هناك مع المرأة كما يتنازع معها فى البلاد الراقية ، ولكن يظهر أن الامام لم يكن راضياً عن هذا الاهمال ولذلك

أعار النساء شيئاً من عنايته، فقد شاهدت فى صنعاء وغيرها من المدن الكبيرة كتاتيب أى مدارس تأتى اليها البنات ليدرسن القراءة والكتابة وشيئاً من العلوم الدينية.

ومن ألطف ما سمعت عن نساء اليمن فى جهة نجران أنهن يرقصن مع الرجال أزواجاً أزواجاً على نغمات الرباب وضرب الدفوف رقصاً يشبه (فوكس تروت) و (الفالس) وقد ألفن هذه العادة من أجيال عديدة، ويشارك بعض نساء اليمن رجالهن فى شرب القشر و (تخزين) القات

وصلنا الى الى أسفل جبل عصر بعد هبوط دام نحو ساعة من الزمان فالتفتّ الى الوراء واذا بالجبل يبدو أسود قائماً فوق السحاب، وهو جبل بركانى يأخذ منه أهل صنعاء حجارتهم السوداء التى يستعملونها فى بناء دورهم، والمشهور عن أحجار هذا الجبل أنها صلبة جداً.

طبقات الارض

ويجدر بنا قبل أن ندخل بالقارئ الكريم الى صنعاء أن نلتفت الى خلفنا حتى الحديدة، ونبين طبيعة الأراضى التى اخترناها من حيث الجيولوجيا والمراحل التى قطعناها من حيث الوقت فنقول:

من الحديدة الى باجل مرحلة يوم كامل على البغال وأرضها سهول رملية يقال لها بالانكليزية (سيديمنترى) فيها شيء كثير من المتحجرات.

من باجل الى الحجيلة أرض رملية وكلسية وفيها شيء من المتحجرات وهى مرحلة يوم واحد على البغال.

من الحجيلة الى مناخة مرحلة يوم واحد فى جبال وعرة لا طريق فيها وكلها بركانية

من مناخة الى معبر مرحلة يوم كامل فى وديان وجبال بركانية.

من معبر الى متنة مرحلة يوم كامل فى جبال ووديان بركانية.

من متنة الى أبواب صنعاء مرحلة نصف يوم تقريباً فى جبال بركانية ووديان متسعة خصبة.

وقد شاهدت فى بعض الأماكن على طول الطريق بين الحجيلة وصنعاء نوعاً من الصخور التى يقال لها (كونكلامرت) (Conglamerete) وهى كناية عن أحجار ركامية صغيرة التصق بعضها ببعض بالتراب والطين بعمل المياه والسيول وهذه تشير الى كثرة المياه التى مرت فيها .

وشاهدنا أيضاً فى بعض الأماكن تبر الحديد ويقال له (Hematitie) وشاهدنا فى أسفل جبل مساحة نوعاً من الأحجار ويقال له (Rhigolite) وهو مائل الى الخضرة وفى أحيان كثيرة يوجد النحاس الى جانبه ولكننا مع الأسف لم نجده هنا ويقول الناس ويذكر بعض المؤرخين انه يوجد باليمن معادن كثيرة وأما نحن فلم نشاهد شيئاً بطريق الحديدة وصنعاء ولكننا وجدنا بعض المعادن الثمينة بعد وصولنا الى صنعاء وسنأتى على ذكرها فيما بعد .

سهل عصر

من أسفل جبل عصر امتطينا بغالنا وسارت الطريق فى سهل متسع يقال له سهل عصر ومررنا فى منتصفه تقريبا بقرية صغيرة فيها سبيل ماء ومسجد بناهما الى جانب الطريق أحد أصحاب الخير لراحة المسافرين وهنا وقفنا قليلا فسقينا بغالنا وشربنا وسرحنا نظرنا فى هذا السهل الواسع الذى يظهر من لون تربته ونعومتها وعمقها انها خصبة ولكنى رأيت معظم هذا السهل بوراً لا زرع فيه فأخذنى العجب لهذا الأمر لأن أهل اليمن وخصوصاً سكان الجبال نشيطون ويحبون العمل وقد رأيناهم فى الطريق كما يذكر القارئ الكريم قد حولوا الجبال الى حقول معروسة بما بالهم قد أهملوا هذا السهل الخصب الواسع؟ هذا سؤال كان يدور فى خلدى عندما مررت بهذا السهل وقد وجهته الى واحد من الناس الذين كانوا يرافقوننا فى الطريق فقال لى ان البحر هنا بعيد واخراج الماء منه متعسر ، فلم أفهم شيئاً من هذا التصريح ، وبعد أخذ ورد وسؤال وجواب علمت أن البحر معناه بئر الماء فى داخل الجب أى البئر وبعيد أى عميق . وبعبارة أوضح قال انا لو اردنا أن نحفر آبارا فى هذا السهل لعز علينا ذلك أولا لأن البئر ستكون عميقة جداً وثانياً لان اخراج الماء منها سيكون صعباً ومتعباً

للغاية وقد تحققت فيما بعد صحة قول هذا الرجل بنفسي فقست عمق أول بئر رأيتها في هذا السهل فوجدت عمقها مائة قدم ونيف أي ٣٥ متراً وبما أن وسائط استخراج الماء بالآلات الرافعة من أعماق سحيقة غير متوفرة في اليمن لذلك اكتفى اليمانيون في مثل هذه الاحوال بغرس هذا السهل وغيره من السهول التي على شاكلته أيام المطر فقط أي اكتفوا بالزراعة البعلية كما هي الحال عندنا في جبل الدروز وحوران

ويوجد في أطراف هذا السهل الممتد الى شمال صنعاء وفي صنعاء نفسها كثير من المزروعات والحدائق الغناء فيها من كل فاكهة روحان ويوجد في شمالي هذا السهل نوع من أنواع الشجر غير المثمر ويقال له الاثل وينمو هنا بكثرة عجيبة ويستعملونه للوقود ولكنه شجر صغير الحجم لا ينمو كثيراً ولا يفي بالمراد ويوجد في هذه الجهة ماء كثير وقريب من سطح الأرض ولو أنهم غرسوا عوضاً عن الأثل أنواعاً جيدة من الأدواح والاشجار الضخمة في هذه الجهات كاليكاليبتوس مثلا لكان لهم منه فائدتان الاولى حطب الوقود والثانية خشب البناء وفي الحق أنهم في صنعاء بحاجة ماسة الى خشب البناء الذي يكاد يكون مفقوداً بالمرة ويجلبونه اليها من مسافات بعيدة وقد شاهدت في صنعاء بعض شجر اليكاليبتوس كان الترك قديما قد غرسوه في المستشفى العسكري وفي مكتب الصناعات وفي بعض الدور ولذلك فانا متيقن بان هذا الشجر ينمو نموا جيداً في صنعاء وضواحيها . تابعنا السير في هذا السهل الواسع الى أن وصلنا نحو العصر الى أحد أبواب صنعاء المسمى « باب قاع اليهود » وسمي بذلك لأنه قائم في آخر السهل الممتد الى حي اليهود وهنا وافانا شرطي فكتب أسماءنا وأخذ سلاح جنودنا لأنه لا يسمح لغير جنود صنعاء وحرسها أن يحملوا سلاحاً داخل المدينة ، وسألنا الشرطي بعد كتابة أسمائنا : هل أنتم قادمون من مدخل (أي من خارج اليمن) ضيوفا على مولانا الامام ؟ فأجبناه بالايجاب فقال على الرحب والسعة هيا تفضلوا

أبواب صنعاء وسورها

ولصنعاء ستة أبواب وسور يحيط بها من جميع أطرافها وتدعى هذه الابواب باب

البلقة فباب الشقاديف فباب اليمن أو عدن فباب شعوب فباب حزيـة فباب الروم وأجمل هذه الابواب واتقنها صنعاً وأكثرها عرضاً وترتيباً باب عدن وأما ، سـورها فمبنى من جدران غليظة معمولة من الطين واللبن (أى الآجر غير المشوى) ويوجد فى هذا السور على ابعادمتناسبة بروج (كركوبات)خاصة بالجنود الموكول اليهم حراسة البلد وهذه البروج قائمة على مسافات هندسـية متساوية من الابواب وفيهـا رمايات كرمايات المنجنيق وأماكن خاصة للمراقبين يقف فيها الحراس ليل نهار ولهم فى الليل نظام خاص يتأكدون بواسطته من تيقظهم وانتباههم وذلك بواسطة الصياح بعضهم على بعض وترديد بعض العبارات المعروفة عندهم والتى لم أتمـكن من فهمها ويبتدئ بالصياح عادة الحارس القريب من سراى جلالة الامام فينادى بعبارته المعروفة فيرددها فى الحال حارس المخفر القائم الى جانبـه وهكذا دواليك الى أن يردد جميع الحراس بالمخافر هذه العبارة ويصل الدور الى حارس السراى فينادى بعبـارة أخرى فيرددها الجميع ، وأحياناً زيادة فى الحرص وفى ظروف خاصة يستعملون الابواق فى تبليغ الاوامر العسـكرية وفى ابلاغ بعضهم الى بعض وقت الصـلاة أو الساعة الى غير ذلك من الأمور المهمة .

موكب الغرباء فى قاع اليهود

النساء فى اليمن آلة التصوير تخيفهن أكثر من البندقية

ما كدنا نسير فى قاع اليهود مسافة يسيرة حتى تبعنا من الأولاد والرجال جمهور كبير وأخذت نوافذ البيوت تفتح وستائر النوافذ تـكشف قليـلاً وقد وقفت خلفها بعض السيدات اليهوديات يستعرضن موكب الغرباء وينظرن اليهم بأعينهن الفاتنة حتى اذا ماوقعت العـين على العين أقفلن النوافذ وأرخين الستائر ، ويشردن هاربات داخل غرفهن ورأينا بعضهن فى الطريق يسدلن على رؤوسهن غطاء أزرق أو اسـود ويلبسن تحته طاقية مزركشة بالحرير والفضـة ، ويلبسن عادة أثواباً (فساتين) زرقاء وتحتها سراويل طويلة تبلغ الى الـكواحل ، محلاة بالأشغال اليدوية من قصب وفضة ،

ويلبسن فى أرجلهن أحذية ذات كعب قصير من دون جوارب ، وجميعهن يخرجن فى الاسـواق سافرات الوجوه ، ولـكن إذا صادفن غريباً أى أجنبياً مثلـا بالطريق فانهن يسدلن قسما من غطـاء رؤوسهن على وجوههن فلا يتمكن الغريب من رؤية شئ منهن غير أعينهن . واردت مراراً أن أصور بعضهن فكن يفررن منى ولـكنى تمكنت من تصوير بعضهن خلسةصورا عديدة وأرسلتها فى البريد الى مصر (ولـكن سامح الله البريد الذى أوصل أكثرها إلى حيث لاأعلم . .)



امرأة يهوديه واولادها

ومن الغريب أن جميع نساء اليمن مسلمات ويهوديات بخلاف الرجال والاولاد كن يفررن من التصوير نفوراً غريباً ، واتفق مرة انى أردت تصوير احدى القرويات الحبليات ، ولما رأت فتحت آلة التصوير ووجهتها نحوها أحـدثت تصيح وتستغيث

وتبكى بكاء مراً كأنى سددت اليها بندقية أو مدفعاً . وعبثاً حاول أحد رفقائى من اليمانيين أن يخفف من روعها وعويلها فلم تسكت حتى سرنا وابتعدنا عنها بعشرات الأمتار وهذا بخلاف الأولاد والرجال الذين كانو يضايقوننا كثيراً كلما سرنا ويتبعونا من مكان الى آخر منادين بأعلى صوتهم صورنى صورنى

صنعاء قطعة من جنة عدن

وهى ثالثة الجنان بعد دمشق !! ...

وما كادت أرجلنا تطأ ارض صنعاء حتى اوفدوا الى (المقام الشريف) أى الى سراى جلالة الامام يعلمونه بوصولنا وقد قابلنا فى آخر قاع اليهود جندى من عقفة الامام (أى حرس الامام) أتى موفدا من قبل المقام الشريف ليهدينا الى الدار التى أعدت لنزولنا ، وبعد أن قدم نفسه الينا وعرفنا مهمته قال هيا تفضلوا معى ، وسار أمامنا الى دار كبيرة فسيحة قائمة فى أول حارة بئر العرب يقال لها دار الزيدى

أما حديقة الدار فتشبه فى كثير من الاحوال بساتين وادى البردين فى أرض الصالحية ففيها من كل فاكهة روحان وقد رأيت شيئا كثيرا من شجر التفاح والمشمش والخوخ والسفرجل والدراق والكرمة والرمان والاجاص ومن النباتات والخضر شاهدت القرنبيط واليخنة والكرنب والسبانخ والسلق والقرع والفاصوليا والجزر والبصل والثوم الى غير ذلك وقد جلب الترك معظمها من سورية فوافقتها الاقاليم وصارت فى جملة الخضروات الوطنية وأول شىء استرعى نظرنا عند مادخلنا الدار من باب الحديقة هو الشادروان القائم فى وسطها ، والشادروان هو البحرة فى المنزل يجرى اليه الماء فى (نوافير) جميلة وقد ذكرتنى هذه النوافير عند مارأيتها لاول مرة بنوافير الربوة بد ى.
ويقال لهذه الدار دار الزيدى وقد دخلناها من بوابة خشبية كبيرة تشبه ابواب الحدائق عندنا وفيها باب صغير (باب خوخة) يدخل منه الناس والباب الكبير مخصص لدخول الحيوانات بما فيها الجمال واول شىء شاهدناه خلف البوابة هو منزل

عامل الحديقة (الجنايني) الموكول اليه حراستها وعرس حديقتها وهو كناية عن غرفتين أرضيتين فوقهما غرفة صغيرة في حوش كبير يسكن هو وعائلته فيها

والى جانب منزل الجانبي يوجد صالون كبير خصص للزوار ، وخلفه غرفتان خصصتا لخدم الضيوف الذين ينزلون بهذه الدار ، والى جانب هذا الصالون الكبير توجد حديقة كبيرة قائمة في وسطها دار جميلة مبنية على الطراز التركي من الحجر الابيض والاسود

واول ما يسترعى نظرك في صنعاء النواعير والمياه الجارية فيها ، فان المياه تجلب اليها من مسافات بعيدة عالية حيث تجمع من مياه الانهر ، وأما النواعير فماؤها يأتيها من جرانات (برك) مرتفعة وتملأ هذه الجرانات من الآبار بواسطة الحيوانات كالحمير والبقر والجمال، اذ يربطون دلوا كبيراً من الجلد يسع نحو اربع تنكات (صفائح) ماء الى بكر ويدلونه في البئر ويربطون حبل البكر الى حيوان ويجعلون هذا الحيوان يمشي من حافة البئر مسافة مساوية لعمق البئر الى الامام فيسحب الدلو من قعر البئر الى سطحها ومتى وصل الدلو الى سطح البئر يفرغ ماؤه في الخزان ، فيعود الحيوان ادراجه نحو البئر فيسقط الدلو بالبئر رويداً رويدا وهلم جرا وقد قست عمق بئر دار نا فوجدته ٨٢ قدما ومتى امتلأ الحوض الذي يختلف حجمه باختلاف مساحة الحديقة التي تشرب منه يستعملون ماءه لسقاية الاشجار والخضراوات ويوجد في صنعاء مئات من المنازل فيها حدائق على هذه الصورة تشرب من ماء الشادروان ويوجد فيها أيضاً حدائق كثيرة تشرب من ماء (الغيول) والغيول جمع غيل — أي قناة الماء الصغيرة —

ويسوق الحيوانات على البئر في اكثر الاحيان اولاد صغار لاتتجاوز سنهم الثانية عشرة ولهم في ذهابهم وايابهم مع الحيوان غناء واناشيد خاصة ينشدونها طيلة النهار اما موسيقى هذا النشيد فهي صوت احتكاك الحبال على البكر وفي الحقيقة تتولد من غناء الاولاد وصوت الحبال أنغام لطيفة لايسمعها الانسان في غير صنعاء ، ولكن من المتعذر على الغريب أن يفهم نشيد هؤلاء الاولاد

انشودة البئر

ولدى الاستفهام من بعض رفاقى عما ينشد هؤلاء الاولاد عرفت انشودة البئر وهذه هى :

بالله عليك يا صالحى من البير　　　الست شمعة والولد قنديل
وبالله عليك يا طير يا رمادى　　　صف الجناح وردنى لبلادى

وقد شاهدنا فى بعض الأماكن البعيدة عن صنعاء رجالا ونساء يعملون على البئر عوضاً عن الحيوانات وقيل لنا انه فى امكان الواحد منهم أن يشتغل على البئر عدة ساعات متوالية ، ولكن ماء الآبار هنالك قريب من سطح الأرض لا يحتاج الى عناء كثير لاستخراجه ويوجد خلف الشادروان غرفة جميلة لها نوافذ زجاجية ذات ألوان مختلفة كالاحمر والاصفر والازرق والاخضر يستعملها رب البيت كصالون للاستقبال ويعقد فيها مجلس القات ، أما نحن فاستعملناها كغرفة للطعام ، وكانت هذه الدار تخص أحد قواد الجيش العثمانى أيام الحكومة العثمانية ولما غادر العثمانيون اليمن باعها صاحبها الى بيت المال وقد سكنها جلالة الامام مدة من الزمان قبل أن تبنى سرايه العامرة ، وهى مؤلفة من ثلاثة ادوار: الدور الاول وفيه غرفة فسيحة للاستقبال وبعض الغرف للمؤنة والمطبخ والدور الثانى فيه أربعة غرف فسيحة للسكن والنوم ، والدور الثالث فيه غرفتان صغيرتان للنوم أيضا ، وفوق هذا الدور يوجد غرفة صغيرة يقولون لها المنطرة أى طيارة مكتوب على جدرانها « لا اله الا الله محمد رسول الله » ومحفور عليها بعض الآيات القرآنية وهى مطلقة من جميع الجهات حيث يمكن للانسان أن يشرف منها على جميع المدينة ، وفيها عدا نوافذ الزجاج الملون نوافذ صغيرة مصنوعة من حجر المرمر ، واستعمال المرمر للنوافذ كزجاج شائع جداً فى اليمن ويجلب المرمر كاحجار كبيرة الى صنعاء من مكان يقال له الفراس وقد حفروا هنالك مقالع عظيمة يقلعون منها هذه الاحجار ويجلبونها الى صنعاء حيث ينشرونها ألواحا رقيقة كألواح الزجاج بمناشير خاصة كما ينشر النجار الخشب ويستعملونها عوضا عن الزجاج

وينطبق وصف هذه الدار على جميع دور الحي المعروف بحي بئر العذب ، وقد بنى هـذا الحي رجال الحكومة العثمانيـة أيام دولتها وهو في الحقيقـة حي جميل ودوره متقنة ومريحة



قائد الروضي مأمور الاعاشة في سراى الامام

قائد الروضي

ما كاد يستقر بنا المقام ساعة من الزمان في هذه الدار حتى جاءنا رجل يدعى قائد الروضي موفداً من قبل المقام الشريف ليؤمن راحتنا وقد جلب لنا معه أسرة حديدية وفرشاً وثيرة وسجاداً عجمياً وبعض الكراسي والطاولات الى غير ذلك من لوازم البيت وبعد التحية قال : عفواً ياحضرات الضيوف الكرام ما كنا متوقعين وصولكم

**

اليوم بل ظننا كم ستصلون غدا لذلك لم نعد لـكم الدار قبل الآن وانما الخيرة فى الواقع وها أنذا قد جلبت لـكم معظم لوازمكم وقد أمرنى جلالة مولانا أمير المؤمنـين أن أحضر لـكم جميع ماتشتهون فما عليـكم الا أن تطلبوا ماتشاءون وأنا رهن اشارتـكم

وعلمت فيما بعد أن هذا الرجل مأمور اعاشة سراى الامام ويهتم بخدمة ضيوفه وان هى الا نصف سـاعة حتى نظفت دارنا وكنست ورشت من ماء الشادروان ووضع الأثاث فى مواضـعه فصار لنا صالة استقبال وغرفة طعـام وغرف نوم ومطبخ وكراس لنجلس عليها ومائدة نتناول عليها طعامنا وملاعق وسكاكين الخ

ولا أنـكر عليك أيها القارئ الـكريم بأن سرورنا كان عظيما بهذه الاشياء لأننا فى الطريق ـ كما لايخفاك ـ كنا محرومين منها «وفى الحقيقة لايجد الانسان لذة فى استعمال شئ من الأشياء من ضروريات هذه الحياة الا متى حرم من استعماله زمناً طويلا

جلسنا فى غرفة الطعام وقد أعد لنا طاهينا شيئاً من الحليب والشاى وكان الشادروان سوافيره ومائه يزين المـكان برونق خاص وبهجة خاصة ومن خلفه الحديقة وقد ماست فيها أغصان الصفصاف والمشمش والـكرمة وغنى على أغصان بانها البلبـل والشحرور فزاد هذا المنظر اللطيف جمالا على جماله وأنساً فوق أنسه فشربنا الشـاى بلذة منقطعـة النظير وكاد نسيم صنعاء الجاف العليل ينسينا الدنيا ومن عليها وخلنـا أنفسنا فى قطعة من جنات عدن فذهبت عنا جميع مشاق الطريق ومتاعبه وثبت لنا صحـة ما كنا نسمعه فى أثناء السفر على ألسنة بعض الناس من أن صنعاء هى ثالث الجنان وأما الجنة الثانية فهى دمشق الشام والأولى جنة عدن

وبعد أن فرغت من شرب الشاى جاءنى قائد الروصى ـ وكان ينتظر انتهاءنا من تناول الشاى على مسافة بعيدة عنا ـ وقال بلطف : أنتم ضيوف جـلالة مولانا أمير المؤمنين وأنا مكلف عن المقام الشريف أن أجلب لـكم كل شئ تحتاجون به من المواد الغذائية وغيرها ، وان كنتم بحاجة الى طاه فانى مكلف أيضاً بجلبـه لـكم ، وعندنا طاه حاذق جداً ويعرف الطبخ على الطريقة التركية . فقلت له . أما الطاهى فلا حاجة لنا به لان طاهينا معنا ومعتاد على الطبخ وأما المواد الغذائية فاننا نتقبل مع الشـكر

الحـزيل كل ما يتـكرم به حـلالة الامام فقال : ناهى ـ أى حسن ـ غـداً صباحاً سأجلب لـكم حاجاتـكم انشاء الله فالى اللقاء والسلام عليـكم فقلت وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

خرج الرجل من الدار مسرعا وبقيت أتتبعه بصرى وأنا أفـكر فى أدبه ولطفه وعدم ازعاجـه ايانا وقت تناول الشاى رغم انه كان مشغولا يريد الانصراف ، وقد لاحظت فى كثير من المواقف والمناسبات أدبا جاعهد اليمانيين ودقة فى الملاحظة وميلا شديداً الى عدم التدخل فى مالا يعنيهم

بستانى الحديقة

بعد ما انصرف الروصى نهضت من مكانى وأنا لا أزال أفـكر فيه ، وأخـذت أتمشى فى الحديقة فوقع نظرى على البستانى فذهبت اليه وقلت له أسعدت مساء ياعم ! فأجاب مسا كم الله بالخير والعافية ، فسألته من يكون قائد الروصى ؟ وماهى وظيفته ؟ فأجاب انه من أهل صنعاء وهو مأمور الاعاشـة فى المقام الشريف وموكول اليـه الاهتمام بشأن الضيوف وتأمين راحتهم ومأ كلهم ومشربهـم ، وهو يجلب لهـم حاجياتهم من نفس الحاجيات التى تقـدم لسراى حلالة الامام ويأتى لزيارتهم يومياً وكان يكلمنى وهو مهتم بقلـع بعض الأعشاب الغريبـة التى كانت تنمو بكثرة بين الحس وقد لاحظت أن المعول الذى كان يستعمله لقلع الاعشاب بسيط جـدا فأخذته وقلبته بيدى فوجدته من مصنوعات صنعاء وهو طويل مصنوب من حديد واطى ويده الخشبية قصيرة للغاية تـكاد تـكون طول الحديد فقط وهم يستعملون هذا المعول ـ ويقولون له (مفرس) للحفر والردم ولـكل شىء فى الحديقة وليست سائر أدواتهم الزراعية بأفضل من المفرس فمحراثهم لايبلغ طول القسم الحديدى منه ـ أى السكة التى تدخل فى الأرض ـ بضعة سنتيمترات وفى أغلب الاحيان يصنعون السكة من الخشب عوضاً عن الحديد ، اما شدة خصب أراضيهم تحملها تدر خيرات كثيرة بالرغم من هذه الوسائط الزراعية الابتدائية

وقد روى لى غير واحد من أهل بلاد الجوف الواقعة على مسير بضعة أيام الى شرقى صنعاء انهم لا يستعملون هنالك المحاريث والسكك أبداً حتى ولا يعرفونها بل يجلبون البقر الى الحقل ويحملونها تمشى فيه ذهابا وايابا مرات متعددة ثم يطرحون بذورهم تحت أرجلها فتطأها وتغرسها فى الأرض . ومن الغريب انهم يحصدون من هذا الزرع الابتدائى كميات عظيمة من الحنطة والذرة وينتج المد عندهم على أقل تعديل خمسين مداً. وقد روى لى واحد من أهالى قرى الجوف انه لا يوجد عندهم فى قريتهم سوى معول واحد يستعملونه فى حفر القبور لدفن الموتى

طفت الحديقـــــة بصحبة البستانى فرأيت كثيراً من الاغصان اليابسة باقية على الاشجار ورأيت بعض الاشجار كالسفرجل والتفاح والخوخ والرمان صغيرة الحجم وكثيفة الاغصان ولاحظت أيضاً فى كثير من حدائق صنعاء وحـدائق قرية وادى القابل (وهى عندهم بمثابة الغوطة عندنا) وتبعد عن صنعاء نحو ساعة بالسيارة وان أشجارها تشبه الاشجار البرية فى قلة الاعتناء بها وعدم قطع أغصانها التى لا فائدة منها وتركها وشأنها تنمو حسب الطبيعة حتى أصبحت الحدائق كالغابات البرية يتعذر دخولها الا بصعوبة. وقد سألت بعض القرويين والفلاحين لماذا تتركون أشجاركم على هذه الصورة من قلة الاعتناء ؟ فقالوا هذه هى العادة عندنا ألفناها منذ القديم وورثناها أباً عن جد! فأجبتهم انكم مخطئون بهذا العمل فلو انكم قلمتم الاشجار وقطعتم الاغصان اليابسة التى لا فائدة منها وغرستم أشجاركم بعيدة بعضها عن بعض لغدت أشجارا كبيرة ونمت نمواً جيداً وفاضت عليكم بمحصول أفضل بكثير من محصولها الحالى فأجابوا والله ما عرفنا هذا قبل الآن أحد ولا علمنا كيفية الزراعة ان شاء الله سنجرب هـذه الطريقة لعل فيها خيرا . .

انتشار زراعة الفواكه والثمار فى صنعاء

ومن اللطيف عنـد اليمانيين انهم اذا رأوا رجلاً أعلم منهم ببعض الشؤون وأبدى لهم بعض الملاحظات التى لم يألفوها والتى لا تتفق مع عاداتهم ورأوا احتمال صوابها

لا يدافعون عن نظرياتهم القديمة ولا يقولون كما يقول كثير غيرهم : لا ! ان طريقتنا أفضل وانا وجدنا آباءنا وأجدادنا عليها فلا يمكننا أن نغيرها ! بل بالعكس هم يأخذون بالنظريات الحديثة ويجربونها فاذا وجدوها أفضل من نظرياتهم وعاداتهم اتبعوها والا رفضوها . وهم بطبيعتهم أذكياء ويفرقون بالبداهة بين الغث والسمين

وبالرغم من عدم الاعتناء بالاشجار اعتناء فنياً وبالرغم من تركها على هذه الحال من الاهمال فهى تأتى بأثمار جيدة وشهية . كل ذلك عائد الى جودة المناخ وطيبة الأرض ولا شك انهم لو عنوا بها عناية فنية لزادت وارداتهم زيادة كبيرة وقد رأيت بحديقة منزلنا بعض أشجار المشمش مطعمة بالأجاص والدراق ، فاسترعت نظرى كثيراً ، ومع ان دمشق مشهورة بفاكهتها لم أشاهد فيها حتى ولا سمعت بأن المشمش يطعم بالاجاص والدراق ولا قرأت فى الكتب الزراعية انه يطعم بهذه الأنواع من الثمار فسألت البستانى : من الذى هداكم الى تطعيم الاشجار على هذه الصورة ؟ فأجاب ان بعض الموظفين الترك أيام الدولة العثمانية جلبوا معهم من بلاد مدخل — أى خارج اليمن — أنواعاً مختلفة من الأشجار والطعوم والبقول وجربوها فى صنعاء وغيرها من البلاد ، فبعضها وافقها الهواء والتربة فنمت وازدهرت وعمت زراعتها ، وبعضها أحرقتها شمس اليمن الحارة فماتت لوقتها

غيل آلاف والغيل الاسود والآبار

وشاهدت بين حديقتنا وحديقة جارنا جدول ماء صغير وهو أول جدول ماء رأيته فى صنعاء فسألت البستانى عنه فقال لى هذا غيل آلاف — والغيل يعنى الجدول — وماؤه الآن قليل لقلة الأمطار ولكنه يزداد بموسم المطر كثيراً ويسقى معظم حدائق بئر العزب وبعض الأراضى الزراعية بأطراف صنعاء ونبعه فى الجبال على مسافة نصع ساعات من صنعاء ويوجد بصنعاء غيل آخر غير هذا الغيل وأكبر منه ويمر بباب الشرارة ويدخل حديقة سراى جلالة الامام ويستعمل الأهلون ماءه للشرب ولرى المزروعات وهو صغير أيضاً بالنسبة لأنهر دمشق ويقال له الغيل الأسود ، وفى الحقيقة لا يوجد باليمن

أنهر كبيرة بالمعنى المفهوم من النهر ولكن يوجد بعض الأنهر التى تعادل أنهرنا وتزداد أيام الأمطار زيادة متناسبة مع الامطار وفى وقت المطر تسيل سيول عظيمة فى الشعاب والوديان بشدة عدة ساعات أو أيام ثم تشح وتنشف عقيب انتهاء الأمطار ، وهـذا ما حدا بالحميريين فى العصور الأولى لبناء سـدود وخزانات عظيمة وقد شاهدت فى أماكن مختلفة سدوداً كثيرة

بيد ان المياه فى اليمن موجودة بكثرة فى جوف الأرض وعلى أعماق مختلفة تتراوح بين متر واحد وثلاثين أو أربعين متراً، وفى بعض المحال الجبلية يبلغ عمقها خمسين متراً وا كثر ، والدليل على كثرتها انى شاهدت المئات من الآبار فى اماكن مختلفـة بعضها قريب من بعض وينبع ماؤها من طبقة ترابية تدعى بالانكليزية (ترف) لا من طبقات صخرية ، وهذه الينابيع قريبة من سطح الأرض وتدل على كثرة وجود المياه فى الأرض

وفى أغلب الاحيان تنضب هذه الينابيع اذا ا كثر الانسان من سحب مائها، لان الماء يرشح اليها رشحاً من الأراضى الترابية المجاورة ، ولكن اذا اخترق الانسان هذه الطبقات الترابيـة الى أن يصل الى الصخر الأصم عندئذ يتفجر الماء بكثرة ولا ينضب معينـه مهما أخرج منـه ؛ ولكن أصحاب الآبار والمزارعين فى اليمن لما يدركوا ذلك حتى الآن . والغريب انى لم أشاهد بئراً واحدة تمس من الصخر رأساً ، ولهذا فالآبار تنضب كل يوم ثم ينتظرونها حتى تمتلئ ثانية فيعيدون الكرة عليها

وقـد طلب الينا الكثيرون أن نرشدهم الى طريقة تزداد معها مياه آبارهم دون أن يحفروها الى الصخر فقلنا لهم يمكنكم أن تحفروا عدة أقنية جانبية فى قعر البئر لا يزيد عرض الواحدة منها على ربع متر وطولها متر ونصف وهى تضمن لكم زيادة ينابيعكم فعمل البعض بهذه الطريقة البسيطة فازداد الماء كثيرا

مناورات الانكليز للتحالف مع الامام

حديث المعاهدة الانكليزية مع البستانى

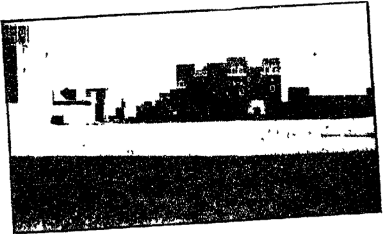
وفى أثناء تحدثى الى البستانى وجه لى أسئلة متعددة فكنت احاوبه عليها بالتفصيل

ومما قاله لى : يظهر من كلامك وأسئلتك عن الأشجار والخضر أنك من بلاد تكثر فيها هذه النباتات فاستحلفك بالله من أى بلد أنت ؟ فقلت انا آت من القطر المصرى ولكن أصلى سورى دمشقى فقال مرحبى بك والف مرحبى ! وهل أنت مسلم أم نصرانى ؟ فقلت مسلم مؤمن موحد بالله ، والحمد لله على دين الاسلام ولا اله الا الله محمد رسول الله فقال الحمد لله ولا اله الا الله محمد رسول الله .

وبعد ما نطقت أمامه بالشهادتين رأيت امارات وجهه قد تبدلت وظهرت ابتسامة لطيفة على فمه وتغيرت لهجة كلامه وزاد اهتمامه بى واطمئنانه الىّ . ثم أردف قائلا اخبرنى بالله عليك ما دمت قادماً من بلاد « مدخل » فلا شك انك مررت بعدن وقابلت اناساً كثيرين هناك فقلت نعم مررت بعدن وتقابلت مع بعض الناس فسل ما تريد فانى أجيبك على كل شىء أعلمه فقال : ما الذى جرى بين مولانا الامام والانكليز ؟ هل اتفقوا على الحدود وعلى الامور المختلف عليها بجهة عدن أم لا ؟ فقلت لا أظن أنهم اتفقوا تماماً ولكن بينهم فى الوقت الحاضر شبه هدنة وربما تدور أثناءها بعض المفاوضات لحل جميع المشاكل . ثم سألته ومن أسألك أن هناك احتلافاً بين الانكليز وحلالة الامام ؟ فقال سامحك الله أتظن انى وأنا فقير وبستانى لا أعلم ولا أهتم بشؤون بلادى؟ تأكد انا نحن معشر اليمانيين من غنى الى فقير نهتم كثيراً بشؤون بلادنا وخصوصاً مع جيراننا الانكليز وفى الربيع الماضى كان عندى هنا بهذه الدار ضيف انكليزى اسمه « جاكوب » وقد أتى من عدن خصوصاً ليقابل مولانا الامام وكان برفقته رجل نصرانى وآخر هندى وقد مكثوا هنا مدة طويلة وتحاوروا مع مولانا الامام كثيراً وقد علمت من الهندى أنهم أتوا ليتفاوضوا مع جلالة الامام فى الأشياء المختلف عليها

وبعد سفرهم الى عدن أتت طيارة انكليزية وضربت « ماوية » و « قعطبة » و« تعز » و « اب » وغيرها من البلاد بالقنابل فقتلت خلقاً كثيراً ودمرت بيوتاً متعددة وقد خاف أهالى صنعاء منها وفر قسم كبير منهم الى بلاد مشرق وبلاد الشام (أى الشمال) وتوقفت حركة التجارة وقل الأخذ والعطاء فى المدينة واستعدت

الحكومة لمواجهة الطوارئ استعدادا عظيما فأرسلت الجيوش الى الحدود ووضعت المدافع بهذا الجبل : (أى جبل نقم فوق صنعاء ونقلت الذخائر والعتاد والسلاح



دار فى بئر العزب فى صنعاء

الى الكهوف والمغاور حتى لا تصيبها الطيارات بسوء وكنت كل يوم ترى الوفاً مؤلفة من أهل الجبال الاشداء يأتون بسلاحهم الكامل الى أمام سراى مولانا أمير المؤمنين فيسلمون عليه ويعرضون تطوعهم للدخول فى الجيش والاشتراك فى الحرب لذلك ترانى وسوف ترى كل يمانى يهتم لمعرفة حقيقة الخبر مع الانكليز وجميعا والله ثم والله مستعدون أن نفنى عن آخرنا قبل أن ندع انكليزياً واحداً يدخل بلادنا . فقلت له لاتخش شراً ولا تخف بأساً لان حكمة صاحب الجلالة الامام واسعة ومقدرته عظيمة وفى امكانه أن يحل جميع الصعاب والمعضلات بالتى هى أحسن وأظن أنه انتهى كل شىء بين جلالته وبين الانكليز ووضعوا اتفاقية مؤقتة وسيسعون لعقد معاهدة ولا اعتقد أن الطيارات الانكليزية ستغزو اليمن مرة ثانية ، فقال : الحمد لله الحمد لله ، الله يحفظ الامام روحى فداه .

ولم يكن الرجل كاذباً فيما رواه لى عن شعور أهل اليمن نحو الانكليز ونحو

كل من تغريه نفسه بغزو اليمن لأنى فى صلاتى الكثيرة واختلاطى مع جميع طبقات الشعب من موظفين وسادة وعامة أفراد الأمة وجدت فيهم رغبة الى الاستقلال والمفاداة بكل عزيز وغال لم أجدها بين الشعوب الراقية لا فى الشرق ولا فى الغرب .

من هو الكولونيل جاكوب ؟

وفى الواقع كان الرجل محقا فى تخوفه من الحرب لانها كانت على قاب قوسين أو أدنى ، وقد جاء الكولونيل جاكوب موفداً من قبل الحكومة البريطانية ليحل مشكلة حدود عدن بين جلالة الامام وبين حكومته وليبحث فى عقد معاهدة مع الامام. والكولونيل جاكوب هو ضابط بريطانى مشهور بحب الفتح والاستعمار وقد وضع بالانكليزية كتاباً سماه « ملوك العرب » بحث فيه فى تاريخ اليمن وكيفية احتلال البريطانيين لعدن ولسائر المحميات التسع ومن يطالع هذا الكتاب بدقة وامعان يجده محتوياً على اطناب الكاتب فى مدح نفسه وافتخاره باعماله التى قام بها عند ماعينته حكومته معاونا لحاكم عدن وقد سعى له أن زار اليمن للمرة الاولى قبل هذه الزيارة فى آب سنة ١٩١٩ وأسره شيوخ القحرا فى تهامة وقد اتينا فى مقالة سابقة على كيفية هذا الأسر ولولا تدخل الامام و … من الأسر اقصوا عليه .

وكانت غايته من الزيارة الاولى ان يتعرف الى الامام ويدرس أحواله ويحاول أن يتفق معه على حدود بعض المحميات ولكنه عاد بخفى حنين ولم يوفق الى حل شىء من الامور التى انتدب لحلها وقدجاء فى المرة الثانية فى سنة ١٩٢٨ للغرض نفسه ولعقد معاهدة فأخفق فى مساعيه ولم يتنازل جلالة الامام للبريطانيين عن شبر أرض واحد ولذلك هاجم البريطانيون اليمن على أثر عودته الى عدن واحتلوا ما احتلوا من البلاد عنوة وبقى الاهلون متخوفين الى مابعد الاحتلال لأنهم ظنوا أن البريطانيين سيواصلون زحفهم ويستمرون فى تعدياتهم لذلك هاجت البلاد وماجت وقامت كرجل واحد

وأخذ المتطوعون يتوافدون لصنعاء أفواجاً أفواجاً ليسيروا الى قتال الانكليز ولكن جلالة الامام حفظه الله رأى ان الاراضى التى احتلها الانكليز ليست ذات قيمة زراعية أو حربية لذلك عض طرفه على مضض حتى لا يزج باليمن فى حرب مع الانكليز لا يعرف مداها أحد ، وأعتقد أنه لولا سقوط حكومة المحافظين فى لندن فى تلك السنة من الحكم وقيام حكومة العمال عوضاً عنها لغزا البريطانيون اليمن حتى صنعاء وخصوصاً بعد ما تم الاتفاق والتفاهم بينهم وبين الطليان فى موضوع على السياسة التى يجب اتباعها والسير عليها فى جزيرة العرب

وقد زار حاكم عدن الانكليزى حاكم مصوع الطليانى فى أوائل هذا العام أى عام ١٩٢٨ ورد الثانى الزيارة للاول فى نفس العام وقد حسب الناس لهذه الزيارات الف حساب وأبدى اليمانيون كثيراً من التخوف ولا أخالهم مخطئين فى ذلك لان التجارب علمتنا أن نحذر الغربيين وأن نتوقع ظهور محالفات سرية وتقسيمات أساسية لبلاد الشرق عموماً ولجزيرة العرب خصوصاً فى أى وقت كان ، وليست معاهدة (سايكس — بيكو) المعلومة التى قسم الحلفاء بموجبها الاراضى التى انسلخت عن الدولة العثمانية فيما بينهم بعيدة العهد عنا .

اليمانيون يهمون بقتل الكولونيل جاكوب

وقد قص علىّ البستانى شيئاً كثيراً عن معاملة الكولونيل جاكوب ورفيقه العربى المسيحى للاهلين والجنود الذين كانوا فى خدمته فقال ان الجميع كانوا يشكون من غطرسته ولا يرغبون فى مرافقته أو مجالسته وكان دأبه أن يكتب الشكاوى الى جلالة الامام عنهم لأقل حركة تبدو منهم وكان يمتنع عن الطعام اذا مر احدهم بباب غرفة طعامه أثناء تناوله الطعام ويطلب اليهم أن يحيوه بتحية عسكرية كلما دخل أو خرج ، وقد أثار بأعماله هذه حقداً فى صدور جميع جيرانه وسرت اخباره بين الناس فى صنعاء سريان النار فى الهشيم فابتعد الجميع عنه وصاروا يفرون من وجهه اذا قابلوه على قارعة الطريق ولم يكن رفيقه بأكثر تأدبا منه بل كان ايضاً يحتقر الوطنيين وينظر اليهم نظرة السيد

للعبيد وهذا شيء لا يمكن لليمانيين ان يحتملوه لانهم خلقوا احراراً وتربوا تربية استقلالية طبيعية ، فمن البديهي أن يشمئزوا من هذه المعاملة وان يبتعدوا عن هؤلاء الضيوف الثقلاء كل الابتعاد حتى فى الطرقات وصاروا على الرغم من قلة ميلهم للثرثرة والافراط فى الكلام لا يتركون فرصة سانحة تمر الا اشتكوا منه وذكروا سيئاته .

وقد ذكرني تصرف هذا الرجل الانكليزي الشاذ مع أهل اليمن بتصرف زملائه الانكليز أصحاب البواخر التى تعبر البحر الاحمر الى الشرق الاقصى مع الشرقيين فانهم لا يجلسون الشرقيين مع البريطانيين على مائدة واحدة للطعام ! ويعتبرون الشرقيين من الاجناس البشرية الملونة التى لا يجوز لها ان تحصل على شرف المساواة مع البريطانيين حتى فى الطعام ! !

القومندان كروفرد وتقريره السرى

وقبل مجيء الكولونيل جاكوب الى اليمن جاء رجل انكليزى آخر يدعى بالقومندان كروفرد ، ويظهر أنه كان موفداً ليمهد الطريق أمام الكولونيل جاكوب



ارع فى نثر العرب فى صنعاء وتظهر فيه
احدى سرايات الامام خلف السور

ليعقد المعاهدة مع الامام وقد تظاهر هذا الرجل انه تاجر جاء الى اليمن من تلقاء نفسه كي يشتغل بالتجارة ورفع الى حكومته تقريراً سرياً وقد وقعت بيدي مسودة هذا التقرير

وقبل أن أترجم هذا التقرير السرى للقارىء الكريم أقدم له القومندان كما عرفته جريدة (الايمان) التى تصدر فى صنعاء حيث قالت بعددها ٣١ ما يأتى :

قدم العاصمة فى غرة ذى القعدة الحالى المستر (كروفو) المتقاعد من أركان الضباط البحرية لدولة انكلترا وهو الذى تكرر وصوله قبلاً الى عاصمتنا والموما اليه كان سابقاً قائداً للسفينة الحربية الانكليزية الشهيرة (ميلتون) وقد قام باسفار عديدة فى البحار الأميركية والأسترالية والهندية ولا سيما سواحل الجزيرة العربية اذ بقى فيها مدة طويلة واستقر أخيرا فى بندر عدن وبينما كان الموما اليه مقيما بلوندرة مع عائلته منذ سنة دعته الرغبة لزيارة اليمن مرة أخرى فوصل الى عدن ثم قصد العاصمة وحل ضيفاً بصورة خصوصية والموما اليه من عائلة انكليزية أصيلة الخ

وأما التقرير فهذه صورته :

« سيدى

« لى الشرف أن أعرض ما يأتى :

« طلب منى امام اليمن أن أقدم تقريرا غير رسمى الى الحكومة البريطانية بشأن بعض المقاطعات المختلف عليها والتى يدعوها البريطانيون مقاطعة عدن المحمية

« انى فى صنعاء أسعى للحصول على اتفاقيــة تجارية مع جلالته وقد أجابنى ان مسألتك سهلة ويمكن الاتفاق عليها بصورة مرضية متى تمكنا من حل القضية السياسية وانى شخصياً واثق ان مسألتى لا تحل كما أرغب الا اذا حلت القضية السياسية وبناء على ذلك أقدم هذا التقرير غير الرسمى متوسطاً فى حل هذه القضية

« قضيت فى مقاطعة عدن المحمية نحو خمسة عشر عاماً أى منذ سنة ١٩١٢ومضى على فى خلال هذه المدة شهور طويلة كثيرة لم أشاهد فيها رحلاً بريطانياً واحدا فمن البديهى اذا أن يكون لى من الخبرة التامة بشؤون مقاطعة عدن المحمية اكثر مما لأي

رحل ريطانى حى لم تسمح له الصدف أن يأتى الى هده البلاد ويعيش فيها بعيدا عن البريطانيين . وانى لا أتقن العربية مع انه من الضرورى لى أن أعرفها معرفة جيدة كى أتمكن من اتمام مقاصدي

« وانى أعتقد بفائدة المقابلات الشخصية وأراها أفضل وسيلة للتفاهم وها أنا دا أجنى نتيجة مقابلتى الشخصية مع الامام فى كتابة هدا التقرير وانى أشعر انه يختلف كثيرا عن التقارير السياسية الرسمية

« ان الفريقين الداخلين فى هدا التقرير هما (١) البريطانيون فى عدن وهم يمثلون الحكومة البريطانية (٢) عرب اليمن وبعض العرب فى مقاطعة عدن المحمية ويمثلهم امام اليمن الذى ينتمى الى أصل معروف مند الف سنة

«وقبل أن نبت فى النزاع القائم بين الفريقين يجدر بنا أن نعود الى التاريخ فنرى أن البريطانيين شعب طموح يميل الى التوسع فادا وجدوا بقعة من الارض كثيرة الخيرات مالوا بكليتهم الى الاستيلاء عليها منتحلين لانفسهم الاسباب الواهية لانتزاع ملكيتها من أصحابها الشرعيين وبديهى أن البريطانيين يدعون انهم محقون فى اعمالهم وانهم يحافظون على حقوقهم وهم ابدا مستعدون لان يستعملوا جميع قواهم لتأييد حقوقهم الموهومة ولا شك أن سلوكهم القديم غير المرضى فى الصين والهند وافريقية ومعظم المستعمرات البريطانية قد أدى فى الوقت الحاضر الى الاضطرابات فى هده البلاد وهده الاضطرابات تدفعنى الى بيان الحقائق عن البلاد العربية التى كثيرا ماينخدع المرء بظواهر الامور فيها إذ يخيل الى الباحث أن العرب لايفقهون معنى الوطنية وانهم يحاربون بعضهم بعضاً حرباً دائمة ولكن إذا أنعمنا النظر فى حقيقتهم نرى أن جميع العرب فى هده الدنيا يميلون الى غاية وطنية واحدة هى أن حرية العرب للعرب وهى فى نظرهم مقدسة كل التقديس وقد أكد لى صحة هذه النظرية محمد بن ادريس حاكم عسير ولا شك ان عدد نفوس المسلمين فى هده الدنيا يعادل عدد المسيحيين هـدا ان لم يزد عليهم

«لاجدال ان هنالك اختلافات بين المسلمين كما توجد اختلافات بين المسيحيين ولكن فى كثير من الأمور المهمة يتفق المسلمون ولا شك فى أن البريطانيين سيلاقون صعوبات جمة اذا بقوا متمسكين ببعض الأماكن فى جزيرة العرب وقد أثبت لنا التاريخ ان العرب لا يسكتون على الضيم وانهم يحقدون واذا حقدوا فلابد لهم من أن يثأروا مهما كان خصمهم عنيداً وقد أدرك السلطان سليمان القانونى هذه الحقيقة أكثر من البريطانيين فترك اليابسين وشأنهم بعد ما كاد يعلن الحرب عليهم ، وانى أنصح حكومة جلالة الملك أن تدقق فى هذا الأمر بامعان

« ان مقاطعة عدن المحمية تكتسب أهميتها فى الأمور الآتية :

«أولا — ان الضالع (اسم مكان) ضرورى للبريطانيين من الوجهة العسكرية وفى امكاننا أن نحتفظ به دون صعوبة عظيمة ودون أن نتمسك بجميع مقاطعة عدن المحمية

ثانياً — ليس فى وسعى وأنا رجل مدنى وضابط بحرى أن أبدى رأياً عسكريا ولكن حباً بصراحة هذا التقرير أبسط بعض آرائى الخاصة وهى بطبيعة الحال عرضة للانتقاد انمقاطعة عدن المحمية ليست من الاهمية فى شىء بالنسبة الى عدن نفسها لان عدن كمضيق جبل طارق منيعة من كل هجوم داخلى واهل مقاطعة عدن لم يخلصوا يوما من الايام لحكومة عدن ولا يمكننا أن نحافظ على صداقتهم الا ببذل الاموال الطائلة ونحن نخالف فى عملنا هذا القول المأثور ان الجيش يجب أن يعيش على البلاد التى يحتلها ولا يمكن تطبيق هذا القول فى مقاطعة عدن أبداً ، فنحن نجلب اللحم الذى نأكله هناك من الصومال ونجلب الحنطة من بلاد الهند ولا اشك بان عدن ستبقى دائما عرضة لدسائس العرب وقد تنتقض علينا على حين غرة كما ثبت لنا ذلك فى أيام حربنا مع الترك فى سنة ١٩١٦

« ثالثا — يوجد بعض املاح الرئبق فى مقاطعة عدن المحمية ولكن لا يمكن الانتفاع بها قبل أن يستتب الامن ولا يمكن ايضا الاستفادة من حاصلات عيبان ولحج الزراعية الا متى أعدت طرق الموصلات الجيدة وبامكانى ان أصرح بكل وضوح أننا لا نستفيد

فائدة تجارية تذكر من مقاطعة عدن المحمية الا اذا قبضنا عليها بيد حديدية وحميناها حماية حقيقية وذلك يقتضى اموالا طائلة لاتتناسب معها واردات المقاطعة أبداً .

« ورب سائل يسأل : هل تساوى مقاطعة عدن المحمية هذه النفقات الطائلة ؟ فالجواب كلا وللامام نظرية الحال بطريته الخاصة فى هذه المسألة وهى تستحق العناية اذا اردنا الانصاف واما اذا شئنا المكابرة فى المحسوس فيمكن للبريطانيين ان يحتفظوا بمقاطعة عدن المحمية ويوهموا انفسهم انهم على حق فى دعواهم لانه من البديهى ان السياسة لاعدل فيها

« أما رجل بريطانى مخلص لحكومتى وأعتقد انها أفضل حكومة فى العالم وخصوصاً للبريطانيين، وقد قضيت السنين السبع الاخيرة بين العرب وانى أؤكد لكم عن علم بانكم لا تستفيدون من مقاطعة عدن المحمية بل بالعكس تخسرون كثيرا من النفقات على حمايتها وانى واثق أنه لا يوجد عندكم فى عدن أحد من أهل الخبرة التجارية ليطلعكم على هذه الحقيقة ويهتم بترقية التجارة ولا يمكنكم ادراك حقيقة تجارة مقاطعة عدن المحمية ما لم تحصلوا على مكان عسكرى أمين تحافظون بواسطته على عدن ولا يمكنكم الحصول على هذا المكان الأمين الا اذا كان امام اليمن مسالماً لحكومة صاحب الجلالة

« ويمكن لامام اليمن أو لمن يأتى بعده أن يهب عدن موقعاً عسكريا وعندئذ تحل مشكلة مقاطعة عدن المحمية وتترك، وفى امكاننا أن نتنازل عنها دون أن نخسر شيئاً من نفوذنا ودون أن نضيع حقوق غيرنا أو حقوقنا ، وأما ان ادعيتم غير ذلك فلا شك أن كفة ميزان العدل الراجحة لا تكون فى جانبكم

« انى أوجزت فى بيان طلبات البريطانيين لانها معلومة لكم ولا تحتاج الى زيادة ايضاح ولكن لا يخفى عليكم أن لكل قضية وجهين وحباً فى الايضاح أعرض عليكم تاريخا مختصرا للنزاع القائم بينكم وبين الامام منذ سبع سنوات ، أما نظريتكم فانتم أعلم بها وأما نظرية الامام فانكم لم تطلعوا عليها بحذافيرها ، وفى سنة ١٩١٤ حافظ الامام على الحياد التام ولم يكن فى وسعه وقتئذ أن يعمل اكثر من ذلك . ولما طرد

الترك من جزيرة العرب فى سنة ١٩١٨ أمّل جلالته أن ينـال المكافأة وقد صرح البريطانيون على رؤوس الأشـهاد فى خلال سنة ١٩١٤وسنة ١٩١٨ انهـم لا يمدون أيديهم الى شبر واحد من أراضى جزيرة العرب وان بلاد العرب للعرب

« وكانت منطقة عدن المحمية قديماً تابعة لبلاد اليمن ولم يعترف أحد من أئمة اليمن للترك بملكيتهم لها أولعدن ولم تكن عدن من أملاك الحكومة التركية فتهبهما لمن تشاء ولذلك كان الامام ينتـظر بفارغ صبر اعادة مقاطعته الحيوية له ولـكنه لما خاب ظنـه فى الحـكومة البريطانيـة فى عام ١٩٢٠ احتل بعض أجزاء المقاطعة وظن انه سيوفق الى نيل مطالبه بصورة عادلة ، ولما جاءته بعثة كليتون كان يرجو أن تزول الاختلافات بطرق حبية إلى أن أفهمته هذه البعثة ان البريطانيين يريدون موقعاً حربياً فى الصالح فتيقن الامام من هذا الطلب أنهم متى حصلوا على موقـع حربى يمكنهم أن يحصنـوه وينتقلوا منـه لغيره فيحتلوا ما يريدون من بلاده فاضطرب لهذا النبـأ وعبثاً حاول أن يرضى البريطانيين وفى النهاية فشلت بعثة كليتون

« ولما وصلت إلى هنا (لصنعاء) ظن الامام فى أول الأمر انني موظف ولـكنه غير هذا الظن عنـدما اكدت له انى لست مأموراً ولا موظفا بل تاجراً ينتمى لقضاء بعض المصالح التجارية فوسطنى لأسعى لابلاغ رغائبه الى حكومتى وقال انه سيعطينى مذكرة يبين فيها طلباته. وقد صرح لى تصريحا غير رسمى أنه لا يرى فائدة من محاربة الحكومة البريطانية ولكنـه يطلب العدالة البريطانيـة وهو لا يرى صعوبة فى وضع شروط مرضيـة بشأن جعل الصالح مركزاً عسكريا بريطانيا وبيـن انه بصفته حاكما عربياواماما لايمكنه أن يسحب جميع قواته من مقاطعة عدن المحمية، ولكنه اذا أعطى الوقت الكافى ليحافظ فيه على عظمته يمكنه عندئذ أن يسحب قواته بالتدريج، هذا اذا اقتضت الضرورة ذلك وقد قال لىهذه الاقوال شفاها ولكنه كانقلقاً مستعدا أنيكتبها على الورق وقد سرنى انه لم يفعل ذلك اذ لا فائدة من احراج الانسان وقد كتبت هذا التقرير قبل أن أحصل على مذكرة الامام غير الرسمية أو على ترجمتها

« حاشية : تلقيت مذكرة من امام اليمن أملاها جلالته على أمين سره الخاص

ولأسباب بديهية لم يمضها وقد كلفنى شفاها أن أهتم بها اهتماما كثيرا وأن أقدم بها مع الشروح الكافية الى حكومة صاحب الجلالة وها أنذا أقدم شروحى مصحوبة بالمذكرة وبترجمتها المعنوية لا الحرفية وفى امكانكم أن تحصلوا على ترجمة صحيحة فى دائرتكم - انتهى



سراى جلالة الامام المسماة دار الشكر وقد بناها حديثا

اللورد لامنكتون واليمن

وعقيب عودتى لمصر من رحلتى هذه فى اليمن كان الانكليز قد شرعوا فى التعدى على اليمن وضرب بعض المدن بقنابل الطيارات فرأيت من الواجب أن أكتب شيئاً فى هذا الموضوع وأبين هذه التعديات للشعب البريطانى الذى لا يوافق بكل تأكيد على تصرفات حكومته هذه فأرسلت صورة تقرير القومندان كرومرد مع كتاب مطول وشرح أطول عن حوادث اليمن الى فخامة اللورد لامنكتون صديق العرب ونصير الضعيف ورجوته نشر الجميع للرأى العام البريطانى ، ولدى وصول كتابى لفخامته احتج فخامته على تصرفات حكومته وطلب منها ايضاحات عن أعمالها فى اليمن وأرسل الى كتابا يشكرنى فيه على رسالتى وهذه ترجمة بعض ماجاء فى ذلك الكتاب :

«أشكركم على كتابكم المهم الذى أرسلتموه إلى وعلى التقرير المرسل طيه وانى

أكون ممتناً لكم اذا عرفتموني بما يجرى باليمن وبموقفنا وعلاقاتنا معه وأيضاً بموقف الدول الأوروبيـة الأخرى وعلاقاتها به . ولا أرى من المناسب أن أنشر تقرير كروفرد ولكني نكل تأكيد سأنصح حكومتى بعقد اتفاقية مع اليمن وقد أوضحت أسس هذه الاتفاقية فى مجلس اللوردات البريطانى . انتهى

ومن دواعى سرورى انه تم أخيراً عقد اتفـاقية بين الانـكليز وجلالة الامام وانتهت مسألة الحدود بين اليمن والمحميات على ابقاء كل شىء على حاله وبذلك فازت السياسة اليمانية فورا لاعبار عليه ورضى البريطانيون بالأمر الواقع

أستميح القارىء الكريم العذر بولوجى وإياه فى معاوز السياسة والشطط عن سير الرحلة لأنى رأيت من الضرورى أن يفهم العرب حقيقة موقف الانـكليز معهم. والآن أعود بالقارىء الكريم الى دارنا فى صنعاء وأصف له ماتم لى فيها يومئذ فأقول: صعدت قرب الغروب الى سطح الدار لأرقب مغيب الشمس وأجلت نظرى أولا فى جهـة الشرق واذا بصنعاء المدينة الازلية الخالدة تبدو أمامى عمآئدها الجميلة وبناياتها الملونة العجيبة كأنها حسناء من حسان هذا الزمان قد ازدانت باللؤلؤ والمرجان ، ومن خلفها (يشمخ) حارسها الاعظم جبل «نقم» برأسه فوق السحاب وتتلألأ فى قمتـه أنوار تنعكس عن جدران الحصون فتزيده بهاء على بهاء ، ونظرت بالقرب منى فاذا بالحدائق مزدهرة بأنواع البقول والاعشاب التى أ كسبت أرضها لوناً سندسياً أخضر يمـد جماله الى القلوب قبل العيون ، وكان النسيم عليلاً وحرارة الشمس خفيفة والأولاد على الآبار ينشدون أناشيدهم الجميلة ، وبالاختصار كان كل شىء فتاناً يهيم فيه الانسان ، وبقيت أمتع النفس بهذا المنظر الخلاب الى أن اصفر قرص الشمس وأخذ يتوارى شيئاً فشيئاً خلف الجبال ، وما كاد يغيب عن نظرى حتى هاجمنى الظلام بخيله ورجله وما أسرع دخول الظلام بعد غياب الشمس فى هذه الجهات القريبة من خط الاستواء

شعرت فى الحال ببرد يتسرب الى جسمى فهرولت نازلا من فوق السـطح الى (المنظرة) ـ وهى الغرفة فى أعلا المنزل ـ وأمرت الخدم أن يعدوا لى سريرى وفتحت

صندوقاً فأخرجت منه معطفاً ثقيلا فارتديته وجلست الى (الخوان) وقد وضعوا لى عليه مصباحا مضاء بالبترول وأخذت أطالع فى كتاب جلبته معى، وهذه هى أول ليلة بعد خروجى من الحديدة تمكنت فيها من المطالعة ، وبعد مدة من الزمان قرع أحد الخدم الباب ـ وهذه عادة غيرمألوفة فى اليمن ولكن خادمنا هذا كنا أحضرناه معنا من عدن وقد تعلم من الانكليز بعض عاداتهم ، فصار لايدخل الى الغرفة الا بعد الاستئذان ـ وقال لى : (العشاء طيار) أى جاهز ، فقلت : حسناً وهرولت خلفه قافزا كل درجتين قفزة واحدة لان المعدة كانت خاوية ولا غرابة فى ازدياد شهية المرء للطعام بعد رحلته عدة أيام على ظهور البغال بين الوديان والآكام والجبال ! جلست وأصحابى الى المائدة وتناولنا طعامنا على الطريقة الغربية بملاعق وشوكات وسكاكين الخ . ولكننا كنا نبتلعه ابتلاعا لشدة جوعنا وقبل أن ننتهى منه شعرنا باشتداد البرد كثيرا ولما لم تكن عندنا وسائل للتدفئة . انسحبنا من غرفة الطعام وذهب كل منا الى فراشه .

الليلة الاولى فى صنعاء

نمت ليلتى الأولى فى صنعاء على سرير حديدى وفراش وثير ناعم ولم أستيقظ فى الليل كما كنت أستيقظ مراراً فى أثناء السفر على صوت الجنود ينشدون (الزامل) وعلى صوت النزاع بين بعض صبيان (المقهاية) وهم يربطون (قرائشهم) أى حيواناتهم أو يطعمون جمالهم ، وعلى نداء صاحب (المقهاية) لزوجه (ياعتيقة أصرمى النار وياعتيقة اعلى القشر) وعتيقة اسم شائع فى اليمن بين النساء كثيراً وأظن أن اصله مشتق من تعدد الزوجات فصار الزوج ذو الزوجات المتعددات ينادى زوجه الأولى (بعتيقة) للتفريق بينها وبين غيرها من الزوجات الجديدات ، وبعد استعماله على هذه الصورة مدة من الزمن أصبح اسما علماً . نهضت من نومى قبل طلوع الضوء فشعرت ببرد قارس جداً فبقيت غارقاً فى فراشى الوثير الى أن بزغت الشمس وسمعت وانا فى سريرى بعض المؤذنين يحيون على الصلاة وعلى الفلاح وعقبتهم أبواق الجند فى محافر

سور المدينة بإيقاع يعبر عن أوامر مختلفة ويدعو الجند الى الصلاة وقد أبصرت وانا فى عرفتى أحد الجنود الموكول اليهم حراسة دارنا يتوضأ فى ماء (الشادروان) المتجمد فاقشعر جسدى من البرد ولازمت الغرفة، وجميع اليمانيين كهذا الجندى يصلون الصبح حاضراً ولا يهملون وقتاً واحداً من أوقات الصلاة وهم متمسكون كل التمسك بفرائض الدين الحنيف لا يحيدون قيد شعرة عن جميع ما أمر الله به ورسوله . وليس تمسكهم بدينهم مظهراً من المظاهر الخارجية « الميكانيكية » التى يتبعها بعض المسلمين من غير اليمانيين بقوة العادة والاستمرار بل هى عقيدة ثابتة متمكنة فى نفوسهم وليس ذلك بالغريب (فالايمان يمانى والحكمة يمانية). وما كادت الشمس ترسل أشعتها الذهبية من أعلى جبل (نقم) حتى ابتدأت موسيقى البئر تعزف انغامها الشجية وأخذ الأولاد ينشدون أناشيدهم الملونة اللطيفة تسلية لانفسهم وتنشيطا لحيواناتهم، وقد ذكرنى هذا الصياح بايام طفولتى بدمشق الشام فى عهد السلطان عبد الحميد فكثيرا ما كنا نصحوا أيام الشتاء فى فرشنا ولا نجسر على مغادرتها من شدة البرد وكان فى الوقت نفسه بوق الجيش الحميدى يرسل فى الثكنات ألحاناً هى نفس الالحان التى يرسلها بوق صنعاء

نهضت بعد طلوع الشمس من فراشي ونظرت الى مقياس الحرارة (ترمومتر) فاذا به أربع درجات تحت الصفر ولكنه كان وقتئذ آخذا فى الصعود ويكاد المرء لا يصدق أن درجة الحرارة فى الظل تختلف بين الليل والنهار ثلاثين درجة فارنهيت فبعد أن كانت بالليل أربعاً أو أكثر تحت الصفر بلغت فى النهار فى الظل ٦٠ فوق الصفر وفى الشمس ٩٧ فوق الصفر . ويسبب اختلاف درجة الحرارة فى الشتاء على هذه الصورة كثيراً من الرشوحات الصدرية وخصوصاً بين الأولاد . وقد دام البرد على هذه الحال نحو شهر من الزمان كان الماء فيه يجمد كل ليلة وقد أضر الشجر كثيراً وأتلف الخضار الشتوية كالقرنبيط والكرنب والسبانخ الخ واخبرنى الكثيرون من المتقدمين فى السن أنهم لم يروا برداً كهذا البرد منذ ثلاثين سنة أو أكثر . نزلت بعد طلوع الشمس الى غرفة الطعام فتناولت منه ما تيسر وجلست أتمتع بجمال الطبيعة وأتدفأ بحرارة الشمس واراقب الشادروان كأنى فى منام وبينما أنا كذلك إذ بقائد

الروضي (مأمور الاعاشة) حضر وقال : (أصبحتم) : أي أسعد الله صباحكم فأجبناه بلغة اليمن (صبحكم الله بالخير والعافية) . وكان يحمل فى احدى يديه فخذ كبش من الضأن وبيده الثانية سلة كبيرة وقال (هو دا تعيين يومكم) فلم أفهم ماذا يعنى وقلت له : وما هذا التعيين؟ فأجاب نحن هنا نجلب للضيوف كل صباح ما يحتاجون اليه من الطعام فى مدة أربعة وعشرين ساعة فقلت حسناً ! غير أن حب الاستطلاع دفعنى الى أن أرى ماذا كان يحمل فقلت له : أرنى ماذا جلبت ؟ فوضع السلة أمامى فاذا هى طافحة بالسمن والسكر والأرز والبن والبيض والطماطس والملح والفلفل، وبالاختصار بجميع ما تحتاج اليه عائلة كبيرة فى عدة أيام وكان خلفه غلام يحمل لبناً وفحما وقال انه سيجلب لنا حطباً ، للوقود والطبخ ، فقلت له : ياقائد أدام الله تعالى بقاء مولانا الامام وأكثر عليه الخيرات ، نحن لا نحتاج الى جميع هذه الاشـياء ، فقال لا والله هذا غير ممكن ، ومقامكم عند مولانا الامام كبير فلا يمكن أن نتأخر عنكم نشيء وسنجلب لكم كل يوم سبع — أى مثل — هذا التعيين أو أكثر منه أما الخضر فمروا البستانى أن يجلب لكم من حديقة داركم ماتشتهون ، فشكرناه شكرا جزيلا على هذا الكرم العظيم ودعونا لجلالة الامام بطول العمر . ثم قال لى قائد لا بد أن يرسل مولانا بعض أحصانه للترحيب بكم ولـكن بطبيعة الحال هو يعلم انكم متعبون من مشاق السفر والطريق ، وربما يبطىء رسوله فسامحوا ـ أى عصوا النظر ـ فقلت حسناً بارك الله فيكم وأدام لنا حياة مولاكم

وجاءنا قبيل الظهر القاضى احمد الآنسى ، وهـو من رجال حـكومة الامام ، ويعتمد جلالته عليه كثيرا وقد أوفده مرة الى انقرة لـكي يفاوض الغازى مصطفى كمال باشا وحكومته فى بعض الشؤون السياسية وهو يشغل اليوم بصنعاء وظيفة مدير المعارف وهو رجل أسمر اللون ربع القامة، نحيف الجسم، تبدو على محياه امارات الذكاء فرحبنا به ودعوناه الى صالة الاستقبال ، ولما استقر به المقام قال : حيي الله من قد جاء أمرنى جلالة مولانا أمير المؤمنين أن احضر لزيارتـكم للترحيب بكم ، وابلاغكم سلام جلالته ، وللاطمئنان على أحوالـكم وصحتكم فكيف أنتم ؟ عساكم معافين وبخير وكيف وجدتم بلاد اليمن واقليمها وماءها وهواها ؟ فقلنا: الحمد لله والشكر لجلالة مولانا الامام

على لطفه وعطفه نحونا ، اننا على اتم مايرام من الراحة والهناء ، وقد سررنا بكل شيء شاهدناه فى هذه البلاد السعيدة ، وما أخطأ من سماها « السعيدة » لأن كل شيء فيها مريح وسعيد وجميل ، واننا نتمنى لها كل خير ونجاح فى ظل جلالة مولانا الامام وحكومته المتوكلية . فقال شكراً لكم على هذه العواطف النبيلة ، وهل لكم من خدمة



القاضى احمد آلانسى مندوب الامام فى تركيا سابقا
ومدير المعارف فى صنعاء فى الوقت الحاضر والى جانبه احد اولاده

أو حاجة نقضيها لكم ؟ فقلنا كلا انما نريد أن نحصل على شرف المثول بين يدى جلالة الامام . فأجاب سأعلم جلالته بذلك ، ولكن لابد لكم من تناول قسط من الراحة بعد سفركم الطويل وعنائكم الكثير فاستريحوا يومين أو ثلاثة واخرجوا الى صنعاء وشاهدوا أسواقها وآثارها ومبانيها وأعلمونى بكل غرض يلزم حتى أقوم بتأديته حالا ، وقد أمروا لكم بجنديين كى يكونوا فى خدمتكم ، ويحرسوا داركم وأشياءكم فى وقت غيابكم . فقلت ، أخشى أن يكون هذان الجنديان مراقبين علينا ، كما وصف ذلك

بعض الذين أتوا اليمن ؛ وألفوا كتابا عن رحلتهم ؟ فأدرك حضرته للحال قصدي وقال عافا كم الله أنتم شيء وأولئك الذين تعنونهم شيء آخر ، وما هذان الجنديان الا مظهر من مظاهر الحفاوة والاحترام ،فكونوا براحة بال،وادهبوا أينما شئتم،وافعلوا ماأردتم، فأنتم على الرحب والسعة وأنتم منا ونحن منكم،فقلت أصبحنا وايم الحق مغمورين بلطف جلالة الامام وفضله وكرمه ، وليس بنا حاجة الى شيء : ثم تناول حديثنا أحوال الجو فأحوال السياسة ، وغيرها من الشؤون العالمية ، فوجدناه عالما بها كأحد أبناء مصر ، والشام ، ممن يعنون بهذه الأمور ، وأخبرنا حضرته بأنه يقرأ كثيراً من الجرائد المصرية والشامية ، ويتابع سير النهضات الوطنية ، في العراق ، ومصر ، والشام ، وفلسطين ، باهتمام شديد ، فسألته هل يأتي الى اليمن كثير من الجرائد ، وهل تباع في المكاتب العمومية ؟ فأجاب كلا ان لبعض الجرائد العربية بعض المشتركين ، فتصل لهم كميات في كل بريد يأتي الى صنعاء فقلت ، ومتى يأتي البريد ؟ ومتى يسافر؟ فاجاب يقوم البريد ، من الحديدة ومن صنعاء في كل أسبوع مرة واحدة ، ويستغرق وصوله اليها أربعة أيام ، ويسافر يوم الربوع (أي الاربعاء) من كل أسبوع فقلت وكيف يرسل ؟ فقال يتسلمه أمير الجيش (أي قائد الجيش)ويرسله مع جندي نجاب من مركز الى مركز ، ويسير الجندي النجاب في الليل والنهار ، ولذلك يصل في أربعة أيام من الحديدة الى صنعاء عوضاً من أن يصل في سبعة أيام ، وبديهي أن الجندي النجاب يتغير في كل مركز في أثناء الطريق .

مصلحة البريد

ويوجد باليمن مصلحة للبريد لابأس بها ، ويتقاضون فيها على الرسالة العادية الداخلية ؛ من عامة الناس ، نحو عرشين سوريين ، ومن الجند عرشاً واحداً ،وعندهم نوعان من الطوابع بيضاء وصفراء ، فالبيضاء بقرشين ، والصفراء بقرش واحد، وهي مصنوعة في صنعاء من الورق العادي .ومن ينظر اليها لا يتبادر الى ذهنه لاول وهلة ، انها طابع بريد لغرابة شكلها وقد كتب عليها في أعلاها (صنعاء) وفي وسطها

(الحكومة المتوكلية الاسلامية) وفى أسفلها ثمنها واسم حلالة الامام

ويأتى البريد الداخلى الى صنعاء اليمن من سائر انحاء البلاد فى كل أسبوع مرة واما البريد الخارجى فيأتى غالبا كل أسبوعين مرة واحدة ، وذلك متوقف على مجىء احدى بواخر شركة القهوجى من عدن الى الحديدة ، وهذه البواخر تحمل البريد الذى يجتمع فى عدن من جميع أطراف العالم بصورة غير رسمية ، لان اليمن غير مشتركة فى مؤتمر البريد الدولى ولذلك لا يضمن أحد وصول البريد الى هذه البلاد ويضطر المرء الذى يريد أن يرسل كتابا من صنعاء الى العالم الخارجى أن يضع عليه نوعين من الطوابع الطابع الاول ، يمانى وهذا يكفل وصوله من صنعاء الى الحديدة والطابع الثانى هندى وهذا يضمن وصوله الى العالم الخارجى ، والسر فى أنه هندى هو أن عدن تابعة لحكومة الهند ولما كنت فى صنعاء للمرة الاخيرة علمت أن الحكومة مهتمة بالاشتراك فى مؤتمر البريد الدولى وقد تم لها الامر منذ بضع سنوات ودخلت اليمن بصورة رسمية فى اتحاد البريد الدولى، وصار بالامكان ارسال الرسائل من صنعاء الى جميع اطراف العالم بوضع طابع يمانى فقط وقد صنعت حكومة اليمن كمية كبيرة من طوابع البريد فى المانيا منذ دخلت باتحاد البريد الدولى ، وصار لليمن كما لغيرها من الدول طوابع بريد بالمعنى المفهوم عندنا والشكل المعروف لدى جميع الناس .

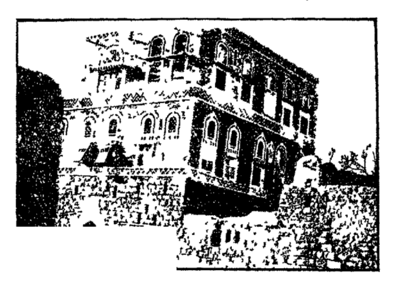
مصلحة التلغراف

وتوجد فى صنعاء مصلحة للتلغراف تابعة لمصلحة البريد ويمكن للمرء ان يتخابر بالتلغراف مع من شاء فى جميع أطراف اليمن بسهولة تامة وبأجور بخسة ويوجد فى صنعاء أيضاً مركز للتلغراف اللاسلكى (طار الهواء) أسسه الطليان بامر حلالة الأمام منذ بضعة أعوام ، وصار من السهل أن يتخابر الانسان من صنعاء مع العالم الخارجى عن طريق (ماركونى مصنوع) ولكن من دواعى أسفى ان الموظفين الطليان فى هذه المصلحة لا يقومون بمهمتهم حق القيام ، فقد أرسلت من صنعاء ثلاث برقيات عن يدهم باللغة الفرنسية فى رحلتى الاولى الى اليمن سنة ١٩٢٧ وتقاضوا منى أجوراً باهظة عنها وأعطونى وصلاً بالقيمة المدفوعة، ولكن تلك التلغرافات لم تصل . ولسبب من الأسباب

غضب جلالة الأمام على هذه المصلحة وأمر باغلاقها مدة من الزمان ، ثم زالت تلك الأسباب وعاد لاستعمالها مرة ثانية ، وهي اليوم مستعملة بصورة رسمية . وعلاوة على هذا الماركوني اشترك جلالة الامام مؤخراً في التلغراف الدولي (كابلو) عن طريق الشيخ سعيد وصار بالامكان مخابرة اليمن من جميع أطراف العالم عن هذا الطريق

حي بئر العزب

بعد ذهاب القاضي احمد الآنسي تناولت طعام الغداء واسترحت ساعة من الزمن ثم خرجت لأشاهد المدينة وصحبت برفقتي جنديا من جنودنا ليهديني الى الطريق ويكون لي خير الرفيق خرجت من الدار في زقاق ضيق لا يبلغ عرضه اكثر من مترين ، وأرضه غير معبدة ؛ وتقوم الى جانبه جدران بيت من اللبن والطين على طراز بناء (دكوك) حدائق دمشق الى علو متر ونصف ، أو مترين ، ويوجد خلف هذه الدكوك حدائق غناء ، ومنازل جميلة على شكل — فيلات — مكشوفة الأطراف ، الا من سور في آخر حدائقها ، مررنا بمنتصف الزقاق بكتاب للاولاد الصغار ، وكان صوت



دار في حي بئر العزب مبنية من الحجر والآجر الاحمر

قراءتهم بالغناء عنان السماء ، فهم كغيرهم من الاولاد فى كتاتيب البلاد الشرقية عا فيها دمشق الشام يقرأون بالجملة لا بالمفرد وانتهينا فى آخر الزقاق بميدان واسع يقال له ميدان باب الشرارة ويوجد فى جهة هذا الميدان الشمالية المدرسة العلمية المتوكلية ، وبعض الشوارع المتجهة نحو حى بئر العزب وتوجد فى جهة باب الشرارة من الجنوب ثكنة عسكرية كانت أيام الدولة العثمانية مكتباً للصناعات ، والى جانبها توجد طريق واسعة تؤدى الى قاع اليهود، ويوجد على جانب هذه الطريق حانوت كبير لتاجر يهودى قيل لى انه من أغنى تجار صنعاء ويوجد فى جهته الشرقية المستشفى الملكى وقد وضعت عليه لوحة كتب عليها باللغة التركية — صنعاء خسته خانه سى — أى مستشفى صنعاء ويوجد فى هذه الجهة أيضاً سور ثان — غير سور صنعاء العمومى — وهو يحيط بسراى جلالة الامام وحدائقها ، وفيه باب صغير خاص للحرم الشريف ، وفيه على بعد بضع مئات من الأمتار باب آخر يقال له باب الشرارة ، وهو المدخل العام الى أحياء المسلمين ، وشوارع مدينة صنعاء القديمة اذ يمكننا أن نطلق على حى بئر العزب اسم مدينة صنعاء الجديدة ، لأن هذا الحى بنى أيام الترك فقط . ويوجد فوق باب الشرارة بناء فخم بناه الترك ، ويستعمله حاكم صنعاء كمكتب له وفيه أيضاً مكاتب لبعض الضباط المستخدمين فى الحرس الملكى .

حانوت اليهودى والنسيج الشامى

دخلت حانوت اليهودى المثرى فى باب الشرارة لأرى ماذا يوجد فيه من البضائع والسلع ، فرحب بى صاحبه أجمل ترحيب وقدم لى كرسياً لأجلس عليه ، فجلست وأجلت نظرى فى أطراف الحانوت فاذا بمساحته تبلغ نحو ثمانية أمتار مربعة ، وعلوه نحو مترين ونصف متر وقد كدست فيه البضاعة بعضها فوق بعض بصورة منتظمة ، وأهم تلك البضائع وأكثرها صايات الحرير الشامية ، ويقولون لها فى صنعاء (الصايات المصرية) لأنها تأتى عن طريق السويس المصرية وصايات الديما الشامية ومعظمها من مصنوعات حلب ، وقد قرأت أسماء بعض الحلبيين عليها ورأيت أيضاً

أنواعاً مختلفة من الحرير الملون بالوان زاهية كالاحمر ، والاصفر ، والاخضر ومعظمها من مصنوعات فرنسا ، وهذه الأقمشة الحريرية تستعملها السيدات المسلمات الغنيات للابسهن ، وقيل لى ان بعضهن ينفقن عن سعة على ملابسهن ، ويبلغ أحياناً ثمن ثوب السيدة منهن مع شغله وتطريزه وتحليته بالخيوط القصبية أو الفضية والذهبية ، من ثلاثين الى خمسين جنيها انكليزياً .

وشاهدت أيضاً كثيرا من الشيت والكتان وغيرها من الاقمشة القطنية الرخيصة، التي لاتحصى الذاكرة أنواعها ويوجد على بعضها رسوم ونقوش غريبة الاشكال تستعملها النساء فى صناعة أحجبتهن «حبارتهن» ورأيت أيضاً أنواعا مختلفة من الجوخ والاقمشة الصوفية ، وجلها من الاصناف الواطية ، المصنوعة فى بريطانيا العظمى. سألت التاجر من أين تستوردون بضاعتكم ؟ وهل لكم عملاء فى خارج اليمن ؟ فقال : كلا، لايوجد لنا عملاء خارج اليمن، انما نستورد بضائعنا من عدن. فقلت ولماذا لاتستوردونها رأساً من معاملها فتوفرون على أنفسكم « القومسيون » وغيره ، فقال ان «مقطوعية» محلى قليلة بالدرجة الاولى ، ولاتوجد عندنا بنوك لنحول عليها أصحاب المعامل فى الخارج لذلك نضطر الى أن نذهب بين آونة وأخرى الى عدن ونشترى بضائعنا منها ونشحنها معنا ونأتى بها الى هنا

البنوك

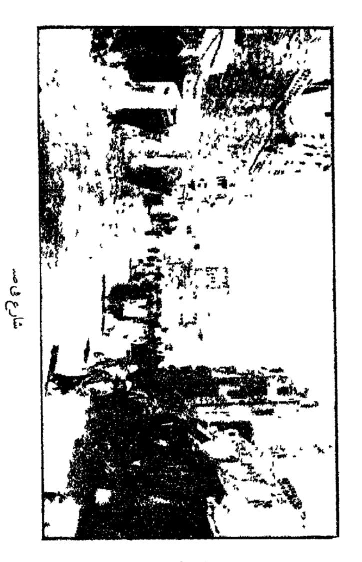
وفى الحقيقة ان مشكلة البنوك مشكلة مهمة فى اليمن إذ لايوجد بنك واحد فى هذه البلاد التى يبلغ سكانها خمسة ملايين وقد سعى بعض المثرين كالخديوى عباس وغيره لفتح بنوك فى اليمن ولكن جلالة الامام لم يقبل بالشروط التى عرضوها عليه فباء مشروعهم بالفشل وظلت البلاد الى هذا اليوم تخبط خبط عشواء فى مبادلاتها التجارية وحوالاتها المالية فى حوالاتها المالية فتارة تستعين بالشركات التجارية الاجنبية وطورا تلجأ الى وكلاء البواخر البحرية وسألت التاجر اليهودى وعن أى طريق تجلبون بضائعكم من البر أم من البحر ؟ فقال عن طريق البر مع القوافل لاعن طريق البحر ونصل

هذه الطريق بالرغم من أخطارها ونفقاتها لعدم وجود بواخر تسافر من عدن الى الحديدة فى أوقات معينة منتظمة . فقلت وأى اخطـار ونفقات تعنون ؟ فقال نفقات النقل البـاهظة واخطـار السلب والنهب مابين عدن وماوية فى أراضى الحواشب ، والصبيحة ، وغيرهما من القبائل الخـاضعة للحكم البريطانى فى المحميات التسع اسما لا فعلا ونضطر الى دفع ضرائب لسلطان لحج وخوات لغيره من أمراء المحميات لـكى يأذنوا لنا فى المرور فى أراضيهم ، وخاصة الى سلطان المسيمير الذى يأخذ رسماً على كل حمل دون أن يهاب سلطة احد . ومتى وصلنا الى ماوية وهى أول حدود بلاد جلالة الامام ندفع ضريبة جمركية ثانية على هذه البضائع ولكنا هنا نجو من السلب والنهب ولا ندفع خوات لاحد ويستغرق وصول القوافل من عدن الى صنعاء عن هذه الطريق اكثر من خمسة عشر يوما، ومما يؤسف له ان البريطانين فى أيام الحرب العامة عملا بقاعدة فرق تسد استمالوا بالوعود والمال امراء النواحى التسع المحمية ، وحملوهم على أن يشقوا عصا الطاعة على أئمة اليمن ويثوروا عليهم وينفصلوا عنهم، ونصبوهم أمراء وسلاطين على هذه البلاد، وأخذوا يغدقون عليهم العطاء والنياشين، ويضربون لهم المدافع اذا جاءوا الى عدن، ففسد أمرهم، وظنوا انهم سلاطين حقيقة . وصاروا يستبدون باتباعهم ورعيتهم ويسومونهم سوء العذاب ، ولما قطع البريطانيون عنهم المرتبات والعطاءات بعد الحرب العظمى ندموا على ما فعلوا ولات ساعة مندم ، ومن شدة ضغط البريطانيين عليهم ثار بعضهم على البريطانيين بزعامة أمراء قبيلة الصبيحة وصاروا يسلبون وينهبون على قارعة الطريق ، وفى وضح النهار فاضطر الانكليز مراراً أن يرسلوا أسرابا من طائراتهم الحربية فى عدن فتقذفهم بقنابلها ، ولـكن من دون نفع او جدى

تلامذة المدرسة العلمية المتوكلية

سرت من دكان اليهودى نحو المدرسة العلمية المتوكلية ، فرأيت التلاميذ يأتون اليها أفواجا أفواجا ، وجميعهم بعمائم بيضاء ، ويلبسون ألبسة جميلة وثمينة تدل على انهم من أبناء الطبقة الغنية وقفت أنظر اليهم وأتأمل بملامحهم فجاءنى بعضهم يمشون مرحا

وسألونى من أين أنت آت ؟ وكيف وجدت اليمن ؟ فقلت أنا آت من مصر وقـد أحببت اليمن كثيراً ، لانـه أصبح فى هذه الايام القطر العربى الوحيـد المستقل الذى لا نفوذ للأجانب فيـه ، وانى أغبطـكم على هــذه النعمة التى تفردتم بها من دون العرب بفضل حكمة جلالة الامام وكياسته ، فقالوا : سبحان الله سبحان الله ، والحمد لله ، الحمد لله ، ثم سـألنى أحـدهم عن الأزهر ومصر والشام والحجاز فاجبته باجوبة توافق المقام ، وبدأت بدورى أسألهم عن عدد الطلبة وعن العلوم التى يدرسونها وأوقات الدرس الى غير ذلك من الأسئلة فأجابنى أحدهم انهم يدرسون من الصباح الى الظهر ومن ثم يستريحون نحو ساعة من الزمان فيتغدون خلالها ، فيذهب الطلبة النهاريون الى بيوتهم ، ويتعشى الطلبــة الداخليون فى المدرسة . وقالوا ان عدد الطلبة يبلغ نحو خمسمائة طالب ، والقسم الكبير منهم داخليون وهم رهائن عند جلالة الامام ، ويدرسون القرآن ، والصرف ، والنحو ، والفقه ، والحديث ، وجميع العلوم الدينية ، والانشاء ، والبيان ، والعروض ، والحساب ، والجغرافيا ، الى غير ذلك من العلوم والفنون . فقلت : حسناً جداً وطلبت منــهم أن يسمحوا لى بأخذ صورتهم فوقف رهط منــهم أمامى فصورتهم ، ومن ثم ودعتهم وأردت الانصراف فاعترضنى أحدهم قائلاً : هل طبعتنا ؟ (أى صورتنا) فأجبت نعم . فقال : أعطنى الصورة . وأخذ الجميع يرددون قوله اعطنى صورة أعطنى صورة فقلت لا يمكننى أن اعطيكم الآن صوراً لانها تحتاج الى عملية طويلة الى اخراجها ، وأخذت أشرح لهم كيفية التصوير ، محاولاً اقناعهم بعدم تمكنى من اخراج الصورة فوراً ، فلم يقنعوا بذلك ، وعبثاً حاولت أن أغير فكرهم ، وهكذا كان الحال معنا كلما صورنا واحداً من الناس ، ودعتهم ثانية وانصرفت فدخلت صنعاء من باب الشرارة وكان واقفاً بالباب جنــدى حارس فبادرنا بالسلام العسكرى ببندقيته فرددت عليه السلام برفع اليد على الطريقة العسكرية التركية



الاحياء الوطنية فى صنعاء : الصيدلية

وأول شيء استرعى نظرى فى احياء صنعاء الوطنية هو صيدلية البلدية التى تبعد بضعة أمتار عن باب الشرارة وقد وضعت عليها لوحة مكتوب عليها باللغة التركيــة : (بلدية أجزخانة سي) ، دخلت اليها فرأيت رجلا نحيف الجسم ، أسمر اللون ، راق

العينين متوسط الطول ، يرتدى ألبسة عسكرية تركية ، ويحمل (رتبة) قائد ، جالساً الى كرسى وأمامه غلام يقرأ ورقة . فقلت السلام عليكم ، فأجابنى باللطف اليانى المشهور وعليكم السلام ورحمة الله . ونهض واقفاً فقلت أين مدير الصيدلية ؟ فقال (هاأنذا !) قلت من قراءة اللوحة التى على بابكم خلت ان صيدليتكم ملكية ولكنى أراها عسكرية الآن ! فقال بلهجة يمانية : (مافيش خلاف) أنا جندى ، ولكن الصيدلية ملكية وعسكرية فى آن واحد ونحن نقدم العلاجات لجميع الناس لافرق عندنا بين الملكيين والعسكريين فطلبت منه بعض العلاجات ، مثل كينا واسبرين ، وصبغة يود ، وملح انكليزى الخ . ، فقدمها لى حالا فنظرت الى زجاجة أقراص الكينا ، فاذا بها من معمولات شركة وبلكم الانكليزية ، فقلت يظهر لى انكم تجلبون عقاقيركم من بريطانيا العظمى ، فقال : عندنا علاجات مختلفة جلبنا بعضها من بريطانيا وبعضها من فرنسا وبعضها من ايطاليا وألمانيا

أجلت النظر فى هذه الصيدلية الوحيدة من نوعها فى صنعاء ، فرأيتها على غاية من النظافة والترتيب لاتقل رقياً وترتيباً عن متوسط الصيدليات فى بلادنا فقلت له : من دواعى سرورى أن أرى صيدليتكم تضارع الصيدليات الراقية فى ترتيبها ، فقال أشكرك على هذا التقدير ، هلم تفضل وانظر مستودع العلاجات فى الدور العلوى وصعد أمامى فى سلم حجرى لطيف ، فصعدت خلفه فوجدت ثلاث غرف كبيرة قد كدست فيها أنواع مختلفة من العقاقير والاجزاء الطبية ، وجميعها مرتبة أحسن ترتيب فقلت بارك الله فيكم وفى صيدليتكم ، من أين استحصلتم على شهادتكم ؟ وأين بلادكم فقال : أنا يمانى ، صنعانى ، واسمى حسين الروضى وتعلمت فن الصيدلية على الصيدلى التركى الذى كان يشتغل هنا أيام الدولة العثمانية ، وليس بيدى شهادة مدرسية ، وها أنذا اليوم أعلم ابنى هذا الفن ، فقلت وأين ولدكم ؟ فقال هو الغلام الذى رأيتموه فى الاسفل فقلت ماشاء الله . ونزلت واياه الى الصيدلية فوجدت الغلام مكبا على قراءة وريقة ، فأخذتها بيدى وتأملتها جيدا ، فاذا فيها أسماء علاجات كثيرة مكتوبة باللغة الايطالية ، والى جانبها الحروف الرمزية (سيمبول) التى تنوب مناب الاسماء فى علم الكيمياء ويتقن

هذا الغلام ووالده اللغة الطليانية ، وقد تعلماها عقيب مجيء الدكاترة الطليان الى اليمن سألت الصيدلى ، كم ثمن هذه العلاجات التى أحدتها ؟ فقال كدا بالعملة اليمنيــة ، فقدمت له المبلغ وهو فى الحقيقة زهيدحداً ، ادا قسناه بالمبلغ الذى تتقاضاهالصيدليات المتوسطة عندنا ، فقلت له ؛ يظهر لى أن أثمانــكم نخسةجداً ، فقال : يجب أن تكون نحسة لأننا لم نفتح هذه الصيدلية بقصد الربح ، الله يحفظ جلالة الامام وحكومته لأن قصدهما من فتحها المنفعة العامة ليس الا ، ونحن لاندفع على علاجاتنا جمركا لأنها تخص الحكومة ، وقد أمرتنا هده الحكومة بأن نعطى العلاجات الى الفقراء مجاناً ، وان نتقاضى من الأغنياء ثمن العلاج دون أقل ربح لذلك تجد أثماننا بخسة الى هــذه الدرجة فقلت شكراً لهده الحكومة الحكيمة التى تهتم بشأن رعاياها هذا الاهتمام .

ثم سألته هل يوجد فى جميع أطراف بلاد اليمن صيدليات على هده الصورة ؟

فأجاب : كلا ، لاتوجد صيدليات ولـكن يوجد أطباء طليان فى الحديدة ،وحجة وتعز ، وغيرها من المدن الكبيرة ويرافق كل طبيب حبير كيماوى يمكنه أن يركب بعض العلاجات بحسب أمر الطبيب وقال ان أهل اليمن لايزالون غير متمدنين فلا يعبون كثيراً بالأطباء والعقاقير ، وخصوصاً القبائل البدوية التى لاتعرف عن الطب شيئاً ، وتداوى معظم الأمراض بالكي والنار وبعض الوصفات البدوية التى توارثها الابناء عن الآباء .

الاطباء فى اليمن

تحتاج اليمن الى كثير من الاطبــاء حاجة ملحة ، وبرغم تصريح الصيــدلى بان اليمانيين لا يتطببون ، فانا أعتقد اعتقاداً جازماً بانهم يقدمون على التداوى تدريجيــاً متى وجدوا عندهم أطباء من بنى جنسهم ودينهم ، ولـكن الأطباء فى بلادنا العربية ويا للاسف ، لا يقدمون على المهاجرة كما يقدم الاوروبيون لذلك نرى الـكثيرين منهم يقنعون بالعمل اليسير فى بلادهم ويرجحونه على تـكليف أنفسهم السفر الى بلاد بعيدة ولو كانت لهم من وراء هدا السفر أرباح طائلة ، أما الاطباء الموجودون فى اليمن الآن ،

فهم من الطليان وقد أتوا الى اليمن عقيب زيارة والى أسمره السنيور عاسربنى لليمن وعقده المعاهدة الطليانية اليمانية المعلومة مع حكومة جلالة الامام ، وهم يتناولون رواتب ضخمة من الحكومة المتوكلية ، ويبلغ مرتب الواحد منهم ما ينوف على ٦٠٠ ريال امامى أى نحو ستين جنيها انكليزياً فى الشهر ، وتقدم لهم الحكومة أيضاً دارا لسكنهم ؛ وحيوانات لركوبهم وجنوداً لحراستهم ومرافقتهم ، وخدماً لخدمتهم وطعاماً لمأكلهم ، وقد زرت المستشفى الذى أسسوه فى صنعاء فوجدته فى حالة ابتدائية تنقصه معظم لوازم المستشفيات الحديثة ،وقد أدركت حكومة الامام هذا النقص وأمرت الأطباء أن يبذلوا جهدهم لتحسين هذا المستشفى وغيره من المستشفيات ، وجعلها على أقل تقدير كالمستشفيات المتوسطة فى بلاد العالم ، وقد تقابلت مع اكثر من واحد من الاطباء الطليان وسألتهم لماذا لايهتمون بالمستشفيات وأنتم المسؤولون عنها بالدرجة الاولى ؟ فقالوا : ان هذه المستشفيات كثيرة على اليمانيين ولا يستحقون أفضل منها وشكوا كثيراً من قلة اهتمام اليمانيين بصحتهم ، وعدم إصغائهم لنصائح الأطباء ، وعدم مراجعتهم لهم الا فى الحالات الخطرة جدا ، وذلك مما يسبب كثرة الوفيات ، ويزيد فى انتشار الأمراض ، بسرعة ويجعل مقاومتها صعبة ، وخصوصاً أمراض الجدرى وحمى الملاريا ، والتيفوئيد وغيرها من الأمراض السارية، التى تكثر فى المناطق الحارة وأظن أن الأطباء على شىء من الحق فى شكواهم ، ولكن من البديهى أن هذه الشكوى المريرة لا تنطبق على اليمانيين فقط بل تنطبق على معظم سكان جزيرة العرب الذين لا يأبهون للطب والتطبيب ، وذلك بالرغم من أن أول من اشتغل بالطبابة هم العرب ولكن أعود فأكرر ثانية أن اليمانيين لو وجدوا عندهم أطباء مسلمين عرباً لكان موقفهم منهم غير موقفهم من الدكاترة الطليان، والسر فى ذلك بديهى لايحتاج الى ايضاح وبيان .



بناء مستدير داخل سراى الامام
يستعمل كمكتب لبعض الموظفين ومخزن للحرس الملكى

سراى الامام

رأيت خلف صيدلية البلدية ، أى فى الجهـة الشمالية من باب الشرارة ، مسجداً وبالقرب منه حماماً على طراز حمامات دمشق ، وخلفه سراى جلالة الامام ، التى لا يتمكن المرء أن يراها كاملة ولا من جهة من الجهات الأربع،لانها كما ذكرت سابقا محاطة بسور خاص عال ، فلا يرى الانسان منها الا ما ارتفع فوق هـذا السور ولهـا بوابة خارجية فى السور ، ضخمة مبنية بالحجر الأبيض ، والاسود ، بترتيب جميل . وفيها باب كبير خشبى اسود ، وفيه باب صغير (خوخة) ويوجد بالقرب من هذه البوابة

بناء مستدير الشكل ، يشبه مخافر الحدود فى السور العمومى ، مبنى من اللبن والطين وبابه من داخل السراى يستعمله بعض الموظفين كمكتب لهم . وأما الجامع القريب من السراى فقد جدد بناءه ووسعه ، جلالة الامام ، وهو يصلى فيه فى بعض الاحيان وقد ذكر لى أحد البنائين الذين بنوا هذا الجامع ، أنه لم يكلف سوى مبلغ يسير وان نفس سراى جلالة الامام كلفت نحو عشرة آلاف من الجنيهات وفى الحقيقة هذا مبلغ زهيد جداً بالنسبة الى ضخامتها وفخامتها ، وهى مبنية جميعهـا من الحجر الأبيض والأسود والمرمر ، ولكن البناء فى صنعاء ككل شىء آخر فيها رخيص جداً ، اذ لا تكلف الدار العادية المكونة من أربعة أدوار ، والمبنية من الحجر والمرمر ، والخشب الجيد أكثر من الف جنيه ، والايجارات هناك رخيصة للغاية إذ يمكن للمرء أن يستأجر داراً فسيحة مؤلفة من ثلاثة أدوار ، بمبلغ ثلاث ورقات سورية شهرياً ، وقد لاحظت فى صنعاء أن أهلها كغيرهم من أهل الجبال يخشون البرد كثيراً فـلا يكثرون من النوافذ الحقيقيـة ويصغرون حجمها ولكنهم يكثرون مما أسميه بالنوافذ الخلابة الكذابة وأسميها كذابة لأنها لاتفتح ولا تغلق وأسميها بالخلابة لأنهـا جميلة الشكل تكسب الدار جمالاً خاصاً وبهجة خاصة ، وتصنع من أنواع رقيقة من المرمر الأبيض الصافى باشكال هندسية مختلفة يمكن منها دخول النور ولا يمكن دخول الهواء

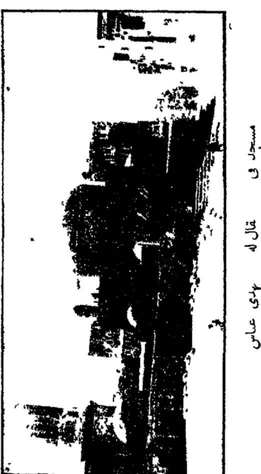
دور اليمن

وتبنى الدور فى صنعاء وغيرها من بلاد اليمن على شكلين : الاول من الحجارة فقط يضعون بعضها فوق بعض ولا يستعملون فى بنائها الطين بل يبنونها بشكل يركب معه الحجر الواحد فوق الحجر الآخر والشكل الثانى يبنونه من الحجارة فقط أو من الحجارة والآجر والطين العادى — ويسمونه باليمن (حلب) — أو الطين المضاف اليه شىء من الكلس ويبيضون هـذه المنازل بما يسمونه (قص) وهو يشبه الكلس ويصنعونه من حجر خاص يجلبونه من مكان واقع فى شرقى صنعاء يقال له الغراس ، وهو المكان الوحيد الموجود فيه هذا الحجر فيجلبونه منه الى صنعاء ويحرقونه كما تحرق احجارنا الكلسية

فى أفران خاصة ثم يخرجونه ويطحنونه طحنا فيصبح جاهزاً للعمل ويجلبون أحجارهم من الجبل الشرقى المدعو نقم (وهى بيضاء) ويجلبون أيضا أحجاراً من جبل الجراف الواقع غربى الروضة (وهى سوداء) ويجلبون أيضا احجاراً بركانية سوداء من جبل عصر أو السبيتة الواقع غربى صنعاء ، وهى أصلب من حجارة الجراف ومعظم البنائين فى صنعاء من اليهود وبعضهم من المسلمين وآلات البناء وأدواته ابتدائية بسيطة للغاية يصنعونها هم بأنفسهم فى صنعاء من الحديد ، أو من الخشب . ولكن بناءهم قوى جداً ويبقى قائما مئات من السنين . وقد شاهدت بعينى بعض الأبنية القديمة لا أشك فى أن عمرها أكثر من مائةسنة على أقل تقدير ولا تزال متينة وقوية . وليس هذا بغريب على اليمانيين لانهم ورثوا فن البناء عن أجدادهم اهل سبا ومارب المشهورين بالبناء القوى فى العصور الخالية . وقد شاهدت فى بعض الاماكن محهة وعلان آثاراً لسد حميرى قديم لاتزال بادية للعيان كأنها من بناء أمس وأول من أمس على الرغم من أنه مضى عليها ألوف السنين . وقد رأيت شيئا قبيحاً فى بعض أبنية صنعاء أوجه اليه نظر رجال الحكومة المتوكلية وهو أنه لا يوجد للدور مجار وأنابيب مغطاة لتصريف الماء القذر حتى ولامجار لبيوت الخلاء . وقد استعاضوا عن الانابيب بمجارى ماء مكشوفة ومبنية الى طرف جدار الدار فينزل فيها الماء على مرأى من الناس الى الشوارع والأزقة ويسيل بصورة قبيحة وتفوح منه رائحة كريهة ، وربما كان هذا الماء من جملة الاسباب فى انتشار الامراض ، فأوجه نظر أهل الحل والعقد فى صنعاء ثانية الى هذا الخلل راجياً أن يتداركوه بحكمتهم لانه يضر كثيراً بالصحة العامة

سرت من أمام الصيدلية ومسجد الامام الذى يقال له مسجد المتوكل ماراً بباب الشقاديف ، الذى يخرج منه جلالة الامام يوم الجمعة لتأدية الصلاة ، ورأيت عنده الغيل الأسود الذى يسقى بعض حدائق صنعاء وقد مر بنا ذكره جاريا فى نفق صغير عمقه نصف متر عن وجه الارض ، وفيه حفرة تأتيها النساء فيملأن جرارهن ؛ ويوجد فوق باب الشقاديف مخفر للجند مخصص لعصبة من حرس جلالة الامام مبنى على شكل مستدير وله درج لولبى ورمايات كرمايات الحصون وتقوم الى جانب هذا الباب

الشوارع الكبيرة والاحياء الوطنية واول شئ شهدته فيها سوق فسيحة معظم دكاكينها كانت مقفلة فخلت نفسى بدمشق فى أحد أيام اضرابها وتنتهى هذه السوق بمجرى سيل واسع يفصل الاحياء بعضها عن بعض ؛ وتجرى فيه المياه أيام المطر بكثرة ممتدة من أسفل جبل نقم بالجهة الشرقية ، ومنتهية بقاع شعب الذى يحيط بصنعاء فى الجهة الشمالية ، ولكن مجرى السيل فى هذه الايام كان جافاً لاماء فيه ، لان الفصل فصل شتاء وفى الشتاء تقل المطر فى اليمن ۱



مسجد فى قال له بدى عباس

الاحجار الكريمة

رأيت الى جانب هذا السيل مسجداً يقال له (قبة المهدى عباس) وكان هذا المسجد مفروشاً بالسجاد العجمي القديم ، ولكن تجار السجاد الغرباء أتوا الى اليمن بكثرة وأخذوا يبتاعون السجاد القديم بأثمان باهظة فباعهم متولى الجامع السجادالقديم الموجود عنده ، وابتاع سجاداً جديداً فرش الجامع به . وتوجد الى جانب هذا المسجد سوق صغيرة ، فيها بعض الدكاكين ؛ يصقلون فيها الاحجار اليمانية الكريمة وكانت يومئذ مغلقة ، وتختلف ألوان هذه الحجارة اختلافاً عجيباً ، فمنها البيضاء والسوداء والخضراء والصفراء والحمراء ، ومنها ماهو مزيج من هذه الألوان جميعاً أو من بعضها وعلى بعضها رسوم بأشكال الطيور والسمك والرخامات وأغصان الاشجار ؛ الى غير ذلك من الاشكال . وهم يجلبونها من جبل نقم ومن جبل الغراس وغيرهما من الجبال القريبة من صنعاء ، ويصقلونها بالماء والتراب الناعم على أحجار رملية ، ويصنعونها بأشكال مختلفة ويستعملونها فى صناعة الحلى ، كالخواتم والحلق والازرار وغير ذلك ويجب أن لا يتبادر الى ذهن القارئ من أشكال هذه الحجارة بأنها من المتحجرات لانها ليست منها بل هى نوع من أنواع الصخر يقال له بالانكليزية (كورتز) وتمتاز هذه الحجارة عن غيرها بصلابتها : فهى صلبة الى درجة لاتخدشها ولا تعمل فيها الادوات الحديدية الحادة بل هى كالماس تقطع الزجاج ولا يقطعها شئ . وتستعمل الاحجار الكبيرة منها – وهى نادرة – فى صناعة بعض الاجران الكيماوية الصلبة التى يستعملونها فى الصيدليات لسحق الملاحات . وفى أحيان كثيرة يوجد الذهب كعروق فى هـذه الاحجار ، الا اننا لم نشاهد عروقا من الذهب فى طوافنا باليمن ؛ ولكن روى لنا أن الذهب موجود فى بلاد الشرق . سرت من هنا بين أزقة ضيقة قائمة الى جوانبها دور فخيمة شاهدت فى جدران بعضها أحجاراً قديمة عليها كتابة (حميرية) نقلها الأهلون من الأبنية القديمة المتداعية فبنوا فيها دورهم وحوانيتهم

الاسواق المغلقة والاضراب بالرصاص

ثم مررت بسوق البقر وسوق الحطب وسوق البز أي الأقمشة وسوق القمح وسوق الزبيب والجوز وغيرها من الأسواق الكثيرة وكانت معظمها مقفلة ولم أشاهد فيها الا بعض الناس ، فحرت في امرها وسألت رفيقي الجندي هل عندكم اليوم عيد ؟ أم عندكم اضراب عام ؟ فقال : لا يوجد عندنا عيد . قلت اذاً اضراب ؟ فلم يفهم معنى الاضراب وعند ما أفهمته معنى الاضراب ضحك حتى كاد يغشى عليه من الضحك ويستلقي على قفاه وقال : نحن لسنا بحاجة الى هذه الامور ولو احتجنا اليها لاستعملها



أحد الاسواق في صنعاء

بل نستعمل هذا (البندق) وأشار الى البندقية التي كان يحملها على كتفه أكبرت في الجندي هذا الشعور الوطني وقلت في نفسي (أكل المصى ليس كالذي يحصيها) ثم سألته ثانيــة اذاً لماذا أغلق الناس حوانيتهم ومخازنهم ؛ فأجاب . سامحك الله الوقت وقت الظهر والناس يأكلون القات فقلت حسنا وعدت أدراجي نحو الدار وأنا أفكر بالقات وأكله وكنت أصادف بعض المارة في الطريق فأرى أفواههم وأحناكهم مهمكة في مضغ القات وأيديهم ملأى بغصونه . فقلت لرفيق الجندي ماشاء الله الناس (يخزنون) القات حتى في الطرقات ، فأجاب ، نعم ياسيدي انهم يخزنون القات في كل مكان والقات باه (أي جيد) خذ وكل وأخرج من بين ثيابه رزمة من القات ابتاعها في الطريق وقدم

لى بعض الاغصان . فشكرته وقلت بلطف لا أريد . فقال الله يسامحك الغنى والفقير يأ كل القات عندنا وينفق الفقراء أحيـاناً ريالا أو ريالين ثمن القات ، فقلت حسناً هنا كم الله بالقات وصرت أتعجب فى نفسى وأفـكر فى أمر ذلك الفقير الذى ينفق ريالا ثمن قاته كل يوم فى حين يعيش رب العائلة مع أهل بيته فى اليمن ولا ينفق فى يومه نصف ريال لأن ثمن المأ كولات والحاجيات رخيص جداً فالبيض مثـلا العشرون منه بفرنك والدجاج الواحدة بفرنك ورطل اللحم بأربعة الى خمسة فرنـكات وعلى ذلك فقس ! وأما القات فغال جداً بالنسبة الى غيره من الحاجيات أولا لشدة الطلب عليه وثانياً لأن الحـكومة تعتبره من الـكماليات وتتقاضى عليه رسوما باهظة. ولا يوجد فى صنعاء نفسها قات بل يجلب اليها من الضواحى مثل الروضة والوادى وعافش الخ الخ. ومن الغريب ان اخواننا اليمانيين بما فيهم المتعلمون والراقون ، ماخلا نفر قليـل منهم يسلمون بضرر القات ويعلمون حق العلم الخسائر المادية والمعنوية التى تعود عليهم من استعماله ولـكنهم يأبون ويغضبون من سماع كلمة نقد فيـــه ويدافعون عـــه بكل قواهم .

البرد فى صنعاء

وصلت الى الدار قبـل الغروب وقد أخذ الهواء يبرد وابتدأت قائمـة الحرارة (ترمو متر) تهبط هبوطاً سريعـاً فشعرت بالبرد يتسرب الى جسمى فلبست معطفى وجلست أطالع فى بعض الـكتب قصد التسلية وانتظارا لوقت العشـاء . وبعـد العشاء شعرت بالبرد أ كثر فصعـدت لغرفة النوم واندسست فى سريرى هرباً من البرد اذ لا يوجد فى منازل صنعاء وسائط للتدفئة ولم أشاهد (دفاية) واحـدة وبعد التجربة العملية وجدت أن الفراش أفضل مكان للتدفئة ولاحظت أن برد اليمن كبرد بلودان لا يضر بالجسم كما يضر به برد مصر ودمشق وذلك لان هواء اليمن كهواء بلودان ناشف جدا بخلاف هواء مصر والشام المشبع بالرطوبة

قضيت ليلتى على أحسن حال ونمت نوما هادئا استيقظت خلاله مرة أو مرتين على

صياح الحرس فى مخافر السور وهم ينادون بعضهم بعضا باصوات غريبة عذبة وانغام اعذب تجتذب الاسماع ، وقبيل الفجر صحوت على صوت المؤذنين الذى كان يرن صداه فى هدوء ليل صنعاء البهيم فيزيده حرمة ورهبة ويشعر بفرار جيوش الظلام ويبشر بقرب طلوع جحافل النهار باسم الواحد القهار . وقد لاحظت ان الاذان فى صنعاء تختلف نغمته عن الاذان فى مصر والشام وخصوصا اذان (التذكير) المشهور فى يومى الجمعة والاثنين فهو عندهم مختصر جدا ولا يرتلونه ترتيلا كما يرتلونه فى الشام ومصر

الدلالون والعاديات

بعد تناول طعام الصباح اتانى احد الجنود الذين بالباب وقال لى يوجد كثير من الدلالين بالباب يريدون الدخول عليك قلت وما شأن هؤلاء الدلالون ؟ فقال : هذه عادتهم فى صنعاء متى علموا بوصول غرباء فانهم يحملون لهم ما خف حمله من العاديات (الانتيكات) ليعرضوها عليهم بقصد البيع والشراء فاذا اذنتم لهم بالدخول ادخلناهم وان لم تأذنوا انصرفوا، فقلت لا بأس من دخولهم، فدخلوا فاذا بهم يحملون (مفارش) — أى سجاداً عجميا — وادوات نحاسية ودراهم فضية وذهبية قديمة و(فصوصا) يمانية وهى أحجار غريبة الأشكال والالوان بعضها قديم وبعضها جديد يستعملونها فى صياغة الخواتم ، واحجار حميرية منها ماهو منحوت بشكل اشخاص وتماثيل ومنها ماهو على شكل الحيوانات ومنها ما هو مكتوب كتابة عربية ، قيل لنا انها حميرية ومسمارية. فتأملنا فى هذه الاشياء الغريبة ولم نشتر سوى بعض الفصوص لعدم معرفتنا بالاشياء الاخرى ، وسألنا الدلالين عن السجاد القديم فقالوا لقد أخذه التجار الترك بأثمان بخسة ورووا لنا أن تاجرا ابتاع سجادة عجمية قديمة من آل السيدار بمبلغ مائة جنيه انكليزى وباعها بمصر بالف وخمس مائة جنيه مصرى. ومما قالوه ان الجامع الكبير كان مفروشا بالسجاد القديم فابتاعه الترك وفرشوا عوضا عنه سجادا جديدا . واما النحاس فبعضه كان جميلا جدا ومكتوبا عليه كتابة عربية وفيه رسوم سمك واسماء بعض الملوك والأئمة المعاصرين له وتاريخ حكمهم وجله مصنوع من النحاس الاصفر

وبعضه من النحاس الاحمر. والدلالون فى صنعاء كغيرهم من الدلالين والباعة فى أقطار الشرق يطلبون فى الحاجة عشرة دنانير فيبيعونها بدينار واحد وهم كثيرون جدا لا يأتى غريب أو أجنبى الى صنعاء الا وينهالون عليه من كل فج عميق ويجلبون له كل شىء تصل اليه أيديهم من طبول وزمور وبنادق وسيوف وجنبيات ومسدسات وساعات ونقود وزجاج فارغ الخ ... وبعد التجربة والدرس وجدنا ان معظم النقود والتماثيل التى كانوا يأتوننا بها والتى يدعون انها قديمة من عهد حمير ليست الا جديدة ومزيفة تصنعاء منذ عهد قريب جداً ويقوم بعملية التزييف رهط من الصاغ اليهود ولـكن معظم النحاس قديم جداً وخاصة النوع الذى يقولون له عسانى

قاع اليهود

بعدما انتهيت من الدلالين خرجت من الدار وصحبنى أحد الدلالين اليهود لزيارة قاع اليهود وأصل معنى القاع السهل وسمى محل اليهود بالقاع لانه واقع فى سهل واسع ولم أصطحب معى أحداً من الجنود لأن اليهود لايميلون الى الجنود ولا يحبونهم ولا يتـكلمون أمامهم غير الكلام المباح ، أما اذا اختلوا بالغريب فانهم يتكلمون معه بحرية تامة . طفت بالقاع من أوله الى آخره ودخلت منازل كثيرة من منازله ورأيت بعض عائلاته وتحدثت اليهن فلم يعرفن منى كما كن يعرفن يوم دخولنا الى صنعاء ؛ ومنازل اليهود من داخلها نظيفة وأنيقة للغاية رغم حقارتها وصغر حجمها ولـكنها من الخارج قذرة وأطرافها ملأى بالاوساخ والاوحال ويوجد فى القاع عـدة أسواق فيها جميع أنواع البضائع والخردوات من أقمشة وأدوات منزلية الى غير ذلك من لوازم هذه الحياة وفيها فرن (أتون) لصنع الاجر الأحمر وآخر لصناعة الأدوات الخزفيـة والفخارية كالاباريق والشربيات والتنابير الى غير ذلك من المصنوعات المشوية

حديث مع الحاخام يحيى اسحاق

تقابلت فى القاع مع عدة أشخاص من كبار اليهود وعيونهم وسألتهم أسئلة متعددة عن أصل اليهود اليانيين وعن أحوالهم وأشغالهم وها أنا أنقل حديثاً جرى بينى وبين

حاخامهم الا كبر المدعو يحيى اسحاق فى داره سألته ماذا تعرف عن أصل اليهود فى اليمن وعن مدنيتهم ؟

فقال : كانت لليهود مدنية عظيمة وكان لهم ملك ضخم فى شرقى صنعاء وقد أسس ذلك الملك وتلك المدنية الملك سليمان بن داود وكان سلام الله عليه سيد البلاد بلامنازع ودامت مملكته من بعده زمناً طويلا

(س) هل قامت تلك المملكة فى نجران

(ح) لا أعلم بالضبط أين كانت ولكنى لا أشك انها كانت فى شرقى صنعاء ومن المحتمل انها كانت فى نجران وأنا واثق بان صنعاء حديثة العهد بالنسبة الى تلك المملكة العظيمة القديمة

(س) كم عدد اليهود فى صنعاء وكم هو فى جميع بلاد اليمن ؟

(ح) يوجد فى صنعاء نحو عشرة آلاف يهودى من الذكور ومثلهم تقريباً من الاناث ويوجد كثير من اليهود فى جميع أطراف اليمن ولا أعلم عددهم بالضبط لانهم ينتقلون من مكان الى مكان ضاربين بارض اليمن الواسعة فلا يستقرون الا يجدون عملا

(س) كيف كانت معاملة الترك لليهود أيام الدولة العثمانية ؟ وكيف معاملة اليمانيين لهم الآن ؟

(ج) لم تكن معاملة الترك لنا حسنة كما ان معاملة اليمانيين ليست حسنة ولكنها على كل الاحوال أفضل من معاملة الترك والله يحفظ الامام انه يدافع عنا وينصفنا ويمنع جميع التعديات علينا ويجازى كل من يتجرأ فيتعدى علينا جزاء صارما

(س) هل لكم علاقات بالعالم الخارجى وهل تأخذون أخبار اخوانكم اليهود فى هذه الدنيا ؟

(ح) نعم يوجد لنا علاقات ومخابرات دينية مع القدس ويافا والقاهرة والاسكندرية ونأخذ دوماً جرائد من القدس ويوجد يهود يمانيون بكثرة هنالك ولى ولد فى يافا والمكاتبات تجرى بيننا وبين أصدقائنا فى جميع البلاد بصورة منتظمة

(س) هل يوجد بينكم يهود صهيونيون ويهود غرباء عن اليمن وهل تعطفون على الحركة الصهيونية وتؤيدونها أم لا ؟

(ج) لا يوجد عندنا يهود غرباء ولا يهود صهيونيون انما منذ عهد بعيد اتى الى اليمن بعض التجار اليهود الغرباء وما لبثوا أن قفلوا راجعين من حيث أتوا واما الصهيونية فليس لنا أقل علاقة بها ولا ننظر بارتياح الى بعض مبادئها وكانت ولا تزال جريدة من جرائد الصهيونيين ترسل الينا من القدس هدية من دون أن نطلبها

(س) هل يوجد عندكم مدارس وكنائس وهل يعارضكم أحد فى ممارسة طقوسكم الدينية ؟

(ج) عندنا ١٥ مدرسة و ١٩ كنيسة فى صنعاء ونمارس طقوسنا الدينية كما نشتهى ونطبق شريعتنا اليهودية كما نرغب فلا يعترضنا معترض ولا ينتقدنا منتقد، وقلما يراجع احد منا الحكومة المحلية بشأن من الشؤون ونعلم أولادنا فى مدارسنا العبرانى ولا نعلمهم العربى وجميعنا نتكلم العبرانى فى دورنا وبين دوينا ولا احد من المسلمين يتدخل فى أمر مدارسنا أو أى شأن آخر من شؤوننا الدنيوية والدينية مادمنا محافظين على الامن والسكينة

(س) هل لكم ارتباط خاص مع الحاخامين بالخارج من الوجهة الدينية ؟

(ج) ليس لنا ارتباط باحد من الحاخاميين بصورة رسمية ولكن كثيراً ما تأتينا أسئلة من حاخام مصر أو القدس مثلا عن موسى من الناس اليمانى الاصل وهل هو متزوج أو أعزب ؟ واذا كان متزوجاً فكم ولد عنده ؟ وهل له املاك أو تجارة فى فى اليمن ام لا ؟ فنجيب على هذه الأسئلة بحسب الظروف ، وبديهى أن هذه الأسئلة تتعلق بالزواج والطلاق وأعمال المروءة الخاصة التى يجب على كل رئيس دينى أن يعرفها

(س) هل تعلمون حقيقة السر فى عزلة حى اليهود عن أحياء المسلمين ؟

(ج) لا يوجد سبب جوهرى ومن المعلوم أن اليهود فى اليمن كانوا تحت رحمة أئمة المسلمين وولاة الترك وبحسب الظاهر أن أحد الأئمة أو الولاة غضب على اليهود بسبب من الأسباب فأمر بلزوم ابتعادهم عن المسلمين وعزلهم عنهم فصارت عادة من ذلك

الحين وانا لا أشك أنهم كانوا قديماً أى قبل ٢٠٠ سنة يقطنون بعضهم مع بعض فى احياء واحدة ودليلى على ذلك أنه توجد فى بعض أطراف اليمن على حدود عسير بلدان كثيرة يقطن فيها المسلمون واليهود أحياء قائمة جنبا الى جنب ومن الغريب أن المسلمين هنالك يعيدون فى أعياد اليهود كما أن اليهود يعيدون فى أعياد المسلمين وكانوا فى قديم الزمان ايضاً يتزوجون بعضهم من بعض.

(س) من المسموع فى الشرق والغرب أن الترك كانوا يعطفون عليكم فهل هذا حقيقى؟

(ج) كلا ان حالنا مع الترك مثله مع الائمة اذا صادف ان عطف علينا أحد الولاة أو أحد الائمة يوما من الأيام فلا شك أن يأتى يوم آخر يقوم به وال أو امام فيسيء الينا بقدر ما أحسن الينا سلفه .

(س) هل تعلمون شيئاً عن أصل اليهود فى اليمن ، وهل اتوا من فلسطين ؟ وهل هم من سكان البلاد الأصليين ؟ وعن أى طريق اتوا الى اليمن ؟

(ج) ليس اليهود من سكان اليمن الأصليين ولكنهم اتوا من أرض كنعان قبيل أن يتشتت شملهم من القدس وقد جاءوا اليمن مهاجرين عن الطريق الشرقية

(س) هل عندكم كتب تاريخية قديمة تبحث فى أحوال اليهود بعد خراب الهيكل فى القدس ؟ وكيف تشتت شملهم ؟

(ج) كان يوجد عند حاخامى اليهود كتب تاريخية قديمة كثيرة ولكن معظمها تلفت فى الحروب التى حصلت باليمن بين اليهود والمسلمين وبين الترك والعرب

(س) هل كان اليهود يساعدون مواطنيهم العرب على الترك فى حروبهم ؟

(ج) كلا : هم دائماً على الحياد لا يلتزمون جانبا دون الآخر ولا يناصرون فريقا على فريق .

(س) ارى عندكم فوق الرفوف بعض الكتب المطبوعة فهل توجد عندكم مطابع ؟

(ج) كلا لا توجد عندنا مطابع بل نحن نجلب كتبنا المطبوعة من القدس وأما الكتب الخطية فانا ننسخها عن بعض الكتب القديمة التى لا تزال محفوظة عندنا وهى نادرة الوجود فى غير خزائننا

يشوع ابراهيم عوض

حضر حـديثنا رجل يهودى طـاعن فى السن ، بيضت الايام جميع شعر رأسه ولحيته فسألت محدثى عن هذا فقال هــو نسيب لى يدعى (يشوع ابراهيم عوض) وهو فى العقد العاشر من العمر وقد زار اميركا منذ خمسين سنة . فملت بنظرى نحو هذا الرجل الهرم الـكبير وسألته أى ولاية من ولايات أميركا زرت ؟ فقال: انى ذهبت الى مدينة نيو يورك نفسها وبقيت فيها ثلاث سنوات اشتغلت فيها كعامل بسيط فى



اليهودى يشوع ابراهيم عوض وقد زار أميركا قبل ٥٠ عاما

أحد المعامل . فقلت هل تعلمت اللغة الانكليزية ؟ فقال : تعلمتها قليلا ونسيتها الآن . قلت ولماذا عدت من أميركا ؛ قال حب الوطن قتّال والشوق الى الاهل والخلان حملاني على مغادرة نيويورك وحياتها الرغيدة والعودة الى صنعاء وحياتها الشاقة

طلبت الى الحاخام أن يقف الى جانب الرجل العجوز لاصورهما فامتنع من ذلك وقال انه لا يحب التصوير ولكن العجوز لم يمانع فى ذلك

مخابرة الصهيونيين السرية

انى أعتقد بأن الحاخام الاكبر كان صادقا فى جميع أقواله ولم يتصنع فى أجوبته اللهم ماعدا تصريحاته عن الصهيونية فانى لاحظت عليه الارتباك عند ما كنت أسأله بعض الاسئلة التى تتعلق بالصهيونية وقد علمت فيما بعد بان للصهيونيين مخابرة طويلة عريضة مع صنعاء ولهذه الجمعية صناديق للاعانة فى كل دار من دور اليهود فى معظم مدن اليمن . واليهودى الذى يريد أن يتصدق بشئ مهما يكن زهيداً يضعه فى هذا الصندوق ورب الدار ليس مأذوناً بفتح هذا الصندوق بل يفتحه وكيل الجمعية كل شهر مرة ويخرج ما فيه فيجتمع لديه مبلغ وافر يرسله الى صندوق الجمعية بالقدس ويدعون هذا الصندوق بصندوق الامة

وأخبرنى محدثى عن الصهيونيــة خارج اليمــن بأن لها طوابع بريد خاصة بثمن زهيد جداً يضعها كل صهيونى على كل خطاب يرسله الى صهيونى آخر واذا ورد لاحدهم كتاب وليس عليه الطابع الصهيونى فيرده المرسل اليه الى المرسل ولا يفض غلافه مهما تكن خطورة ذلك الكتاب ولهم أيضاً حدائق خاصة بالمواليد فاذا رزق احـدهم مولوداً يغرس له شجرة باسمه فى تلك الحديقة ويدفع لقاء ذلك مبلغا من المال ولهم أيضاً حدائق باسم الأموات فاذا مات شخص غرسوا شجرة لذكراه فى حديقة الاموات ويذهب ريع هذه الحدائق الى صندوق الامة . أكبرت هذا الترتيب والتنظيم فى هذا الشعب المضطهد فى سائر أقطار المعمورة وقلت فى نفسى ياحبذا لو كان زعماء الحركة الوطنية فى الشرق يقتدون باليهود ويأخذون هذا الدرس عنهم

المدارس والكنائس

بعدما انتهيت من الحديث مع الحاخام الاكبر ودعته وزرت بعض المدارس والكنائس فوجدتها على غاية من النظام والترتيب والنظافة ورأيت أولاد اليهود كاولاد المسلمين يجلسون فى مدارسهم على الارض وامامهم طاولات خشبية صغيرة يضعون عليها كتبهم ويقرأون جميعاً بصوت واحد ووقت واحد فلا يفهم الانسان منهم شيئاً . ورأيت فى الكنائس التوراة مكتوبة على رق غزال وملفوفة بعدة ملفات فطلبت من أحد الحاخاميين أن (يفردها) أمامى فنشر لى ملفاً فوجدت كتابته جميلة ومتقنة للغاية وقد صورت واحدة منها .

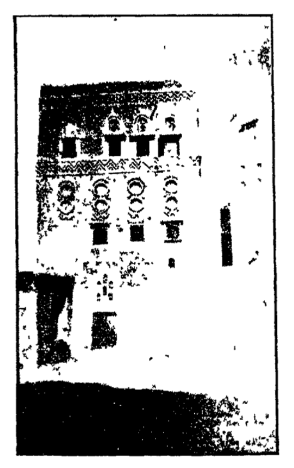
ويدعى اليهود أنهم جلبوا التوراة معهم من فلسطين بعد خراب الهيكل أى منذ ٢٠٠٠ سنة تقريباً .

قابلت كثيرين من حاخامى اليهود وشيوخهم فى صنعاء وذمار واب وسألتهم نفس الاسئلة التى وجهتها الى حاخامهم الاكبر فى صنعاء فوجدت منهم اجماعا على أن اليهود ليسوا من سكان اليمن الأصليين بل هاجروا اليها قبل خراب الهيكل وبعده من القدس وقد جاءت أجوبتهم مطابقة لأجوبة حاخامهم الاكبر وسوف يطلع عليها القارئ الكريم فى سير هذه الرحلة

رأى المسلمين فى هجرة اليهود

سألت كثيراً من المسلمين العلماء فى صنعاء وغيرها من البلاد عن أصل اليهود وهجرتهم فقالوا لى ان اليهود من سكان اليمن الاصليين وجدوا فيه قبل خراب الهيكل وبعد خراب الهيكل أتت منهم جموع عظيمة وتغلغلت فى أطراف اليمن وحضرموت وعسير وغيرها من البلاد

وقد اكد لى بعض المسلمين انه كانت لليهود فى اليمن مدنية راقية وكانوا أهل بسان وعمان وكانت لهم دولة قوية وتحاربوا مع العرب حروبا كثيرة ، غلبوا فى نهايتها على أمرهم وخضعوا لسلطان غيرهم وأدخلهم الاسلام فى ذمته فاصبحوا ذميين



دار فى قاع اليهود فى صنعاء فيها معمل برتقان

معامل البرتقان

عدت من حى اليهود حوالى الظهر ومررت فى طريقى بمعامل (البرتقان) ـ ويطلق اسم البرتقان على المطوس أو المشوق ـ أى التنباك المسحوق الذى يستعمله الناس كمضغة يمضغونها بأفواههم وكنشوق يستنشقونه بأنوفهم

دخلت أحد هذه المعامل فاذا به يتألف من (دور) أرضى فيه عدة غرف صغيرة وفى كل غرفة أريكة علوها نحو متر واحد وعليها ثلاث أو أربع مطاحن يدوية ،

ويعمل فى كل مطحنة منها فتاة أو امرأة يهودية وقد عصبن انوفهن وأفواههن بعصابات من القماش (كقناع) ليمنعن دخــول التنباك المسحوق اليها ، ولـكن لم تأت هذه العصابات أو الـكمامات ـ ويا للاسفـ ـ بالفائدة المطلوبة ، وقد رأيت فى وجوه جميع هؤلاء البائسات وأعينهن اصفراراً يشبه اصفرار المصابين باليرقان وصحتهن متأخرة جدا وسألت احداهن كم ساعة تعملن على المطحنة فأجابت من طلوع الشمس حتى الظهر وبعد الظهر نتناول طعامنا ونستريح قليـلا ثم نعود الى الرحى حتى مغيب الشمس ، فقلت : وكم تتقاضين من الاجرة فى اليوم؟ فأجابت : ربع ريال ، أى نحو ثمانية قروش سورية ، فقلت : هل تنزعجن من رائحة التنباك ؟ فأجابت : فى ابتـداء ممارستنا لهذا العمل ننزعج كثيراً وأما بعد الممارسة فنألفه ولا نعود نشعر برائحته الا قليلا . وفى أثناء هذا الحديث مع الفتاة الذى لم يستغرق غير بضع دقائق كدت أختنق من رائحة التنباك فأسرعت بالخروج من المعمل الى باحة الدار واذا بصاحب المعمل قد أتى فسألته هل تضعون مع التنباك شيئاً قبل أن يصبح نشوقاً أو عطوسا ؟ فقال نعم اننا نضع معه نوعا من التراب يقال له (دقدقة) ، فقلت : ومن أين تجلبون التنباك ؟ فقال : يجلبـه لنا التجار الكبار من عدن ، ومن السويس ونبتاعه نحن منهم بحسب حاجتنا اليه .

فقلت هل تصنعون كميات كبيرة ؟ فأجاب : نعم اننا نصنع كميات لا يستهـان بها لأن البرتقان شـائع الاستعمال كثيرا بين جميع طبقـات الشعب وخاصة بين رجال القبـائل البدوية ، وهم الـكثرة فى البـلاد . وقد لاحظت بنفسى فى أثنـاء روحاتى وغدواتى هنا وهناك صحة هذا القول ورأيت الناس يقدمون البرتقان بعضهم لبعض كما نقـدم نحن السيكارات وهم يضعونه فى علب خاصة جميـلة يحملونها فى أحزمتهم والاحزمة كثيرة الشيوع بين اليمانيين ويندر أن يشاهد الانسان رجلا يمانيا بدون حزام وهذا الحزام هو جيب بل (خرج) يضع فيه المرء جميع ما يحتاج اليه من الادوات من مقص وموسى وخنجر وسيكارات وعلبة برتقان وقلم ودواة وقرطاس ومسلة وخيوط ودراهم الخ الخ .والبرتقان كالقات مضر بالصحة كثيراً لانه يقلل من شهية الانسان للطعام ويؤثر فى الاعصاب فيخدرها ويضعفها ويغير لون الانسان ويصبغها بصبغة سوداء

لا تزول عنها رغم غسلها بالماء والسواك وقلما يرى السائح رجلا فى اليمن سليم الأسنان ونظيفها وذلك لكثرة استعمال القات والبرتقان

دكاكين الصياغ

سرت من معمل البرتقـان بعد أن ودعت صاحبه وشكرته على المعلومات التى ادلى بها الى،ومررت بدكاكين الصياغ فوجدت أصحابها وعمالها جميعا من اليهود فدخلت أحد تلك الدكاكين فرأيت صاحبها جالساً فى الصدر وحوله ثلاثة أو أربعة عمال كبار وصغار والى جانبه خزانة حديدية قديمة فقلت له بلغة اليمن: مرحبا يا يهودا — أى يهودى فتمتم ببعض الكلمات التى لم أفهمها ثم قدم لى صندوقاً خشبياً قديماً وقال : هيا تفصل وقبر (أى اجلس) فقبرت على صندوق الكار وقلت له هب لى — اى اعطنى — بعض الاساور والخواتم والحلق من صنعكم فلم يفهم منى شيئاً وأخذنا نتكلم بالاشـارة ولغة الخرسان وبينت له انى اريد الحلى التى تلبسها النساء بالمعصم والاصابع والآذان فقال تعنى بلادك (اى أساور) ومداور (اى خواتم) فقلت نعم لا فض فوك هذا الذى أعنيه، فقال حسناً فهمت طلبك ولـكن أتريد من الدقة (اى النقشة) التركية الحديثة ام من الدقة القديمة الخاصة بالقبائل ؟ فقلت أرنى جميع ما عنـدك ، ففتح درجاً بالصندوق الحديدى وأخرج منه كيساً مملوءاً اشكالا وأنواعاً مختلفة من المصاغات، والحق يقال ان بعضها جميل جداً وعليها نقوش لم اشاهد مثلها فى الشام ومصر وجميعها مصنوعة من الفضة وبعضها مطلية بماء الذهب،ورأيت العمال الى جانبى يصبون بعض الحلى صبـاً بقوالب خاصة ويشتغلون بعضها شغلا باليد ويحفرونها أشـكالا غريبة،ورغم ضخامتها فان عليها مسحة من الجمال قلما يراها الانسان فى المصاغات الحديثة فى البلاد المتمدنة ، فسألت عن أثمان بعضها فقال لى بالوزن . . فقلت زن لى هذه البلادك وتلك المداور فوزنها وقال لى ثمنها كذا فقلت حسناً ونفحته الثمن وهو يزيد شيئاً يسيراً عن قيمة الفضة،وهذه الزيادة اليسيرة لاتساوى فى الحقيقة اجرة العمل ولـكن بارك الله فى العربية السعيدة فكل شىء فيها جميل ولطيف ورخيص وما أخطأ الذين سموها سعيدة فى هذه

التسمية . والحلى التركية أدق صنعاً من الحلى اليمانية وأخف منها . وأما الحلى القبائلية فثقيلة الوزن كبيرة الحجم وكثيرة السلاسل والتعاليق والدبابيس وما أشبه ذلك . وتلبس نساء اليمن حلى كثيرة ويفاخرن باقتنائها وعندهن حلى لمعظم أعضاء الجسد بما فيها الاذن وبين العينين والاذنين والساعدين والمعصم والارجل الخ ... ولها اسماء خاصة تختلف كل الاختلاف عن أسمائها عندنا .

الحمامات

خرجت من دكان الصائغ وعدت الى دارنا قاطعاً حي بئر العزب من الغرب الى الشرق فشاهدت في أوله من جهة قاع اليهود جامع حنظل وله مأذنة (منارة) جميلة مبنية من الحجر والآجر . ومررت بطريقي ببعض الحمامات وهي كثيرة في صنعاء لانه لا توجد في المنازل حمامات خاصة وربما بلغ عدد الحمامات في صنعاء أكثر من العشرين وهي مبنية على الطراز التركي القديم المعروف عندنا في الشام ، ويقوم بادارتها مدير (معلم) وبعض العمال ولهم طرق خاصة في التدليك والتفريك وتمسيد الاعضاء والعضلات ،



مأذنة جامع حنظل

وفى الحقيقة ان المرء اذا دخلها بعد سفر طويل شاق كسفر الحديدة ـ صنعاء يخرج منها ولسان حاله يردد ماقاله البدوى : « ان نعيم الدنيا هو الحمام ! » وتفتح هذه الحمامات أبوابها فى الصباح للرجال وبعد الظهر للنساء وبعضها تخصص أياما للنساء وأياما للرجال .

السيد زبارة والقصر

وصلت الدار بعد جولة استغرقت عدة ساعات فوجدت رسولا قد أتانى من قبل السيد محمد بن محمد زبارة أمير القصر السعيد بصنعاء وكنت أحمل اليه كتابا من صاحب السمو المرحوم محمد سيف الاسلام يوصيه فيه بأن يطلعنى على حقيقة نهضة الامام وحروبه مع الترك ومواقعه المشهورة ومواقفه المعروفة . والسيد محمد زبارة المشار اليه هو من رجال الامام الذين رافقوه منذ أول نهضته وأيده فى دعوته سنة ١٣٢٢ هجرية وشاركه الضراء قبل السراء فى جميع حروبه . وقد تفضل سيادته وأرسل لى مع رسوله خطابا يقول فيه بأنه سيأتى لزيارتى بعد الظهر . جاء سيادته بعد الظهر فرحبت به أجمل ترحيب وأجلسته فى صالون استقبالنا وشكرته على مقدمه وطلبت منه أن يحدثنى عن تاريخ حياة جلالة الامام وعن أحوال اليمن قبل توليته الامامة فحدثنى سيادته أحاديث مطولة وتكرم على ببعض الكتب والقصائد والرسائل ، وسأنقل للقارئ الكريم شيئاً منها ليقف على حقيقة أعمال هذا الرجل . وقد أظهرت لى أحاديثه ذكاء نادراً وعلماً واسعاً ولطفاً زائداً وقد عرف جلالة الامام فى هذا السيد الكريم هذه الصفات الحميدة فعينه أميراً للقصر ، والقصر هو معمل ميكانيكى عظيم تصنع فيه البنادق الحربية والعتاد والبارود والأدوات الميكانيكية ، وتسك فيه النقود ، وتصلح التراليورات والمدافع . وقد أكثرت على السيد زبارة من السؤالات وأحرجت مركزه مراراً بطلبى منه الافصاح عن بعض الأخبار والأسرار التى لايجوز افشاؤها فكان يدور حول أسئلتى دون أن يجيب عليها ثم يتملص منها بأسلوب سياسى أديب وينتقل بلطف الى موضوع آخر ، وقد أطلعنى سيادته على قصيدة عامرة قالها فى مديح

خلافة الامام أثر توليته امامة اليمن بعد وفاة خلافة والده المنصور وهذا نصها .

ومذ قضى امامنا المنصور وكادت الارض لذا تمور
اجتمع السادات والقادات وعمـــدة الاعلام والاثبات
ونظروا فى الامر قبل دفنه فبايعوا عن اتفاق لابنـه
وهو أمـير المؤمنين (يحيى) من جـدد الدين لنا وأحيـا
وأوضح الحجة فى هذا الزمن وأرشد الخلق الى خير سنن
وشيد الاعـلام للشريعة وبدد المظـالم الشنيعـة

الى أن يقول

مولده باليمن والسرور بنفس صنعا جاء فى عفور
ثم دعا من بعد تلك الحادثه فى ثانى العشرين بعد الثالثه

ثم يقول

وثالث [1] العشرين فتح صنعا فأظهر الامام فيها الشرعا
وعادت الاتراك كالرمال يقودها فيضى [2] الى ارال
قيل الى تسعين ألفاً رجلها ودونها فرسانها وخيلهـا
وشن فيضى على شهاره [3] فى شهر رمضان أى غاره
وكان ما كان من المعامع وأخـذ ما أوصل من مدافع
وفر فيضى الى أرال من خوفه للاسر والنـكال
وسبب الاحجار فى حبور [4] وغـيرها للوحش والطيور
ورابع العشرين فى رراحـه حرب تثير النقع والمجاجه
ومعرك فى قرية الحمودى وحربهـا شبيهة الرعود
ووقفـة الاشمود للمصمر وفخرنا الليث ابو منصر [5]

(١) أى سنة ١٣٢٣ (٢) أحد ولاة اليمن أيام الدولة العثمانيه (٣) اسم مكان (٤) اسم مكان
(٥) أحد قواد جيش الامام واسمه عبد الله أبو منصر معروف فى أيام الامام المنصور

وخامس العشرين فى خولان(١) معارك عظمى وفى سحان(٢)
ودارنا البيضا وفى رحام (وطود قيفان) وفى الحيام(٣)



محمد بن زبارة وصاحب هذه الرحلة

مجمل لتاريخ حياة الامام

ثم حدثنى السيد محمد زبارة عن تاريخ حياة الامام فقال قيل فى تاريخ مولد الامام البيت التالى

لئن تأخر فى الأزمان مولده فهو المحلى على آبائه الغرر

---

(١) اسم بلاد (٢) اسم جبال (٣) أسماء معارك وأماكن

ولد الامام يحيى فى شهر ربيع الأول سنة ١٢٨٦ هجرية فى مدينة صنعاء نفسها وتلقى دروسه وعلومه فى صنعاء عن والده الامام المنصور بالله وعن القاضى محمد بن عبد الملك الآنسى والقاضى محمد بن محمد العراشى والقاضى على بن على اليمانى وغيرهم من القضاة والعلماء وفى سنة ١٣٠٧ هاجر مع والده الامام المنصور من صنعاء الى جبل الأهنوم وهنا أكمل دروسه وعلومه على القاضى العلامة عبدالله بن احمد المجاهد الذمارى وعلى العلامة لطف بن محمد شاكر وغيرهما من العلماء الأعلام الذين يشار اليهم بالبنان وكانت جميع أيام حداثته أيام شدة وبؤس على اليمن وأهله وقد شهد بعينى رأسه ظلم الأتراك واستبدادهم بأبناء قومه وتلاعبهم بمصالحهم وبلادهم ارضاء لشهواتهم واستحلالهم الحرمات وتركهم ما أمر الله به من الفروض والواجبات وانغماسهم فى الشرور والمعاصى وارتكابهم البغى وشرب المسكرات وقد كان يخرج المتصرف أو الوالى أو الحاكم العثمانى من محل وظيفته الى الأرياف والجبال ليجمع الأعشار ويجبى الضرائب فيأخذ لنفسه جميع ما يمكنه تحصيله من الأهالى الفقراء ويعود الى محل وظيفته دون أن يعطيهم سنداً أو وصلا ويقول لحكومته بأن الأهلين عاصون عليه لايرضون دفع الضرائب له ، فتسير الحكومة الجيوش عليهم فتنهبهم وتخرب بيوتهم وتسوق ظروفهم وتكتب الى الباب العالى (فى الاستانة) بأن أهل اليمن عصوا الحكومة وأنهم أشقياء يدينون بدين (الزيدية) ولا يطيعون الأوامر الشاهانية ولا يعترفون بالخلافة العثمانية ولما كان أولو الأمر والنهى فى القسطنطينية جهالا لا يفهمون ماهو المذهب الزيدى وما هى حقيقة أحبار اليمن كانوا يؤخذون بهذه الدعايات الكاذبة ويؤيدون سياسة موظفيهم فى اليمن ويمدونهم بالجند والسلاح والعتاد ويأمرونهم باخضاع اليمانيين بالسيف والمدفع ولذلك كانت اليمن فى حرب دائم مع الترك وقد ذكر لى السيد زبارة وغيره من العلماء والعارفين بدقائق الأمور أسبابا كثيرة لهذه الحرب ألخصها فيما يلى

(أولا) كان الولاة العثمانيون يطردون الموظفين اليمانيين لأسباب أوهى من خيط العنكبوت

(ثانياً) كان الولاة يضايقون أئمة اليمن وسادانه ويضغطون عليهم بصورة قاسية

(ثالثاً) بعد اخماد الفتن والثورات كان الولاة يفرضون الغرامات الحربية على الاهلين ويجبونها بالقوة كما يعمل الغزاة الفاتحون

(رابعاً) كان الموظفون العثمانيون يمنعون الامام والسادة من الاختلاط بالناس وكانوا يقطعون رواتبهم ويجبرونهم على بيع املاكهم واطيانهم بأبخس الأثمان

(خامساً) كانوا يسجنون علماء الزيود لا لجرم أو ذنب ارتكبوه بل لاختلافهم مع رؤساء المحاكم الاتراك في المحاكم الشرعية وغيرها من المحاكم وكان في جملة من سجنوهم (أيام الوالي مصطفى عاصم) والد جلالة الامام يحيي صاحب الجلالة الامام المنصور بالله ورئيس العلماء بصنعاء السيد احمد بن محمد الكبسي والعلامة زيد بن احمد الكبسي وغيرهم وبعد سجنهم في صنعاء نفوا الى الحديدة فمات بعضهم في المنفى

(سادساً) كان اليمانيون ينفرون من الترك لتركهم الصلاة والصوم وعدم محافظتهم على شريعة الله وسنة رسوله ﷺ

(سابعاً) كان الولاه يوهمون الناس بانهم يريدون ارسالهم الى الاستانة بناء على أوامر السلطان ، ومعلوم بان جميع الذين يرسلون الى الاستانه كانوا لا يعودون منها بل يذهبون طعاما للسمك في البوسفور ، لذلك كان بعض اليمانيين يفتدون أنفسهم بالمال ومن لا مال عنده كان يساق صاغراً إلى المنافي والسجون ، وقد نفي على هذه الصورة خلق كثير نذكر منهم عبد الله الصلعي نفي الى عكا ، والقاضي يحيي المجاهد الثعري أرسل إلى الاستانة ومات فيها

(ثامناً) كان الترك يسجنون جميع من يكاتب الأئمة ، والأغرب من ذلك أنهم سجنوا الحاج سعد الدين الزبيري لأنه زوج ابنته من المرحوم الامام المنصور والد جلالة الامام يحيي ومن ثم نقلوه الى رودس

سياسة الامام يحيى

هذا وصف موجز لحالة اليمن أيام الامام المنصور وقد شاهدها الامام يحيي بنفسه

هشب على بعض الترك، ولما توفى والده فى سنة ١٣٢٢ هجرية فى قفلة حوث دعا جلالته جميع أهل الحل والعقد فى البلاد دون أن يعلمهم بوفاة والده ، ولما اكتمل عددهم قال انا لله وانا اليه راجعون ، امامكم قد ذهب الى رحمة ربه فاختاروا لانفسكم من بينكم خلفاً له ، فاجمعت كلمتهم على اختياره

قبل جلالته الأمامة ، ووارى والده التراب ، ونادى الى الجهاد وامتشق الحسام بنفسه وقاتل الترك فى طول البلاد وعرضها ، وحاصر جميع مراكز اليمن ما عدا الحديدة وتعز ، واستولى عليها من الترك المركز بعد المركز وقتل فى هذه الحروب خلق عظيم ومات من الجوع ألوف مؤلفة ، وأخرج جلالة الامام الحبوب والدقيق والأعطيات وفرقه على الجند ورجال القبائل وانتصر على الترك انتصاراً كاملاً ، ودخل صنعاء بعد حصار طويل كاد يهلك فيه جميع سكانها

ووقع يومئذ حادث غريب يدل على حلم الامام وتسامحه وذلك انه كان يوجد بصنعاء مفت يقال له القاضى محمد جغمان وقد ظلم الناس كثيراً ، وأساء اليهم اكثر . فلما دخل جيش الامام صنعاء هجم الناس عليه يريدون قتله تشفياً وانتقاماً ، فمنعهم الجند من قتله وساقوه الى الامام بقرية القابل ، وكان جلالته يومئذ خارجاً من صلاة الجمعة وقد اصطفت الجنود والأهلون لتحيته أثناء خروجه ولما رأى الناس المفتى صاحوا (اقتلوه اقتلوه !) فامر جلالة الامام الناس بالابتعاد عنه ، فصرخ عندئذ وهو يبكى (ارحمنى يأمير المؤمنين وخلصنى من الناس ولو بالقتل ؟) فاجابه جلالته (لا ضير انك آمن ومحترمك لعلمك ، أما ما بينك وبين الناس من الحقوق فأمامكم الشريعة ، وأما ما حصل لى ولوالدى الامام المنصور بالله منك من الضر فقد سامحتك منه وعفوت عنك) ثم اكرمه وأعاده الى أهله آمناً وأجرى له معاشاً وافياً من الدراهم والحبوب وصار معظماً مكرماً وقد تعجب الناس من حلم الامام وعفوه !

احمد فيضى باشا والمعاهدة مع اليمن

دامت الحرب بين جلالة الامام وبين الدولة العثمانيــة سنين متعددة كان فيها النصر

أحياناً حليف الامام وأحياناً حليف الدولة وقد عين احمد فيضى باشا والياً على اليمن للمرة الثالثة ليسترد صنعاء من الامام وتمكن دولته بعد حروب شديدة من استردادها ثم وقعت معارك متعددة فى قريـة الحمودى وفى الأشمور وغيرهما من القرى، ولما عجزت الدولة العثمانية عن مقاتلة الامام واخضاع اليمن أرسلت وفدا لعقد الصلح فطلب جلالة الامام الشروط الآتية —

شروط الامام

(١) أن تطبق الاحكام وفقاً للشريعة الاسلامية الغراء

(٢) أن يعود الى الامام حق عزل القضاة وحكام الشرع وتعيينهم

(٣) أن تكون معاقبة الخائنين والمرتشين منوطة بالامام

(٤) أن تخصص رواتب كافيـة للحكام والموظفـين كى لا تدفعهم قلة ذات اليد الى الارتكابات

(٥) أن تحال الأوقاف الى عهدة الامام لاحياء المعارف فى البلاد

(٦) اقامة الحدود الشرعيـة على مرتكبى الجرائم من المسلمين والاسرائيليين كما أمر الله تعالى بها وأجراها رسوله والتى أبطلها المأمورون الترك كأنها لم تكن شيئاً مذكوراً

(٧) تؤخذ العشر من المزروعات التى تسقى بماء السماء وأما التى تسقى بمياه الآبار فيؤخذ منها نصف العشر بعد أن يقـدر ذلك أرباب الخبرة واذا حصل خلاف يرجع الى الأصول التى وضعها عبد الله بن رواحة فى الخرص وتؤخذ عن البقر والغنم والابل النـصاب الشرعى وأما الأراضى الـتى تغل مرتين أو ثلاثاً فيؤخذ عنها نصف العشر أو ربعه ودفع ما سوى ذلك من التكاليف

(٨) جباية الاموال المـار ذكرها تكون بواسطة مشايخ البـلاد تحت نظارة مأمورى الدولة واذا تجاسر أحد على أخذ زيادة عن التكاليف المار ذكرها فعزله أو تحديد الجزاء له راجع الى الامام ولا يكون للامام علاقة بقبض الاموال الاميرية

(٩) تعفى عشائر حاشد وخولان والحدا وارحب من التكاليف

(١٠) يسلم كل من الفريقين المتعاقدين الجانيين الذين يلتجئون اليه

(١١) اعلان العفو العام في البلاد كي لا يسأل أحد عن ماضيه

(١٢) أن لا يولى أحد من أهل الكتاب على المسلمين

(١٣) أن تشمل احكام هذه المواد المار ذكرها صنعاء وتعز وملحقاتهما

(١٤) أن لا تدخل الحكومة في شؤن آنس ولا تعارض الامام في تعيين المأمورين لهذا القضاء لفقر سكانه وقلة حاصلاتهم ولما يخشى من وقوع محظور في مخالفة مأموري الحكومة لهم

(١٥) أن تكون المحافظة على هذه البلاد من تعديات الدول الاجنبية راجعة للدولة العلية

ان تنفيذ هذه الشروط الاساسية في البلاد اليمانية تكون سببا لسلامة الافراد البشرية وترقي البلاد واحيائها ، فيظهر الامن بابهى مظاهره ويحصل منه خير عظيم

ولا يخفى أن البعض يستفيدون من كثرة سوق الجنود الى البلاد اليمنية اذ لا يخلو من الفائدة المادية لهم ، ولعلهم لا يرضون بهذه الشروط لانه باتباعها يستتب الامن وينقطع ورود العساكر الى هذا القطر فيحسرون بذلك ما كانوا يؤملون ، لذلك طلب الامام صدور فرمان سلطاني يتضمن قبول الشروط المار ذكرها كي يطمئن اليمنيون وترتاح قلوبهم ولا يعترضه المأمورون في اجراء الأحكام التي تخوله اياها هذه الشروط ، واحالة إدارة البلاد الشرقية من اليمن التي تشبه بلاد آنس الى عهدته

هذه هي الشروط التي قدمها الامام لتكون أساس التفاهم بينه وبين الدولة العثمانية وذلك في ١٣ صفر سنة ١٣١٤ الا أنه لم تتم الاتفاق عليها ، لان الموظفين الذين أنيط بهم عقد الصلح لم يخلصوا نيتهم وخدعوا حكومتهم ، لشيء في نفوسهم ، فوقعت الحرب ثانية وحصلت معارك شيب من هولها الاطفال في خولان والدار البيضاء وسنحان وريمان ودمار والجيمة وآنس وغيرها

وقد أثبتّ شروط الصلح هنا لسببين الاول ليعلم القارئ الكريم أن جلالة

الامام يحيي لم يكن متعسفاً فى طلباته ولا أراد المحال وانه وضع هذه البنود لتكون ميثاقاً قومياً لليمن والثانى لان حكومة الامام المتوكلية الحالية قد اتخذت هذه الشروط دستوراً لحكمها ، وهى اليوم تسير فى جميع أعمالها بموجب هذا الدستور ولا تحيد عنه فى شيء

الامام وأهل اليمن

هذا ما كان من موقف الامام مع الدولة العثمانية، ولم يكن موقفه مع الاهلين بأقل خطورة منه مع الدولة لأن الاهلين ألفوا الثورات على الدولة واعتادوا العصيان وعدم دفع الضرائب ومالوا الى الفوضى وصار كل شيخ قبيلة أو شيخ قرية يخال نفسه انه هو الزعيم الوحيد فى البلاد ومن الواجب على العباد طاعته وتأدية الضرائب والزكاة له ، فأصبح اليمن شعلة من نار وصار من المتعذر على المرء أن يخرج من قريته لا بل من بيته خوفا من السلب والنهب ووقعت فى البلاد حروب أهلية عظيمة التهمت الاخضر واليابس ، وقام بعض السادة يطالبون بالامامة غير معترفين بجلالة الامام يحيي وفى جملتهم أحد أبناء عمه المدعو أحمد بن قاسم حميد الدين الضحيانى وألف المخالفون لجلالته حزبا لمقاومته واستنجدوا ببعض أعدائه الا انهم لم يفلحوا فى دسائسهم وتمكن الامام يحيي فى آخر الأمر بما له من المركز الدينى والدنيوى أن يضرب على أيدى جميع الثوار والعصاة بيد من حديد وأن يأخذهم أخذ عزيز مقتدر الواحد بعد الآخر ويأخذ منهم رهائن وتمكن أن يؤمن البلاد فى بضع سنين وأن ينشر النظام والانتظام فى البلاد من أقصاها الى أقصاها ، وأن ينظم حكومة مدنية اسلامية تسير فى جميع أمورها وأحكامها بموجب الشريعة الاسلامية الغراء ، وان يقسم البلاد الى ألوية متعددة ويجعل على رأس كل لواء حاكما من قبله وبالاختصار فقد خضعت جميع اليمن لسلطانه وألف من أجزائها مملكة اسلامية مستقلة استقلالا تاما وقد اعترفت الدول المعظمة كايطاليا وروسيا وبريطانيا العظمى بهذه المملكة ولعمر الحق ان هذا عمل جليل يدل على عظمة القائم به واقتداره ، فالدولة العثمانية — دولة الخلافة الاسلامية — لم تتمكن فى برهة ٥٠٠ سنة أن تستولى على اليمن وتخضعه لسلطانها ولكن جلالة الامام يحيى بدهائه وشجاعته

ومفاداته تمكن في بضع سنين من جمع شمل جميع أهل بلاده واقامة مملكة عربية فيها

هذه بعض أعمال هذا الملك القوي العظيم وصفتها باختصار والآن أنتقل الى وصف جلالته في مواقفه المختلفة

سراى الامام والمخيم المنصور

بعد مضي ثلاثة أيام على وصولنا الى صنعاء أذن لي جلالته بأن أتشرف بالمثول بين يديه ، وكنت قد سمعت عنه أشياء كثيرة كديمقراطيته ، وبساطة عيشه ، وبغضه للعظمة وكرهه لسماع ألفاظ التفخيم كصاحب الجلالة وبغضه للمراوغة الخ فذهبت الى مقابلته فرحاً مسرورا واصطحبت معي أحد الجنود ، وكان الوقت بعد الظهر وكنت في الطريق أشعر بشوق الى رؤية هذا الرجل الفذ العظيم الذي طالما سمعت عنه الشيء الكثير ، وصلت الى الباب الخارجي للمقام الشريف (السراى) فأوقفني الحارس بالباب ، فتقدم صاحبي الجندي من الحارس وقال له هذا فلان ومسموح له بالدخول لمقابلة مولانا الامام سمع هذا الكلام كبير الحراس فجاء مسرعاً خطاه نحونا وقال ما اسم حضرتك ؟ فأجابه الجندي عني (بريه بك) فقال حسناً، سبس (أي نخبر) الامام بقدومك ، وان هي الا بضع دقائق حتى وصل الجندي الى الامام فأذن بدخولي تخطيت الباب الخارجي ودخلت منه الى فسحة كبيرة فيها بضع غرف للجنود والحرس بعضها يستعملونها لنومهم وبعضها لجلوسهم ولجت من هذه الفسحة بابا آخر ثم خرجت منه الى حوش مستطيل قائم الى جانبه الجنوبي مكاتب بعض الموظفين والكتبة . وفي صدره أي في الجهة الغربية يوجد باب أسود جميل قائم خلفه حديقة سراى الامام ودار الحرم الشريف ، وعليه حراس من الجنود ولا يؤذن لاحد بدخوله ويوجد في الجهة الشمالية من القصر مكاتب لبعض المأمورين ودائرة البريد ومركز التلغراف السلكي واللاسلكي ، ويوجد في منتصف الحوش الكبير درج واسع مبني من الحجر الاسود يصعد المرء عليه الى جناح خاص من السراى يطلق عليه اسم (المخيم المنصور) وهو مكتب جلالة الامام وموظفيه وكبار كتابه ووزرائه

حديث مع جلالة الامام يحيى

عاهل اليمن يستنكر تجزئة البلاد العربية

صعدت على درج الحيم المنصور فاستقبلى فى منتصفه أحد حجاب جلالة الامام المدعو محسن جلالى وقال أهلا وسهلا ، وصعد أمامى فمررنا بآخر الدرج بحارس من الجنود ذوى الثياب المبللة وتخطيناه الى فسحة طويلة أى رواق قائم الى جوانبه غرف كثيرة جميع أبوابها مغلقة. وقف الحاجب فى منتصف الرواق أمام باب صغير نصفه مغلق ونصفه مفتوح وقال: هيا تفضل ، فأخرجت حذائى من رجلى كما هى العادة فى اليمن ، ودخلت الباب فوجدت نفسى فى غرفة مستطيلة جلس الى جوانبها فوق فرش وثيرة وسجاد عجمى بضعة عشر رجلا تبدو على محياهم سيماء العظمة والنبل ، خلت نفسى فى غرفة رئيس الكتاب ، أو رئيس التشريفات. وارتبكت فى أمرى لحظة ثم تقدمت بقدم ثابتة الى منتصف الغرفة حيث كان يجلس رجل وقور بهى الطلعة معتدل الجسم أسمر اللون مستدير الوجه، فيه بعض علامات الجدري، ذو جبين عال وفم صغير ورأس كبير وعينين سوداوين تقدحان مغنطيساً ونوراً ، له أنف قصير عريض ولحية سوداء مستديرة وأيد وأرجل صغيرة. فقلت موجهاً خطابى نحوه:

السلام عليكم. فأجابنى:

وعليكم السلام، حيا الله من قد جاء ، تفضلوا واجلسوا فجلست أمامه على سجادة عجمية واحترت فى أمرى واعترتنى الدهشة فى من عسى أن يكون هذا الرجل ، هل هو رئيس الوزراء أم هو رئيس الكتاب أو رئيس الحجاب ؟ مرت هذه الاسئلة الاستفهامية فى مخيلتى كمرور البرق ، وكنت فى خلال هذا الوقت أراقب كل شيء حولى ، فرأيت أمام هذا الرجل الذى حرت فى أمره رزماً من الأوراق بعضها ملفوف لفاً كالسجائر وبعضها مطوى طياً ، وكان جالساً بين يديه رجل يفض هذه الاوراق ويقدمها له الواحدة بعد الواحدة ، فكان يقرأ بعضها ويلقيها الى الذين حوله ذات

اليمين وذات اليسار وكان يملى على بعضهم الأجوبة التى يجب أن تكتب عليها، وأحياناً كان يكتب بيده على بعضها ، ويطرحها أمامه فيلتقطها الحاجب ويرملها برمل أحمر ويختمها بخاتم خاص فنظرت من طرف خفى إلى الخاتم فإذا به خاتم جلالة الامام فأدركت للحال انى أمام الحضرة الشريفة فاعتدلت فى مجلسي فادرك جلالته بذكائه العجيب موقفى وتوقف عن العمل وحول نظره نحوى وقال كيف وجدتم بلاد اليمن ؟ انها فقيرة وحقيرة ، وليس فيها شيء من التمدن ! فقلت كفانا الله شر التمدن يا صاحب الجلالة ربما تكون بلادكم فى الوقت الحاضر فقيرة من حيث الثروة المادية، ولكنها دون ماشك غنية بحريتها واستقلالها ، وهذه نعمة نغبطكم عليها نحن معاشر العرب الذين اكتسحت الدول العربية بلادهم واحتلتها قوة واقتدارا وفرضت عليها ضربا من ضروب الحكم الكيفى سمته انتدابا ؟ فقال وأين بلادك ؟ فقلت الشام فقال ماذا جرى بمدينة دمشق ؟ فقلت دمشق مسقط رأسى وقصصت عليه قصتها منذ أيام الحرب العظمى الى ذلك التاريخ فقال عجيب عجيب ، لا حول ولا قوة الا بالله لقد بلغنا أشياء من هذه الاخبار فلم نصدقها فقلت صدقوها ، وصدقوا أكثر منها ، فاستفظع ذلك واستنكره وحوقل كثيراً وقال والحلفاء ، ألم يساعدوكم؟ فقلت كلا يا مولاى ان الحلفاء أجمعت كلمتهم وتم الاتفاق بينهم على تقسيم تركة الرجل المريض (أى تركيا) وأخذوا البلاد العربية التى سلخت عن الدولة العثمانية وقسموها بينهم واختصت كل واحدة منهم بقطر أو أكثر من هذه البلاد ، وأما وعودهم ، وأما عهودهم التى قطعوها للعرب أيام الشدة والضيق،أيام كان المدفع الالمانى يلعلع فى السماء والارض فأصبحت قصاصات ورق لا قيمة لها ولا وزن فأطرق جلالته قليلا وحوقل كثيراً وغير مجرى الحديث قائلا كيف وجدتم برد اليمن ؟ وكيف كانت معاملة العمال لكم فى الطريق ؟ فقلت شكراً وألف شكر لجلالتكم فاننا والحمد لله مانزلنا بمكان الا وكنا موضع الحفاوة والتكريم ، وقد قام الجميع نحونا بأكثر من الواجب فأصبحنا ألسنة شكر لجلالتكم ، وأما البرد فانه لا يضايقنا لان بلادنا أشد برودة من اليمن فقال هل من حاجة تريدون قضاءها ؟ وهل أنتم مستريحون فى داركم ؟

قلت : الحمد لله والشكر لمولانا الامام انا بحسب أنظاركم والتفاتاتكم على غاية ما يرام ونرغب أن نصور بعض الصور فى صنعاء وضواحيها لنحفظها كذكرى لزيارتنا البلاد السعيدة فقال لك أن تصور ما شئت ومن شئت ما عداى انا فشكرته على لطفه وودعته وانصرفت وبمناسبة التصوير أقول إن جلالة الامام لم يسمح فى حياته لأحد أن يصوره وما هذه الصور التى نراها له فى بعض المجلات والجرائد الا صور خيالية رسمتها مخيلة واضعيها وهى لا تشبه الامام لا فى قليل ولا كثير .



أحد شوارع مدينة صنعاء

قبل أن أخرج بالقارئ الكريم من المخيم المصور أصف له بعض مشاهداتى فيه المخيم المصور أومكتب الامام الخاص هوغرفة مستطيلة يبلغ طولها نحو سبعة أمتار وعرضها نحو ثلاثة أمتار وفيها بعض النوافذ الكبيرة ذات الزجاج الملون ، وجدرانها مبيضة بالكلس الذى يقال له (قص) وأرضها مفروشة بالسجاد العجمى والطنافس ويجلس جلالة الامام فى منتصفها قرب الحائط الشمالى ويجلس كتبته وكبار رجال دولته حوله أربعة الى يمينه وأربعة الى يساره على سجاجيد عجمية ممدودة فوق فرش وثيرة ويوجد أمام كل واحدمنهم ابريق صغير من الفخار مملوء ماء والى جانبه منصفة نحاسية جميلة عليها بعض الكتابة العربية والنقوش القديمة والى الجانب الآخر رزمة كبيرة من

القات وجميع الـكتبة يجرون أى يمضغون القات ويشتغلون فى آن واحد وقد رأيت الأوراق مكدســة تكديساً أمام كل واحد منهم ، وهم يكتبون عليها باقلام من القصب الأبيض العادى وحبر أســود وأما جلالة الامام فيكتب بقلم حبر ولا يوجد أمامه قات ولا ابريق تجارى لان جلالتــه قد ترك استعمال القات بناء على اشارة طبية وقد أخذ فى استعمال علـكة من نوع المستكة يمضغها بعض الاحيان للتسلية بدلاً من القات. ويوجد الى يسار جلالته مكتب كبير فيه كثير من الادراج وأمامه طاولة صغيرة وزجاجة ماء مملوءة ماء معطراً بعطر الورد البلدى وقد علق خلفه على الجدار حساماً يمانياً كريماً وبندقية نمسوية قصيرة من نوع (شتير) وأما لباسه فى وقت الشغل فى المخيم المنصور فهو ثوب حريرى بسيط وطاقية قطنيــة ويلبس فى اصبع من أصابع يده اليسرى خاتما ذا حجر يمانى أحمر

طريقة الـكتابة

ويجدر ان نذكر هنا أن طريقة الـكتابة فى اليمن تختلف عن طريقة الـكتابة عندنا وقــد رأيت بعض الاوراق فى المخيم المنصور ويبدأون الكتابة فيها جميعها بسم الله الرحمن الرحيم ثم يكتبون بضعة أســطر تحت البسملة ، ثم يدورون بالـكتـابة حول هذه الاسطر بشكل كروى ويكثرون من استعمال الفاظ التعظيم والتبجيل والمترادفات ولا يخلو كتاب واحد من القوافى والحواشى الـكثيرة وبعد أن يكتبوا الرسالة أو ما أشبه يلفونها لفاً كما يلف بخر السيجارة ويضعونها فى حزامهم أو عمتهم فى انتظار ارسالها إلى المحل المقصود ارسالها اليه

خرجت من المخيم المنصور وسرت فى الرواق نحو الباب أريد الخروج ، فشاهدت فى الرواق مصابيح كهربائية ، بعضها مدلاة من السقوف ، وبعضها موضوعة فى الجدران فاسترعت نظرى كثيراً لانها هى المصابيح الوحيدة الموجودة فى جميع بلاد اليمن ، تأملتها جيــداً فاذا بها من مصنوعات ايطاليا وأسلاكها ردئـة جـداً وأعطيتها أرداً ، وهى تدار (بدينامو) خاص وقد جلبها الطليان لجلالة الامام من أسمرة ومجراها الكهربائى من

النوع المستمر ولا بطاريات لها وقد كلفت حلالة الامام مبلغاً طائلاً من المال يزيد على أربعة أضعاف ثمن مثلها فى مصر

كنيسة القليس

عدت الى دارنا وأنا أفكر فى حلالة الامام وديمقراطيته ولطفه وقضيت ليلتى فى غاية الراحة والانشراح ، وفى الصباح خرجت مبكرا الى صنعاء ، وصورت فيها صور كثيرة أهمها صور بعض المنازل الحميرية القديمة والاسواق والجوامع والاشخاص الى غير ذلك ومررت فى أثناء طوافى بمكان فيه حفرة كبيرة ونبع شجرات ويقولون لهذه الحفرة فى الوقت الحاضر (عرقة القليس) بفتح القاف وكسر اللام وسكون الياء وآخرها سين مهملة ، وهى الكنيسة التى بناها ابرهة بن الصباح الحبشي وأراد من بنائها أن يصرف الناس عن الكعبة اليها، وقد قال فى وصفها السيد صارم الدين بن ابراهيم الوزير المتوفى سنة أربع عشرة وتسعمائة ، ماخلاصته

القليس كنيسة ابرهة الحبشي سميت بذلك لارتفاع بنائها ، وكان ابرهة قد استذل أهل اليمن وأخضعهم فلما عزم على عمارة هذه الكنيسة أمرهم بنقل ما فى قصر بلقيس من أحجار منقوشة بالذهب والفضة ورخام مجزع ، ثم جد فى بناء الكنيسة وجعلها مربعة وبناها بتلك الحجارة منقوشة لاتدخل الابرة فى أطباقها وجعلها ملونة فحجر منها أخضر وحجر أحمر وحجر أبيض وحجر أزرق وحجر اسود ، وجعل دائرها (مفصلا) على هذه الصفة ثم (فصل) فوق الرخام بحجارة سود لها بريق جلبها من جبل نقم وهو جبل صنعاء المشرف عليها ، وكان عرض الحائط ستة أذرع وكان المدخل منه الى بيت فى جوف الكنيسة طوله ثمانون ذراعا فى عرض أربعين ذراعا عوده من العاج المنقوش وفيه مسامير الذهب والفضة ثم يدخل من ذلك البيت الى ايوان طوله أربعون ذراعاً عن يمينه وعن يساره عقود عاجية تتلألأ كالكواكب الذهب والفضة ثم ذهب جدرانها وسقوفها ونصب فيها صلباناً من الذهب والفضة ومنابر من العاج وغيرها فصارت تلتهب التهاباً وجعل فيها قناديل من الذهب والفضة والبلور توقد بأطيب

الادهان وجعل أبوابها من العاج المصفح بالذهب والفضة فلما هلك ابرهة ومزقت الحبشة كل ممزق أقفر ماحول هذه الكنيسة وكثرت حولها الحيات فلا يستطيع أحد أن يأخذ منها شيئاً وكان أهل اليمن يعتقدون أن من أخذ شيء من ذلك أصابه ألم ولم تزل هذه الكنيسة كذلك في زمن الصحابة رضي الله عنهم وأيام بني أمية الى زمن أبي العباس السفاح فذكر له أمرها فبعث العباس ابن الربيع عاملاً على اليمن فوصله معه أهل الحزم والجلادة ولم يلبث أن أمر بخرابها فخاف الناس ثم ان قوما تقدموا فخربوها على وجل ورعب شديد فاجتمع منها مال عظيم حمل الى السفاح وقد نزلت بالذين خربوها ضروب من الآلام من جنون وجذام فازداد أهل اليمن تطيرا بذلك ثم بعد ذلك عفا رسمها وانقطع خبرها

ياقوت وكنيسة القليس

وقال ياقوت في معجم البلدان عن القليس مامختصره انها الكنيسة التي بناها ابرهة بن الصباح بصنعاء اليمن سميت القليس لارتفاع بنائها وعلوها ، ومنه القلانس لانها في أعلى الرؤوس ، وانه بناها ابرهة ونقشها بالذهب والفضة والزجاج والفسيفساء وألوان الاصباغ وصنوف الجواهر وجعل فيه خشباً له رؤوس كرؤوس الناس وكللها بأنواع الأصباغ وجعل لخارج القبة برنساً فاذا كان يوم عيدها كشف البرنس عنها فيتلألأ رخامها مع ألوان أصباغها حتى تكاد تخطف البصر وكان ابرهة قد استذل أهل اليمن في بناء هذه الكنيسة وجشمهم فيها أنواعاً من السخر وكان ينقل اليها آلات البناء كالرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام،وكان من موضع هذه الكنيسة على فراسخ وكان فيه بقايا من آثار ملكهم فاستعان بذلك على ماأراده من بناء هذه الكنيسة ونصب فيها صلباناً من الذهب والفضة ومنابر من العاج والأبنوس وكان يريد أن يرفع بناءها حتى يشرف منه على عدن وكان حكمه في العامل اذا طلعت الشمس قبل أن يأخذ في عمله أن يقطع يده ، فتأخر رجل منهم ذات يوم حتى طلعت الشمس فجاءت معه أمه وهي امرأة عجوز فتضرعت اليه

تستشمع لابها فأبى الا آن يقطع يده فقالت . اصرب عمولك اليوم فاليوم لك وعــداً لعيرك وكما صـار الملك اليك من عيرك فـكدلك سيصير منك الى عيرك ، فأحــدثه موعطتها وعفا عن ولدها وعن الناس من العمل فيا بعد وكتب على بابها بالمسند « بيت هدا لك من مالك ليد كر فيه اسمك وأنا عبدك »

ولما هلك ابرهة ومزقت الحبشة كل ممزق وأقفر ماحول هده الكنيسة ولم يعمرها أحد كثرت حولها السباع والحيات وكان كل من أراد أن يأحد منها شيئاً أصابته الحن فبقيت من دلك العهد بما فيها من العــدد وآلات من الدهب والفضة دات القيمــة الوافرة والقناطير من المال لايستطيع أحد أن يأحــد منه شيئاً الى زمان أبى العباس السفاح فدكر له أمرها فبعث اليها خاله الربيع بن زياد الحارثى عامله على اليمن وأصحبه رجالا من أهل الحزم والجلدحتى استحرج ما كان فيها من الآلات والاموال وخربها حتى عفا رسمها وانقطع خبرها

الآثار الحميرية

هدا ما كان من أمر هده الـكنيسة التاريخية العظيمة، وقدخربها المسلمون لان ابرهة أراد من بنائها أن يحول نظر المسلمين عن كعبتهم فى مكة ، ولم يكن حظ الآثار الحميرية القديمة بأحسن من حظ الـكنيسة فقد هدم اليمانيون هده الآثار كلها أو اكثرها والدى لم يهدموه نقلوا كثيراً من أحجاره الـكبيرة الجيدة وبنوا بهــا منازلهم وجوامعهم هدا فى صنعاء وحدها ، وأما فى سـائر أطراف اليمن فلا يزال يوجد كثير من الأبنيــة الحميرية العظيمة وقد شاهدت بعض هده الأبنيــة فى قرى كعوان والصيق وظفار وبريم ووادى القابل وغيرها [1] وتمتــار الأبنية الحمــيرية القديمة عن أبنية اليمن الحــالية بكبرها واتساعها وليس فيها شىء من اتقــان الصنع وجمال الهندسة وقد سمعت شيئاً كثيراً عن مارب وسبأ وقصر بلقيس ولـكنى لم أتمـكن من زيارة هده المنطقة [2] لأن الأمن فيهالا يزال غيرمستتب وسكانها من القبائل

١ وقد روى لى غير واحد من الناس انه يوجد عند شيخ قرية ظفار شخص منحوت من المرمر على شكل يمثل السماء !! ٢ زرتها بعد دلك وكتبت عنها مفصلا فى الجزء الثانى من رحلتى هده

المتوحشة التى لم تخضع لسلطان الامام الى هذا اليوم خضوعاً تاماً ولذلك اكتفيت بأخذ بعض المعلومات عن هذه المنطقة الأثرية القديمة ممن وصلوا اليها ، وسأورد للقارئ الكريم بعض الاحاديث عنها مبتدئاً بحديث الشريف محمد بن عبد الرحمن علوى

سبا ومارب

زارنى ذات يوم الشريف محمد بن عبد الرحمن علوى أمير سبأ ومارب يصحبه رجل من صنعاء فقال له أحمد بن الحاج احمد حمادي وبعد ما تعارفنا وتصافحنا قال الامير انه لم يدخل الى صنعاء منذ عشرين عاماً أى منذ خروج الدولة العثمانية منها وقال انه كان يعرف ولاة الترك وباشواتهم وقد عينه بعضهم حاكما على بلاد سبأ ومارب وكان يتناول راتباً شهرياً قدره ٤٠٠ ريال أى نحو ثلاثين ديناراً عثمانياً ذهباً وقد كلفه ذات مرة أحد الولاة بان يأخذ معه ضابطاً تركياً الى تلك البلاد فأخذه معه وأبقاه عنده عدة أيام وأعاده الى صنعاء سالما قلت له انا أرغب كثيراً أن أذهب الى هناك فقال على الرحب والسعة ، قل لأمير المؤمنين أن يسمح لك بالذهاب وأنا آخذك على عهدتى ، قابلت أمير المؤمنين ورجوته أن يسمح لى بالذهاب مع هذا الرجل فقال جلالته انه يخشى علىّ ويخشى أن يحصل مالا تحمد عقباه اذا أنا ذهبت اليها ، امتثلت لهذا الأمر على مضض ولا تزال بنفسى غصة كلما سمعت بذكر مارب وسبأ لانى لم أزرها

سألت الأمير أن يحدثنى عن السد العظيم فقال ان السد قائم فى واد متسع بين جبلين عظيمين ويبلغ علوه نحو ١٥ قامة أى ٢٥ متراً وعرضه نحو ٣٥٠ متراً وقد تهدم من أحد جوانبه المبنى على حافة الجبل ولم يبق من الجدران هنا سوى أساساتها فقلت وأين قصر بلقيس من هذا السد ؟ فقال ان قصر بلقيس قائم الى جانب السد على مسافة غير بعيدة ويوجد من قصر بلقيس حتى نبع الماء الذى كان يصب فى جران هذا السد العظيم نفق تحت الأرض كانت الملكة بلقيس تروح وتغدو فيه إلى النبع حتى لا يراها أحد وآثاره لا تزال بادية للعيان الى هذا اليوم ويوجد من هذه الآثار فى

أول النفق من ناحية القصر تماثيل خيل ، وفرسان ، ونمال، وجمال ، محفورة جميعها من الرمر ، وسقف النفق من الرمر ، وبقايا قصر بلقيس من الأحجار الملونة والمرمر وقال انه يوجد بالقرب من قصر بلقيس قصر ثان يقال انه قصر سليمان وهو مبني من اثني عشر حجراً عظيما ، كل جدار من جدرانه الأربعة مبني من ثلاثة أحجار

حديث السيد حسين بن ابراهيم

وحدثني أيضاً السيد حسين ابن احمد بن ابراهيم عامل جلالة الامام على منطقة سبأ قال انتدبني جلالة الامام للذهاب إلى سبأ وعينني عاملا عليها فذهبت فرحا مسروراً ووقع بيننا وبين قبائل تلك البلاد معارك كثيرة، كان النصر فيها حليفنا ففتحنا البلاد وأمنّا العباد على أرواحهم وأخذنا منهم سبعين رهينة أرسلناها لجلالة الامام ولا تزال عنده الى الآن فقلت حدثنا عن هذه البلاد العجيبة المجهولة للعالم فقال ان وادي سبأ واد جميل للغاية وتربته خصبة جداً ويجري فيه نهر ماء الى مسافة طويلة ويقوم على ضفتيه شيء كثير من خرائب الحميريين وقراهم واكبر هذه القرى وأعظمها خربة أو قرية عال وقرية كمنة ومدينة السودة وبناء هذه المدينة عجيب جداً وأبواب بناياتها أعجب فالباب كناية عن حجر واحد منحوت ، والجدران كناية عن أربعة أحجار لكل جدار وأما مناخ هذه البلاد فقال بانه أشد حرارة من مناخ صنعاء ، ثم سألته عن السد وعن قصر بلقيس فلم يختلف جوابه عن جواب أمير سبأ ، فسألته عن الآثار والعاديات القديمة ؟ وهل يسمح أهل تلك البلاد للناس بعمل الحفريات ؟ فقال لا أظنهم يعترضون على ذلك وخاصة اذا اكرمهم المرء بالهدايا والعطايا فقلت وهل يوجد لديهم شيء من العاديات ؟ فقال كثيراً ما تأتي السيول العظيمة وتجرف بعض الأراضي فيظهر فيها كثير من الانتيكات المختلفة واكثرها مصنوعة من المرمر والحجارة الكريمة ، فيلتقطها البدو ويرسلونها الى صنعاء أو الى عدن فيبيعونها للتجار بأثمان بخسة وهؤلاء يرسلونها للخارج

العراضة

دعانا حلالة الامام الى مشاهدة حملة استعراض الجيش التى تقام فى صنعاء ، كل يوم جمعة بعد الصلاة أمام السراى ويقولون لهذه الحملة عراضة ، وحصص لنا مكاناً فى غرفة أحد الموظفين فى السراى قريبة من المكان الذى يجلس فيه حلالتـه فى أثناء العرض ذهبنا الى هذه الغرفة نحوالساعة الثانية عشرة فوجدناها مرتبة ترتيباً حسناً وفيها مكتب وعدة كراس ودولاب للاوراق وغير ذلك وما كاد يستقر بنا المقام حتى رأينا شرذمة من الجند من ذوى الثياب المبللة أتت ووقفت بباب السراى واختلط معها نفر غير قليل من الاهلين وبعـد برهة خرج حلالة الامام فى عربة عادية تجرها الخيل الشقراء المطهمة ، ولا تقيم حلالته وزناً للفخفخة والعظمة ولا يوجد عنـده عربات رسمية عالية خاصة بالتشريفات كما هى الحال عند كبار الامراء والملـوك لانه حفظه الله يحذو فى جميع أعماله وتصرفاته حذو جده النبى العظيم صلوات الله عليـه ولا يوجد عنده ياوران ولا أمناء ولا ما يشبه ذلك ، وكان يركب معه فى العربة اثنان من أنجاله سيوف الاسلام

سارت العربة يحتاط بها الجند والناس الى الجامع الـكبير فى صنعاء حيث أدى حلالته صلاة الجمعة ، وسار خلفها على جواد عربى صامر أحمد سيف الاسـلام ولى عهد الامام وعامله على حجة والطويلة وكوكبان ومسور وبنى جيش والتهامة اذ كان يومئذ موجودا فى صنعاء

بعد تأدية الصلاة عاد حلالة الاماموعاد خلفه ولى عهده تتقدمهماتلاميذ المدارس فالجنود المشاة فالرشاشات فالمدافع الصغيرة المحملة على الجمال ثم المدافع الـكبيرةالمجرورة بالبغال وقد خرج الجميع من باب الشقادف الـكائن بقرب السراى الى فسحة كبيرة خارج السور ، ودخل حلالة الامام السراى وجلس فى شرفة خاصة يرقب العرض وكانت فرقة من موسيقى الجيش واقفة أمامه تعزف ألحاناً تركية عادالجيشفدخل من باب الشقادف ومر أمام حلالة الامام يمشى مشيته العسكرية وكانت تعزف أمامه

فرق الموسيقى ألحاناً مختلفة وكان الجنود يشدون الزامل (النشيد) بصوتهم الجميل الرهيب، وكان هذا الموكب مؤلفاً من ١٥٠٠ جندى من المشاة وثلاثين مدفعاً كبيراً وصغيراً واثنى عشر متراليورا و٤٠٠ تلميذ من تلامذة مدرسة الايتام والحربية

وقد لاحظت أن بعض الضباط هم من بقايا ضباط الجيش التركى طاعنون فى السن يحب احالتهم على التقاعد، وشاهدت ضباطا من اليابيين شبانا صغارا يمشون مشية عسكرية على نغم الموسيقى فسررت كل السرور بهم وقلت يا حبذا لو كان جلالة الامام يستعين ببعض كبار الضباط من العرب ليعلموا جيشه التعليم العسكرى الحديث فقال فاعلا ان شاء الله وسألت عن زامل الامام الذى كان ينشده الجند أمامه فقيل لى هكذا

يامن يخالف أمر مولانا ويعصيه لا بد من يوم يراه
لابد من يوم يشيب الطفل فيه والطير يرسى فى سماه

حديث مع وزير خارجية اليمن

القاضي محمد راغب

لما كان جلالة الامام لا يرد الزيارة لاحد من الضيوف فقد أوفد لنا القاضي محمد راغب وكيل الخارجية ليرد لنا الزيارة والقاضي محمد راغب رجل في العقد الخامس من العمر جميل الصورة ، ربع القامة ، أبيض اللون ، حسن الهندام ، أديب المعشر لطيف



القاضي محمد راغب بك بن رفيق وزير الخارجيه

الكلام ، وليد الاستانة وقد سبق له أن وظف أيام الدولة العثمانية فى وظائف متعددة اذ كان قائمقاما لطرابلس الشام ثم عين متصرفا على الحديدة وتعز وغيرهما من متصرفيات اليمن وهو يجيد العربية والتركية والفرنسية جلسنا واياه فى صالون الاستقبال أمام الشادروان وسألناه أسئلة كثيرة وبحثنا معه بحوثا كثيرة فكان يجيبنا عليها بالتفصيل كأنه رجل يمانى واقف على جميع الشؤون وهو يشغل اليوم وزارة خارجية اليمن

(س) لما لاتعبد الحكومة اليمانية الطرقات ؟

(ج) ان اليمانيين لم يروا من منافع الطرقات أيام الدولة العثمانية سوى جر المدافع وسوق الجنود لذلك تجد اليمانيين غير مبالين بتعبيدها الآن

(س) الم يفكر جلالة الامام بتعبيد طريق الحديدة ـ صنعاء ؟

(ج) نعم فكر جلالته فى ذلك وأرسلنى مرة لكشف طريق عن نعافش فكشفت هذه الطريق وكذا باشر تعبيدها وهى تمر بسامق ، اللواء ، عافش ، الحقل ، الرصعة حميرة ، بيت المامة ، عبال الحديدة ، ولكن حدثت وقتئذ بعض الامور المهمة التى حولت نظر الامام واهتمامه فصرف نظره عنها مؤقتا وجلالته مصمم على تعبيد طريق الى الحديدة بكل تأكيد ، ومن دواعى سرورى انه بعد هذا التصميم فى نهاية الأمر وعبد طريقا جديدة تمر بحجة فالحديدة بعد رجوعى من اليمن وصار فى امكان السيارات أن تنقل الركاب والبضائع بين صنعاء والحديدة فى يوم واحد ؟ والآن عبدوا طريقا ثانية تمر بعمر

(س) هل يوجد عندكم خرائط لليمن

(ج) كلا لايوجد خرائط عندنا ولكنى عثرت مرة على خريطة وضعها المهندسون الفرنسيون الذين جاءوا ليهندسوا طريق سكة الحديد بين الحديدة وصنعاء وهى غير كاملة

(س) هل اطلعتم على الخريطة التى وضعتها دار الخرائط الانكليزية فى لندن فضلا عن بعض خرائط الجيش البريطانية وغيره ؟

(ج) كلا لم أطلع عليها وسألنى حضرته لماذا اهتم بالخرائط فقلت له لانى عثرت

على حريطة لليمن من صنع دار الحرائط البريطانية وحلتها معى وحاولت تطبيقها على الأراضى والحبال الح فلم أفلح أولا لانه بوحد فيها علطات فادحة وثانيا لان نقل الاسماء من العربية الى الانكليزية حاء مشوها ولا يمكن قراءته فقال حصرته انه آسف لعدم وحود حريطة تفى بالمرام .

(س) هل يوحد كتب حعرافية لليمن

(ح) لا يوحد كتب بالمعنى المطلوب

(س) مادا تعلمون من حقيقة اليهود فى اليمن ؟ وهل هم من سكانه الاصليين أم دحلاء عليه ؟

(ح) ان اليهود من سكان اليمن القدماء ولما تغلب الروماييون على اليمن تنصر بعضهم ولما افتتح المسلمون اليمن وادحلوه فى حوزتهم أسلم معظمهم وكانوا قديما يتزحون من المسلمين ويزوحونهم

بعد ما تحدث الينا القاضى محمد راغب بهذا الحديث وسألنا هو بدوره أسئلة متعددة تتعلق بسياسة العالم الخارجى ودعنا وانصرف وقد علمنا من أسئلته الكثيرة والدقيقة أنه واقف كل الوقوف على السياسات الدولية ولا تفوته شيء منها

حعرافية اليمن

ولشدة ولوعى بالحعرافيا وحرصى على الوصول الى معرفة بلاد اليمن معرفة صحيحة كنت أسأل جميع من أتصل بهم عن أنهر اليمن وحباله وقبائله ووديانه الح الح وقد توصلت الى معرفة الشيء الكثير منها ودونته فى مذكراتى بأوقات مختلفة وها أنادا أذكر للقارئ الكريم شيئاً منها على سبيل التمثيل

ان أهم مدن اليمن هى صنعاء ويحيط بها من الشمال حجة وعمران وشهارة وحوث وصعدة وأبو عريش ومن الغرب والغرب الشمالى كوكبان وشبام وثلا والطويلة والمحويت ومناخة والمنيرة والزهرة وباجل والزيدية والحا ومدينة العبيد والى جنوب صنعاء معبر ودمار ويريم والجند وإب وتعز والسيانى والسدة وقعطبة وماوية

والى الشرق الدار البيضاء والجوف ومواني اليمن الطائف والحديدة والمخا وابن عباس والصليف واللحية

وأما أنهار اليمن فمعظمها وديان تسيل أيام المطر وتجف أيام القيـظ وأهمها وادي سهام ويصب في البـحر ووادي مور وتجتمع فيه وديان متعددة ووادي بنا يصب فيه نهر الدلائي والجورة والرداعي ويصب الجميع في لحج ووادي هـدوان يمر بمدينة تعز والوادي الكبير يصب قرب ميـناء المخا ووادي التالوق وهو مجمع وديان رداع ودمار وعنس ويذهب الى مارب

وأهم جبال اليمن جبل نقم شرقي صنعاء وبسلح وشبام و كوكبان ومسور وملحان وبعدان وسمارة وعاروالرجة وكحلان والجميس وبرع والأهنوم والرازح وشطب وشهارة وعيلاء وحصن العشة وعراش وعيلان وحولان وبرط الخ الخ

وأهم قبائل اليمن هي بنو الحارث وبنو حشيش وسنحان وهمدان وأرحب وحاشد وبكيل وذو محمد وذو حسين وحولان وبنو جبر وبنو ظبيان الخ

ومعظم القضاءات والنواحي هي بلاد البستان والحيمة وانس وبلاد الروس وعتمة والرجة وحرار وكوكبان والطويلة والمحويت وحماش وملـحان وعمران وحجة • وصعدة ونجران الخ



صوره احد أسواق صنعا

فى اسواق صنعاء

خرجت من الدار بعد ذهاب القاضى محمد راغب ويممت وجهى نحو أسواق صنعاء ترويحاً للنفس ولم أصطحب معى جنديا لكى أختلط بالناس وأسمع أحاديثهم دون أن يساورهم القلق من وجود الجندى فمررت بسوق النجارين فوجدت معظمهم يعمل بكرات خشبية ودلاء للآبار وشاهدت بعضهم يعمل صناديق خشبية للقبائل البدوية وهى على شكل صناديق الفلاحين عندنا ومررت بسوق الحدادين فرأيتهم يصنعون سكاكين ومخشات ومحاريث ومسامير ومناشير وسلاسل وحلقات الى غير ذلك من الأدوات الحديدية ولكن صناعتهم أولية للغاية وأدواتهم ابتدائية فسألت بعضهم لماذا لا تجلبون أدوات وآلات تعينكم فى صناعتكم ؟ فقالوا نحن فقراء وأثمان الآلات عالية وجلبها صعب ولذلك نكتفى بادواتنا البسيطة فقلت ومن أين تجلبون الحديد ؟ فقالوا يجلبه لنا التجار الكبار من عدن ونحن نبتاع حاجتنا منهم ومررت ببعض مصانع الأراكيل وهى دكاكين كبيرة جلس فيها عدة صناع بعضهم يعمل قلب الأركيلة وبعضهم رأسها وبعضهم سائر أدواتها وصناعة الأراكيل صناعة مهمة ويعملون منها كميات وافرة لان الطلب عليها كثير ثم مررت ببعض المحلات حيث شاهدت نشر أحجار المرمر العظيمة الى ألواح دقيقة شفافة بمناشير حادة خاصة وهذه صناعة اختصت بها صنعاء دون غيرها من بلاد العالم لان المرمر لا يستعمل كزجاج للنوافذ الا فى صنعاء ومررت أيضاً بمحلات الحياكة وشاهدت العمال جالسين خلف أنوالهم الخشبية الكبيرة التى تشبه أنوالنا كل الشبه وهم يحيكون البز من خيطان القطن على نفس طريقة الحياكة عندنا، ثم مررت ببعض دكاكين بائعى الحجارة اليمانية الكريمة فوقفت أمام دكان وطلبت الى صاحبه أن يعرض علىّ بعض حجارته ، فقدم لى شيئاً كثيراً منها فاخترت نحو عشرين حجراً وسألته كم ثمنها فقال كل حجر (بثلاث بقش) فدفعته الثمن وسرت نحو الدار وعلى ذكر البقش والدراهم أذكر للقارىء الكريم النقود المستعملة فى اليمن

الدراهم

يقولون للدراهم « طلط » وواحدها القياسي هو النقشة وتقسم النقشة الى نصف نقشـة وربع نقشة وثمن نقشة وكل عشر نقشات تساوى ربع ريال تساوى أو امامى ويقال له عمادى وكل أربعين نقشة تساوى ريالا واحـدا وكل عشرة الى ١٥ ريالا تساوى جنيها انـكليزيا ذهباً وذلك بحسب هبوط سعر الفضة وارتفاعها وأساس التعامل هو الذهب والذهب الموجود فى اليمن هو الجنيه الانكليزى والعثمانى ويوجد ايضا بعض العملة الورقية كالجنيه الانـكليزى الورق والروبية الورق وهذه يتداولها التجار وأما الأهلون وخاصة القبائل فلا تتعامل بغير الفضة والذهب ، وهم يفضلون المقايضة أحياناً فى الاسواق البعيدة عن المدن ومعظم الريالات الموجودة فى اليمن هى من نوع الريال النمساوى المعروف بأبى شوشة أو بماريا تريزا والنقشة وأجزاؤها مصنوعة من نحاس ومضروبة فى صنعاء اليمن وكذلك الريال الامامى فهو مضروب فى صنعاء اليمن ومصنوع من الفضة الخالصة

وقوة الدراهم فى الشراء عظيمـة جداً وذلك لقلتها وكثرة المصـانع والحاجيات المعروضة للبيع فقوة الشراء فى النقشة الواحدة تساوى قوة الشراء بقرشين سوريين عندنا بقرساً

كيف تلقى سريه المؤيد العظم الحكم عليه بالإعدام ؟

ليالى صنعاء

خرجت مساء ذات يوم الى صنعاء لأقضى سهرتى فى مقاهيها وكان يرافقنى أحد الجنود ويحمل أمامى فانوساً صغيراً يضاء بالبترول ، اخترت شارع بئر العزب ودخلت من باب الشرارة وطفت فى بعض الأسواق فلم ار قهوة ما وسألت رفيق الجندى ألا توجد (قهاوى) فى صنعـاء ؟ فأجاب بلى توجد مقاهى كثيرة للمسافرين ولـكن ماحاجتكم (للمقهاية) وانتم والحمد لله تقطنون فى دار كان الامام حفظه الله سا كناً

فيها ؟ أدركت للحال أن الجندى يقصد بالقهاية الخان للمسافرين فقلت له لا اريد مقهاية للنوم بل اريد قهوة للجلوس فلم يفهم قصدى ، فعدت وإياه ادراجى الى الدار ولدى الاستفهام من بعض الاصدقاء غداة ذلك اليوم عن المقاهى والمطاعم والفنادق علمت انه لا توجد قهاوى فى صنعاء أبداً ولا توجد فيها مطاعم ولا فنادق ولا دور للسينما وما أشبه، فسألت بعض الأصدقاء عن كيفية قضائهم للسهرات فقالوا اما أن نسهر مع عائلتنا وأولادنا وإما أن نتزاور مع الأصحاب ويسهر بعضنا عند بعض ونقضى جانبا طويلا من السهرة بأكل القات وبدخن (المداعة) أى (الاركيلة) والذين لايخزنون القات ليلا يقضون بعض وقتهم بالعبادة والقراءة واما أنا فكنت أقضى معظم سهراتى فى تدوين هذه المذكرات وفى مطالعة بعض الكتب

وسام الإمام الحكم بالإعدام

نهضت ذات يوم مبكراً وبينما كنت أتناول طعام الصباح واذا (محسن حلالى) حاجب الامام الخاص يأتى ويقول « أصبحتم » فأجبتـه صبحكم الله بالخير والعافية فقال الحضرة الشريفة (يبغا كم) أى تريدكم فقلت حسناً سأحضر قريباً ، وفكرت فى نفسى ماذا يريد جلالة الامام فى هـذا الوقت ياترى ؟ ورحت أضرب أخماساً فى أسداس وأحسب لهكذا الطلب الف حساب وانهيت طعامى ولبست ثيابى ودفعت مسرعاً الى المقام الشريف فاستأذنوا لى بالدخول فدخلت على جلالة الامام فى مكتبه فاذا به يجلس كالعادة يهتم بشؤون المملكة فقلت أسعد الله صباح جلالة مولانا الامام وهممت بتقبيل يده فدفعها بلطف وقال حى الله من قد جاء ، وابتسم ابتسامة جميلة وهو يقول هيـا اجلس جلست أمام الحضرة الشريفة وقلبى يخفق خفقـاناً شديداً ولـكنه ليس بخفقان الخوف بل خفقان الحب الممزوج بالاحترام ، ونظرت الى جلالة الامام فرأيت الابتسامة لم تفارق شفتيه فجرت فى الأمر وقلت اعطانا الله خير هذه الابتسامة ياصاحب الجلالة ، فقهقه عندئذ جلالته بالضحك ، وقال نعم خيرا وخـيراً كثيراً ان شاء الله ؛ خـذ هذا الوسام ومد يده الى تحت الوسادة وأخرج عدداً من

جريدة (الف باء) وقال خذ واقرأ وأشار بيده الكريمة الى سطر من أسطر الجريدة فتناولت الجريدة من يده الكريمة بقلب واجم وتأملت فى المكان الذي أشار اليه جلالته فرأيت العنوان (محاكمة بريه المؤيد) تلوت تلك المحاكمة فوجدت نتيجتها أن المجلس العدلى بدمشق حكم علىّ بالاعدام عملا بالمادة ٥٨ لم أتمالك عندئذ من الضحك فقلت أشكركم ياصاحب الجلالة على هذا الوسام الأحمر القانى وانى أتقبل هذا العدد من جريدة الف باء منكم بمزيد الشكر وبالفعل احتفظت بهذا العدد وهو رقم ٢٠٩٧ الى يومنا هذا وكتبت عليه بالحبر الاحمر «أعطانى هذا العدد من جريدة الف باء جلالة الامام يحيى فى صنعاء كوسام للاستحقاق اليمانى» وأخال القارىء الكريم أدرك أن هذا الحكم كان قد صدر علىّ بسبب الثورة السورية فى دمشق وكنت حين صدوره والحمد لله فى اليمن

الامام والصحف

بقيت بالحضرة الشريفة زمناً غير يسير وتناولت البحث مع جلالة الامام فى امور كثيرة منها الدعاية الخارجية والاشتراك فى الصحف فصرح لى جلالته بانه لا يشترك فى الصحف ويعيد أكثرها الى أصحابها أولاً وثانياً وثالثاً وبرغم اعادتها لهم يستمرون على ارسالها فيقبلها جلالته كهدية ، فقلت ولكن يا مولاى ان الملوك والامراء ورؤساء الجمهوريات والعظماء جميعهم يشتركون فى الصحف ويدفعون اشتراك هذه الصحف غالياً لا حباً فى قراءة أخبار العالم فقط بل وارضاء لاصحاب هذه الصحف وشراء لألسنتهم فقال أنا لا يهمنى هذه الامور أبداً ولا اعتنى بالدعايات ولا أرغب فى شراء لسان أحد فاللسان الذى يكيل المديح بالدراهم يكيل القدح اذا انقطعت الدراهم فلا خير فى المدح والقدح متى كانا بالدراهم سكت لهذا الجواب المعقول وغيرت الحديث ثم ودعته وانصرفت وأنا معجب بشدة حجته وقوة منطقه ولطافة تعبيره



بعض كبار رجال الحكومة اليمنية فى صنعاء وهم من اليسار القاضى عبد الكريم
بن احمد المطهر الكاتب الاول فى المخيم المنصور والقاضى لطف بن محمد
الزبيرى والسيد عبد الله بن ابراهيم الوزير

مجلس الامام

ومن الغريب فى جلالة الامام انه لا يكل ولا يمل من العمل وهو ينهض كل يوم مبكرا فيصلى الصبح حاضرا وينزل بعد طلوع الشمس الى ميدان سراياته العامرة فيجلس تحت شجرة الفلفل الكائنة بالميدان أو تحت مظلة كبيرة من القماش ويتقبل شكاوى الناس ويتسلم عرائضهم والدخول الى السراى فى ذلك الوقت مباح لجميع الناس وبعد أن يجلس جلالته فى الناس مدة يخرج عند الظهر الى أحد جوامع صنعاء فيصلى وفى

أثناء دهابه وايابه يسمح للناس أن يقابلوه ويقـدموا شكاويهم اليه وكثيرا ما ينزل من عربته ويتمشى طلبا أو طل أحد المنازل ويدع الناس تأتى اليه وتقابله وترفع طلاماتهم اليـه وهده أيضاً عادة حسنة يحمد عليها حلالته كل الحمد وبعد صلاة الظهر يدخل حلالتـه الى الحرم الشريف فيتناول طعامه ويستريح قليلا ثم يعود الى المخيم المنصور ويبقى هنالك على رأس عمله حتى ساعة متأخرة من الليل

بعد أن تعرفت الى حلالة الامام جيداً وبعد أن شعرت بميله الشديد إلى إصغائه الى أقوالى واقـتراحاتى صرت أزوره فى الأسبوع ثلاث أو أربع مرات وأجلس مـع حلالته صباحا قبل خروجه للناس فى داخل حديقة السراى العامرة تحت ظل الأشجار ولشدة ديمقراطيته وسمو أخلاقـه وعلو مبادئه كان يجلس حلالته دون عظمة أو فخفخة على كرسى عال وأجلس أمامـه الى كرسى صغير ولا ثالث بيننا فنتناول من الأحاديث والشؤون العمرانية والزراعيـة والاقتصادية والسياسية وغيرها من شؤون هذا العالم الشىء الكثير، وكان حلالته يوجه الى أسئلة دقيقة للغاية تدل دلالة واضحة على تعمقه فى جميع العلوم الدنيوية والدينية وكان يصغى إلى أجوبتى بانتباه زائد ويجادلنى فى أمور كثيرة الى أن يقنعنى بنظريته أو أقنعه بنظريتى، ولعمر الحق هده شحية سامية قل أن توجد فى الناس العاديين فضلا عن الملوك وقد اتصل بى ان موقف حلالته فى الحديث مع رجاله العظماء الذين يعول عليهم لايختلف عن موقفه فى الحديث معى وهذا مما يحبب الناس فيه ويجعلهم ألسنة شكر تسبح بحمده وتثنى عليه فى كل مناسبة وليس من الغريبـ وحالته مع الشعب كما وصفت ـأن يكون الشعب أطوع لجلالته من بنانه فهو قد ملك روح الشعب ونفسه بالسياسة والاحسان واللين لا بالقوة والجبروت وانى فى رحلاتى الكثيرة وسـفراتى المتعددة من أقصى اليمن إلى أقصاه ومقابلتى لأناس من جميع الطبقات من زيود وشوافع ويهود لم أقابل رجلا واحداشكا لى من حلالة الامام، ولكنى لا أنكر انى سمعت مرّ الشكوى من أناس كثيرين فى حق بعض العمال الذين يسيئون استعمال وظيفتهم وقـد رفعت هده الشكوى الى الحضرة الشريفـة فوعدنى

صاحب الجلالة باجراء التحقيق واعطاء الأوامر الشـديدة الى العمال لانصاف النـاس وعدم التحامل عليهم

الضيوف الاجانب والامام

يستقبل جلالة الامام ضيوفـه الأجانب من الفرنجة فى جناح خاص من السراى فى صالون كبير مفروش بالسجاد العجمى الثمين وفيه طقم واحد من الكنبات وآخر من الكراسى وطاولة ويقوم هذا الصالون فـوق حديقـة السراى وينحصر فى أغلب الأحيان اجتماع جلالته مع الأجانب وزيرالخارجية القاضى محمد راغب وأحد الحجاب ولا يؤذن للحاجب وللوزير بالجلوس فى أثناء الاجتماع ويسمح للاجنبى أن يدخل هذا الصالون يوم موعد الاجتماع الذى يضرب عادة قبـل يوم أو يومـين وينتـظر تشريف الحضرة الشريفة وقبل مجىء الحضرة الشريفة بدقيقة واحدة يعلن أحـد الحجاب الوزير والضيف اوالضيوف بأن صاحب الجلالة قادم فيستعد الجميع لاستقباله وقبيـل دخوله يدخل الحاجب أمامه ويقول صاحب الجلالة شرف، فيقف الجميع تعظيما واحتراما فيدخل جلالته ويجلس على مقعد خاص معدله ويأذن للضيف أو الضـيوف بالجلوس فيجلسون وأما الحاجب ووزير الخارجية فلا يؤذن لهما بالجلوس بل يبقيان واقفين الى نهاية الحديث ولا تزيد مده مقابلته للاجانب على نصف ساعة يتحادث جلالها معهم فى الشؤون التى يريدونها ولا يبت فى أمر من الامور مهما كان طفيفاً بجلسة واحدة بل دائماً يعد زائريه بدرس اقتراحاتهم أو طلباتهم ثم يجيبهم عليها امابواسطة وزيرالخارجية القاضى محمد راغب أو بواسطة رئيس الديوان العالى ووزير الداخلية القاضى عبد الله العمرى وذلك بعد أن يقتل جلالته المسألة درساً وفحصاً مع وزرائه وكبار رجال مملكته وعندما ينتهى المقابلة يخرج جلالته من صالون الاستقبال قبل ضيوفه فيبقى الضيوف مع وزير الخارجية مدة يتحدثون فيها اليه ويشرحون قصدهم وشيون غاياتهم من زيارة اليمن بصورة مطولة وهذا يعرض حديثهم على الحضرة الشريفة فيما بعد

ويرتدى جلالة الامام فى مقابلاته الرسمية للاجانب ثوبا حريريا رقيقاً وفوقه ثوب

آخر (قسار) مصنوع من صايات الشام الحريرية المشهورة ويتعمم بعمة حريرية كبيرة وتمنطق بحبية من جنبيات اليمن التاريخية القديمة ويحمل على جنبه سيفا يمانيا عتيقا غمده من الفضة والذهب ونصله من الفولاذ اليماني المشهور ويحمل بيده سبحة صفراء من الكاربلاء ويلبس في أصبع يده خاتما معمولا من بعض حجارة اليمن الكريمة يرجع تاريخه الى بضع مئات من السنين

هذه هي ألبسة جلالة الامام في مقابلاته الرسمية وفي أوقات خروجه من السراي العامرة وأرى نفسي مضطرا لبيانها بيانا دقيقا لأن جلالته لم يأذن لي ولا أذن لأحد غيري بأن يصوره وعليه فأنا أصوره بالكلام لا بالفوتوغراف وما هذه الصور الفوتوغرافية التي تنشرها الجرائد من حين الى حين الا صور خيالية لا تشبه جلالته أبداً كما بينت فيما تقدم

الاجانب

وعلى ذكر الأجانب أقول ان صنعاء لا تخلو منهم فهم يفدون عليها بصورة مستديمة تارة باسم المفاوضة وطورا باسم التجارة والغاية الحقيقية هي التجسس ، وبديهي أن يتخذ الأجانب جميع الأساليب والوسائل للمجيء الى صنعاء لأن جلالة الامام لا يسمح للدول الأجنبية بأن ترسل سفراء أو قناصل أو ممثلين رسميين لليمن ولذلك ترسل هذه الدول أناساً من رعاياها بين الفينة والفينة ليشاهدوا عن كثب حالة اليمن وقد صادف وأنا في صنعاء ان جاءها وفد افرنسي وآخر طليانى وثالث امريكى ورابع ألمانى وخامس انكليزى وسادس روسى شيوعى وسابع سعودى ، وقد احتمع الجميع الى جلالة الامام والغريب أن ثلاثة من هذه الوفود كانت تسعى للحصول على امتياز استثمار مملحة الصليف الكائنة على مسافة ٨٠ كيلو متر من شاطىء الحديدة والجميل في الأمر أن جلالة الامام رفض أن يعطى هذا الامتياز أحدا من الوفود ، وقد تباحثت مع جلالته في هذا الشأن وسألته لماذا ترفضون ياصاحب الجلالة اعطاء رخصة باستثمار هـذه المملحة فقال ألا تعلم بانى أن سبب استعمار الهند والصين وغيرهما من

البلاد الشرقيــة الضعيفة هو منح حكومات هــذه البلاد للاجانب رخصاً باستخراج الملح وزيت البـكار وغيرهما من المصالح ؟!! انى أفضل أن نبقى أنا وشعبى فقراء نأكل القصب ولا أدخل الأجانب أو أمنحهم امتيازات مهما كان فى ادخالهم للبـلاد من الفائدة والثروة ولا اخال جـلالة الامام مخطئاً فى هذه النظرية لأنها حقيقة واقعـة لايختلف فيها اثنان ولا يتناطح عليها عنزان

حديث مع وفد تجارى روسى

وقد اجتمعت ببعض أعضاء هذه الوفود الأجنبيـة وأخص منهم بالذكر الوفد الروسى ودار بينى وبين أعضائه وهم الرفيق جورجى استانـكوف رئيس الوفد والخواجه ملـكين (عضو) الوفد والخواجه موريس اكسلرود عضو الوفد وعضـو المجمع العلمى الشرقى فى موسكو حديث طويل عن أمور كثيرة أورد بعضه هنا للقارئ الـكريم ليطلع على مساعى الروس الحمر فى بلادنا

(س) ماذا تبغون من زيارتـكم الى اليمن ؟

(ج) نحن نعطف على الشعوب الضعيفة ونرغب فى مساعدتها

(س) هل هذه الغاية سبب مجيئـكم لليمن

(ج) كلا ليست هذه غايتنا الوحيدة فقط بل نرغب أيضاً أن نعقد معاهدة تجارية مع الامام يحيى إذ لايخفى عليكم أن بلادنا واسعة ومحصولاتنا كثيرة وأبواب العالم الخارجى مغلقة فى وجوهنا فنحن نسعى لايجاد أسواق جديدة وهذه البلاد هى فى جملة البلاد التى يمكننا أن نعمل معها ونجد فيها أسواقاً تجارية

(س) هل تمـكنتم من عقد معاهدة تجارية مع جلالة الامام ؟

(ج) نسعى لذلك سعياً حثيثاً وقد تمـكنا بالاتفاق مع جلالة الامام ورجاله الامجاد من وضع صيغة هذه المعاهدة وسيحملها الرفيق جورجى استانـكوف الى حـكومة موسكو ليعرضها عليها ويأخذ توقيعها ثم يعود الى اليمن ثانية ليأخـذ توقيع جلالة الامام عليها

(س) ماهو عدد مواد هده المعاهدة وما هي مصاميها ؟

(ح) ستطلعون عليها بعد توقيع الطرفين المتعاقدين عليها لأنهاستنشر فيموسكو وصنعاء في وقت واحد

(س) هل لهده المعاهدة ملاحق سرية وما أشبه ؟

(ح) ابتسم الرئيس لهدا السؤال الصريح وأحاب طبعا كلا !

(س) مادا صنعتم في هده البلاد الى الآن ؟

(ح) أسسنا شركة تجارية وقدتعين لرئاستها الخواجه ملكين وهده الشركةتدعى الشركة الروسية التجارية

(س) وما هي مهمتها ؟

(ح) جلب المحصولات الروسية من بلادنا وبيعها في اليمن وشراء كميات وافرة من البن اليمني والجلود

(س) وما هي المحصولات التي تجلبونها ؟

(ح) دقيق وخشب وكبريت وكاز وسكر وأقمشة قطنية وحريرية وخردوات الى غير دلك من اللوازم

(س) كيف وجدتم هده البلاد وأهلها ؟

(ح) انها بلاد جميلة جداً وأهلها فقراء ولكنهم أذكياء ورجال جد وعمل

(س) أصحيح أنكم أتيتم الى صنعاء بالطيارة ؟

(ح) نعم طرنا من الحديدة الى صنعاء بالطيارة وقطعنا المراحل الست بين هاتين المدينتين في خمسين دقيقة فقط !

(س) هل تتلقون بريدكم من بلادكم بصورة منظمة ؟

(ح) نعم نأخـد بريدنا بواسطة سفننا التجارية التي تسافر بين البحر الأسود والعجم بصورة منتظمة ولكن كل ثلاثة أشهر مرة واحدة

(س) ولمادا تتدخل حكومتكم في امور غيرها من الحكومات والشعوب ؟

(ح) ان حكومتنا تنشر مبادئ جديدة هي الحرية والعـدالة والمسـاواة ، ولا

تتدخل فى أمر شعب من الشعوب مالم يطلب بعض أفراد ذلك الشعب وأحزابه منها المساعدة

(س) هل أباحت لكم هذه المبادئ الحرة الشريفة أن تقتلوا المسلمين فى القفقاس وتهدموا مساجدهم فوق رؤوسهم وهم يصلون ؟

(ج) ان هذه الأخبار تتسرب اليكم عن طريق بعض خصومنا وهى مبالغ فيها كثيرا ولا شك انه اتصل بكم اننا ساعدنا تركيا فى أيام محنتها وثورتها مساعدة جليلة وتركيا هى دولة اسلامية كما لا يخفاكم

(س) هل تنوون السفر الى بلادكم الآن ؟

(ج) نعم سيسافر بعضنا ويبقى الخواجه بلسكين فى الحديدة كرئيس للشركة التجارية ليشرف على أعمالها وهو سيستعين بالوطنيين فى جميع أعماله .

هذا هو بعض الحديث الذى جرى بينى وبين الوفد الروسى ولا أخفى على القارئ الكريم انى لم أكن مطمئنا فى حديثى مع هؤلاء الناس ولا شعر قلبى بالميل اليهم . ومن الغريب فى روسية الحمراء التى تدعى أنها لم تقم بثورتها المعروفة الا لتنقذ روسيا من مخالب الرأسماليين واستبداد القيصر ورجاله ان جميع زعمائها الشيوعيين أصبحوا يمتلكون الثروات الطائلة وكان أيام القيصر يوجد قيصر واحد يستبد بالشعب فصار فى زمنهم يوجد ألف قيصر وقيصر من الزعماء والوزراء وأصحاب النفوذ ، وقد بلغت شكوى الشعب عنان السماء من أعمالهم ، وبديهى أن المبادئ الشيوعية تناقض الفروض الدينية الاسلامية وتختلف مع السنة المحمدية وعليه أنصح اخواننا العرب أن لا ينخدعوا بدعاية الروس وأن يعلموا بأن هؤلاء الحمر قد قتلوا الوفا من المسلمين فى بلادهم وخربوا مئات الجوامع والمساجد فوق رؤوس المصلين

وكنت أظن أن المعاهدة التى نوه لى عنها الوفد الروسى سوف لا تعقد مع اليمن وسوف تمر الأيام والشهور والسنون بين أخذ ورد بين موسكو وصنعاء من غير جدوى ولكن تمكن الرفيق جورجيوف من اقناع حكومته بقبول صيغة المعاهدة التى وضعها حضرته مع الحكومة المتوكلية فى سفرته الى موسكو وعاد بها ممضاة من حكومته

الى اليمن فوقعت عليها حكومة اليمن أيضا وصارت نافذة منذ تاريخ توقيعها فى سنة ١٩٢٨ والى القارىء الكريم نصها بالحرف

فصل فى المعـــاهدات [1]

معاهدة الوداد والصداقة والتجارة بين اليمن وحكومة الجمهوريات السوفياتية المعروفة بمعاهدة صنعاء

بناء على الاستصواب والاستنساب المتقابل من كل من حكومة اتحاد الجمهوريات السوفيابية الاشتراكية من طرف ومن حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن الامام يحيى ابن الامام محمد حميد الدين وحكومته من طرف آخـر ورغبة الطرفـين فى تأسيس المناسبات الرسمية الاعتيادية وفتح الصلات الاقتصادية بين بلاديهما وترقيتها وسائها على أساس الصدق فى تنظيم العلاقات الودادية بين الحـكومتين وشعوبهما والاعتراف بالتساوى بين الطرفين فى كافة الحقوق واحكامها العامة المرعية بين الدول والملل

قد اتفق الطرفان المشـار اليهما على عقد هذه المعـاهدة الودادية والصداقيـة والتجارية واعتبارها كمقدمة لما تستدعيه وتقتضيه الظروف المستقبلة عند ترقى الصلات الاقتصادية بين البلادين وتوسعها من اجراء المذاكرات والسعى من الحكومتين المشار اليهما فى تنظيم الاتفاقات اللازمة كمثل تجارة وغيرها مما يقتضيه الطرفان فقررا الآن ما هو آت

المـادة الأولى

تعترف حكومة اتحاد الجمهوريات السوفيـاتية الاشتراكية بالاستقلال الـكامل المطلق لحـكومة قطعة اليمن ولملـكها صاحب الجلالة الامام يحيى بن الامام محمد حميد الدين وحاكميته وتقـدر صاحب الجلالة ملك اليمن وحكومته بصورة الاحـترام

١ - لتعذرنا القارىء الكريم فى محافظتنا على النص الحرفى للمعاهدات لأن ذلك هو الواجب والمتبع فى مثل هذه الاحوال

الخالص والحسيات الجيلة التي تصمرها حكومة اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية لدولة اليمن وشعبها وسائر الشعوب الشرقية ووفاقا لهذا قد تأسس بين الطرفين المتعاهدين الناسبات الرسمية عوجب المقدمة المحررة آنفاً

المادة الثانية

يتعهد الطرفان المتعاقدان بتسهيل المبادلات التجارية بين المملكتين ووفاقا لهذا التعهد يكون لكل من رعايا المملكتين في بلاد مملكة الاخرى بعد استحصال الاذن منها الدخول والاقامة طبق نظاماتها وتعاطي التجارة واجراء معاملاتها التي تقتضيها على شريطة أن يكون فصل القضايا التي تحدث لكل من رعايا الطرفين في المحاكم المحلية للمملكة التي يوجدون فيها على وفق نظاماتها وان ما كان ممنوع الاتجار به في قوانين احدى الحكومتين فلكل منهما منع أو مصادرة ما وجد في مملكتها من ذلك ويتعهد الطرفان المتعاقدان أن يساعدا بتطبيق كل تسهيل موافق للنظامات المحلية في معاملات رعايا المملكتين في التجارة فيما يختص الضرائب والرسوم الكمركية

المادة الثالثة

توضع هذه المعاهدة في موضع التطبيق واجراء من الحكومتين بعد امضائها وتصديقها على مقتضى الأصول الرسمية المعتادة من طرف حكومة اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية اعتباراً من يوم وصول التصريح الرسمي من الحكومة المشار اليها الى جلالة ملك اليمن الامام يحيى

المادة الرابعة

تكون هذه المعاهدة الودادية والصداقية والتجارية معمولا بها وموضوعة في موضع العمل والتطبيق مدة عشر سنوات اعتبارا من التاريخ الذي ذكر في المادة الثالثة وعند انقضاء المدة المذكورة تكون تمديدها أو تبديلها بغيرها راجعاً الى رغبات الطرفين المتعاقدين وما سيتفقان عليه في ذلك المستقبل

المادة الخامسة

تسمى هذه المعاهدة الودادية والصداقية والتجارية معاهدة صنعاء وهي تشتمل على

مقدمة وخاتمة ستأتى وخمس مواد هذه المادة احداها وقد نظمت فى نسختين باللغة العربية لتعاطيهما من الطرفين المتعاقدين

الخاتمة

لكى تكون هذه المعاهدة مهيئة لاكتسابها صفة التصديق النهائى حسبما نصت عليه المادة الثالثة والرابعة قد أمضيت فى صنعاء عاصمة اليمن من طرف مرخص حكومة اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية حضرة الرفيق آستاخوف بالنيابة عن حكومته المشار اليها ومن طرف حضرة القاضى محمد راغب المندوب عن جلالة ملك اليمن الامام المشار اليه بعد اتفاقهما على ماحوته من العبارات والمعانى الدالة عليها اتفاقا تاماً كاملا وتحريرها فى ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٤٧ الموافق ١ تشرين الثانى سنة ١٩٢٨

محمد راغب بن رفيق　　　　　　　　ع آستاخوف

معاهدة صداقة وتجارة

بين امبراطورية أثيوبية ومملكة اليمن

ان حضرة صاحب الجلالة ملك ملوك أثيوبية قدامای هيلاسلاسى الأول المعظم

وحضرة صاحب الجلالة ملك وحاكم اليمن المطلق الامام يحيى بن الامام محمد بن يحيى حميد الدين المبجل

رغبة منهما فى تأسيس روابط الصداقة والمحبة بين الدولتين العاليتين وتوثيق عراها على قاعدة القوانين الدولية العامة قد قررا عقد معاهدة صداقة وتجارة ولهذا الغرض عين

من طرف حضرة صاحب الجلالة امبراطور أثيوبية حضرة صاحب السعادة ساقى ترورو، مسقل، وصاحب العزة ليج آبداركه ماساى

ومن طرف حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن الامام حضرة صاحب السعادة القاضى محمد راغب بن رفيق

مندوبين مفوضين من الدولتين المشار اليهما . وقد اتفقوا بعد تثبيت وثائق اعتمادهم على المواد الآتية

المادة الأولى يفتح بين الامبراطورية الأثيوبية والمملكة اليمانية سلام دائم وصداقة تامة مطلقة .

المادة الثانية يتفق الفريقان الساميان المتعاقدان على تقوية علاقاتهما الودية والتجارية وعلى أن يسهلا تبادل المنتجات بينهما

المادة الثالثة لكل من رعايا الامبراطورية الاثيوبية والمملكة اليمنية الحرية فى الدخول والاقامة للتجارة فى بلاد الفريق الآخر من المتعاقدين الساميين اللذين اتفقا على أن يعاملوهم وتجارتهم بالأحكام المحلية وتمتعوا بما يتمتع به رعايا الدولة الأكثر رعاية

المادة الرابعة من المتفق عليه أن رعايا الفريقين الساميين المتعاقدين يكونون فى كل أمورهم ومعاملاتهم خاضعين للقوانين والمحاكم المتبعة عادة فى البلاد المقيمين بها

المادة الخامسة — سيكون من الفريقين الساميين المتعاقدين فى الوقت المناسب وبموافقتهما انشاء سفارة وقنصليات والى أن يكون انشاء العلاقات السياسية والقنصلية هذه يتفقان على أن يعطى لرعايا كل منهما المقيمين فى بلاد الفريق الاخر المساعدة والصيانة اللازمة

المادة السادسة بهذه المعاهدة لا يسمح الفريقان الساميان المتعاقدان لأى حركة ضد صداقتهما الصميمية ويجتهدان فى التقرب أكثر مما هما عليه الآن فى المعاونة وفى ازدياد علاقاتهما وعلى روح هذه المعاهدة تبنى الاتفاقات والمعاهدات التى سيكون عقدها فى المستقبل بينهما

المادة السابعة تكون مدة هذه المعاهدة خمس سنوات ابتداء من تاريخ تبادل صحح التصديق بينهما وتتجدد بنفسها كل مرة خمس سنوات أخر ان لم ترفض العاملة بها احدى الدولتين المتعاقدتين قبل ستة أشهر من انتهائها

وتبادل صحح التصديق يكون فى صنعاء فى أقرب مدة ممكنة وبهذه المعاهدة يلغى كل ما قبلها

وتقريراً لذلك وقع المفوضون المشار اليهم امضاءاتهم على المعاهدة هذه ووضعوا

أحتامهم عليها ولهده المعاهدة نسختان أصليتان باللغتين الامهارية والعربية وحيث ان أصل ومنبع اللسانين المشار اليهما متحد فعند اللزوم للتفسير يعتبر النص العربى

وحرر فى صنعاء اليمن فى ١٧ دى الحجة سنة ١٣٥٣ الموافق ٢٣ مارت سنة ١٩٣٥

محمد راغب بن رفيق ليج آبداركه ماساى ساق تورورو مسقل

المعاهدة الايطالية اليمنية

نقلا عن جريدة الايمان التى تصدر فى صنعاء

كان عقد معاهدة ودية بين دولة اليمن الاسلامية المصطفوية وبين الدولة الفخيمة الايطالية وهى أول معاهدة عقدت فرأينا بكل شوق وسرور أن ندرج وننشر تيمناً وتبركا فى جريدتنا هده باول نسخة تصدر منها صورة متن هده المعاهدة لاعلام جميع أهل اليمن عما حوته وكانت المراجعة والتماس المساعدة باطلاعنا على أصلها لنقل صورتها وبعد تمام نقل الصورة كانت الافادة بوقوع تصديق المعاهدة الواقعة من طرف حضرة صاحب الحشمة ملك ايطاليا (فيكتوريو عمانوئيلو) وأنه قد وصل التبليغ الرسمى الى الحضرة الشريفة الهاشمية ونذكر على الوجه الآتى تحت هذا نص متن المعاهدة كما نقلت من الأصل المذكور بحروفها

مادة ١ — تعترف حكومة جلالة ملك ايطاليا باستقلال حكومة اليمن وملكها جلالة الامام يحيى الاستقلال المطلق الكامل ومع هدا فلا تداخل حكومة ايطاليا المشار اليها فى مملكة جلالة ملك اليمن الامام بأى أمر من الأمور التى تناقض ما فى الفقرة الأولى من هده المادة

مادة ٢ — تتعهد الدولتان بتسهيل التبادل فى التجارة بين بلادهما

ماده ٣ — حكومة جلالة ملك اليمن تصرح بانها ترغب أن تجلب طلباتها من ايطاليا وذلك فى الأشياء والآلات الفنية التى تساعد بجلب العائدة فى نمو اقتصاد اليمن ونفعه وكذلك فى الأشخاص الفنيين والحكومة الايطالية تصرح بانها تبذل جهدها

حتى يصير ارسال الأشخاص والآلات الفنية والأشياء بالسب وجه فى الأنواع والأثمان والرواتب

مادة ٤ ــ ما ذكر فى المادة الثانية والثالثة لا يمنع حرية الطرفين فى التجارة والمطلوبات

مادة ٥ ــ ليس لأحد من تجار المملكتين أن يجلب ويتجر فيما تمنعه احدى الدولتين فى بلادها ولكل من الدولتين أن تصادر ما جلب الى بلادها مما تمنع جلبه والتجارة فيه بعد الاشعار

مادة ٦ ــ هذه المعاهدة لا يكون معمولاً بها إلا من حين تصل الى جلالة ملك اليمن الامام يحيى مصدقة من جلالة ملك ايطاليا

مادة ٧ ــ تكون هذه المعاهدة جارية ومعمولاً بها لمدة عشر سنوات من بعد تصديقها كما فى المادة السادسة وقبل انقضاء مدة هذه المعاهدة بستة أشهر اذا أراد الطرفان تبديلها بغيرها أو تمديدها كانت المذاكرة فى ذلك

مادة ٨ ــ ولما حرر فى هذه المواد جلالة ملك اليمن الامام يحيى وسعادة كماليرى غاسبارينى بالوكالة عن ملك ايطاليا قد أمضيا هذه المعاهدة المحررة فى نسختين متطابقتين باللغة العربية والايطالية ولعدم وجود من يعرف الترجمة عن اللغة الايطالية معرفة تامة لدى جلالة ملك اليمن ولأن المفاوضة التى تمت بين الطرفين بعقد الودية التجارية كان التفاهم فيها باللغة العربية ولأن سعادة كماليرى غاسبارينى قد تأكد ان النص العربى هو مطابق للنص الايطالى تماماً لذلك اتفقا انه اذا نشأت شكوك أو اختلاف فى تفسير النصين العربى والايطالى فالطرفان يعتمدان النص العربى وتفسيره باللغة العربية واعتبار هذا شرطاً

معاهدة الطائف بين المملكة اليمانية وبين المملكة العربية السعودية

وقعت فى جده فى السادس من شهر صفر سنة ١٣٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده

نحن الامام يحيى بن محمد حميد الدين ملك المملكة اليمانية بما أنه قد عقدت بيننا وبين حضرة صاحب الجلالة الملك الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية معاهدة صداقة اسلامية وأخوة عربيـة لانهاء حالة الحرب الواقعة لسوء الحظ بيننا وبين جلالته ولتأسيس علاقات الصداقة الاسلامية بين بلادنا ووقعها مندوب مفوض من قبلنا ومندوب مفوض من قبل جلالته وكلاهما حائزان للصلاحية التامة المتقابلة وذلك فى مدينة جده فى اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعـد الثلاثمائة والالف وهى مدرجة مع عهد التحكيم والـكتب الملحقة بها فيما يلى -

معاهدة صداقة اسلامية واخوة عربية

بين المملـكة اليمانية — وبين المملـكة العربية السعودية

حضرة صاحب الجلالة الامام يحيى بن محمد حميد الدين ملك اليمن من جهة

وحضرة صاحب الجلالة الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعـود ملك المملـكة العربية السعودية من جهـة اخرى

رغبة منهما فى انهاء حالة الحرب التى كانت قائمـة لسوء الحظ فيما بينهما وبـين حكومتيهما وشعبيهما ورغبة فى جمع كلمة الامة الاسلامية العربية ورفع شأنها وحفظ كرامتها واستقلالها

ونظراً لضرورة تأسيس علاقات عهدية ثابتة بينهما وبين حكومتيهما وبلاديهما على أساس المنافع المشتركة والمصالح المتبادلة

وحباً فى تثبيت الحدود بين بلاديهما وانشاء علاقات حسن الجوار وروابط الصداقة الاسلامية فيما بينهما وتقوية دعائم السلم والسكينة بين بلاديهما وشعبيهما

ورغبة فى أن يكونا عضداً واحداً أمام الملمات الماحثة وسياناً متراصاً للمحافظة على سلامة الجزيرة العربية قررا عقد معاهدة صداقة اسلامية وأخوة عربية فيما بينهما وانتدبا لذلك الغرض مندوبين مفوضين عنهما وهما

عن حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن

حضرة صاحب السيادة السيد عبد الله بن احمد الوزير

وعن حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية

حضرة صاحب السمو الملكى الأمير خالد بن عبد العزيز نجل جلالته ونائب رئيس مجلس الوكلاء

وقد منح جلالة الملكين لمندوبيهما الآتى الذكر الصلاحية التامة والتفويض المطلق وبعد أن اطلع المندوبان المذكوران على أوراق التفويض التى بيد كل منهما فوجداها موافقة للاصول قررا باسم ملكيهما الاتفاق على المواد الآتية —

المادة الاولى — تنتهى حالة الحرب القائمة بين مملكة اليمن والمملكة العربية السعوديه بمجرد التوقيع على هذه المعاهدة وتنشأ فوراً بين جلالة الملكين وبلاديهما وشعبيهما حالة سلم دائم وصداقة وطيدة وأخوة اسلامية عربية دائمة لايمكن الاخلال بها جميعها أو بعضها وتتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بان يحلا بروح الود والصداقة جميع المنازعات والاختلافات التى قد تقع بينهما وبان يسود علاقتهما روح الاخاء الاسلامى العربى فى سائر المواقف والحالات ويشهدان الله على حسن نواياهما ورغبتهما الصادقة فى الوفاق والاتفاق سراً وعلناً ويرجوان منه سبحانه وتعالى أن يوفقهما وخلفاءهما وورثاءهما وحكومتيهما الى السير على هذه الخطة القويمة التى فيها رضاء الخالق وعز قومهما ودينهما

المادة الثانية — يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر باستقلال

كل من المملكتين استقلالا تاما مطلقا وعلكيته عليها فيعترف حضرة صاحب الجلالة الامام يحيى بن محمد حميد الدين ملك اليمن لحضرة صاحب الجلالة الامام عبد العزيز ولخلفائه الشرعيين باستقلال المملكة العربية السعودية استقلالا تاماً مطلقا وبالملكية على المملكة العربية السعودية ويعترف حضرة صاحب الجلالة الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية لحضرة صاحب الجلالة الامام يحيى ولخلفائه الشرعيين باستقلال مملكة اليمن استقلالا تاماً مطلقاً وبالملكية على مملكة اليمن وسقط كل منهما أي حق يدعيه في قسم أو أقسام من بلاد الآخر خارج الحدود القطعية المبينة في صلب هذه المعاهدة

ان جلالة الامام الملك يحيى يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه باسم الوحدة اليمانية أو غيرها في البلاد التي هي عوجب هذه المعاهدة تادمة للمملكة العربية السعودية من البلاد التي كانت بيد الادارسة أو آل عايض أو في نجران وبلاد يام كما أن جلالة الامام الملك عبد العزيز يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه من حماية أو احتلال أو غيرهما في البلاد التي هي عوجب هذه المعاهدة تابعة لليمن من البلاد التي كانت بيد الأدارسة أو غيرها

المادة الثالثة — يتفق الفريقان الساميان المتعاقدان على الطريقة التي تكون بها الصلات والمراجعات بما فيه حفظ مصالح الطرفين وبما لا ضرر فيه على أيهما على أن لا يكون ما يمنحه أحد الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر أقل مما يمنحه لفريق ثالث ولا يوجب هذا على أي الفريقين أن يمنح الآخر أكثر مما يقابله عثله

المادة الرابعة — خط الحدود الذي يفصل بين بلاد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين موضح بالتفصيل الكافي فيما يلي ويعتبر هذا الخط حداً فاصلاً قطعياً بين البلاد التي تخضع لكل منهما

يبدأ خط الحدود بين المملكتين اعتبارا من النقطة الفاصلة بين ميدي والموسم على ساحل البحر الاحمر الى جبال تهامة في الجهة الشرقية ثم يرجع شمالا الى أن ينتهي

الى الحدود العربية الشمالية التى بين بنى جماعة ومن يقابلهم من جهة الغرب والشمال ثم ينحرف الى جهة الشرق الى أن ينتهى الى ما بين حدود نقعة ووعار التابعتين لقبيلة وائلة وبين حدود يام ثم ينحرف الى أن يبلغ مضيق مروان وعقبة رفادة ثم ينحرف الى جهة الشرق حتى ينتهى من جهة الشرق الى أطراف الحدود بين من عدا يام من همدان ابن زيد ووائلة وغيره وبين يام فكلما عن يمين الخط المذكور الصاعد من النقطة المذكورة التى على ساحل البحر الى منتهى الحدود فى جميع جهات الجبال المذكورة فهو من المملكة اليمانية وكلما هو عن يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية فما هو فى جهة اليمين المذكورة هو ميدى وحرض وبعض قبيلة الحرث والمير وجبال الظاهر وشدا والضيعة وبعض العبادل وجميع بلاد وجبال رازح ومنبه مع غمر وآل مشيخ وجميع بلاد وجبال بنى جماعة وسحار الشام ساد وما يليها ومحل مريصمة من سحار الشام وعموم سحار ونقعة ووعار وعموم وائلة وكذا الفرع مع عقبة نهوقة وعموم من عدا يام ووداعة ظهران من همدان بن زيد هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة وكلما هو بين الجهات المذكورة وما يليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطاً ارتباطاً فعلياً أو تحت ثبوت يد المملكة اليمانية قبل سنة ١٣٥٢ كل ذلك هو فى جهة اليمين فهو من المملكة اليمانية وما هو فى جهة اليسار المذكورة وهو الموسم ووعلان وأكثر الحرث والجوبة والجابرى وأكثر العبادل وجميع فيفا وبنى مالك وبنى حريص وآل تليد وقحطان وظهران وادعة وجميع وادعة ظهران مع مضيق مروان وعقبة رفادة وما خلفهما من جهة الشرق والشمال من يام ونجران والحضن وزور وادعة وسائر من هو فى نجران من وائلة وكلما هو تحت عقبة نهوقة الى أطراف نجران ويام من جهة الشرق هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة وكلما هو بين الجهات المذكورة وما يليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطاً ارتباطاً فعلياً أو تحت ثبوت يد المملكة العربية السعودية قبل سنة ١٣٥٢ كل ذلك هو فى جهة يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية وما ذكر من يام ونجران والحضن وزور وادعه وسائر من هو فى نجران من وائلة فهو بناء على ما كان من تحكيم جلالة الامام يحيى لجلالة الملك

عبد العزيز فى يام والحكم من جلالة الملك عبدالعزيز بأن جميعها تتبع المملكةالعربية السعودية وحيث ان الحصن ورور وادعة ومن هو من وائلة فى نجران هم من وائلةولم يكن دخولهم فى المملكة العربيةالسعودية الا لما ذكر فذلك لايمنعهمولا يمنع اخوانهم وائلة عن التمتع بالصلات والمواصلات والتعاون المعتاد والمتعارف به ثم يمتدهذا الخط من نهاية الحدود المذكورة آنفاً بين أطراف قبائل المملكة العربية السعودية وأطراف من عدا يام من همدان بن زيد وسائر قبائل اليمن فللمملكة اليمانية كل الاطراف والبلاد اليمانية الى منتهى حدود اليمن من جميع الجهات وللمملكة العربية السعودية كل الاطراف والبلاد الى منتهى حدودها من جميع الجهات وكلما ذكر فى هذه المادة من نقط شمال وجنوب وشرق وغرب فهو باعتبار كثرة اتجاه ميل خط الحدود فى اتجاه الجهات المذكور وكثيراً ما يميل لتداخل ما الى كل من المملكتين اما تعيين وتثبيت الخط المذكور وتمييز القبائل وتحديد ديارها على أكمل الوجوه فيكون اجراؤه بواسطة هيئة مؤلفة من عدد متساو من الفريقين بصورة ودية أخوية بدون حيف بحسب العرف والعادة الثابتة عند القبائل

المادة الخامسة - نظراً لرغبة كل من الفريقين الساميين المتعاقدين فى دوام السلم والطمأنينة والسكون وعدم ايجاد أى شىء يشوش الافكار بين المملكتين فانهما يتعهدان تعهداً متقابلا بعدم احداث أى بناء محصن فى مسافة خمسة كيلومترات فى كل جانب من جانبى الحدود فى كل المواقع والجهات على طول خط الحدود

المادة السادسة - تتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بسحب جنده فوراً عن البلاد التى أصبحت بموجب هذه المعاهدة تابعة للفريق الآخر مع صون الاهلين والجند عن كل ضرر

المادة السابعة - تتعهدالفريقان الساميان المتعاقدان بأن يمنع كل منهماأهالى مملكته عن كل ضرر وعدوان على أهالى المملكة الأخرى فى كل جهة وطريق وبأن يمنع الغزو بين أهل البوادى من الطرفين ويرد كل ماثبت أخذه بالتحقيق الشرعى من بعد ابرام هذه المعاهدة وضمان ماتلف وبما يلزم بالشرع فيما وقع من جناية قتل أوجرح

بالعقوبة الحاسمة على من ثبت منهم العدوان ويبطل العمل بهذه المادة ساريا الى أن يوضع بين الفريقين اتفاق آخر لكيفية التحقيق وتقدير الضرر والخسائر

المادة الثامنة — يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين تعهداً متقابلا بأن يمتنعا عن الرجوع للقوة لحل المشكلات بينهما وبأن يعملا جهدهما لحل ما يمكن أن ينشأ بينهما من الاختلاف سواء كان سببه ومنشؤه هذه المعاهدة أو تفسير كل أو بعض موادها أم كان ناشئاً عن أي سبب آخر بالمراجعات الودية وفي حالة عدم امكان التوفيق بهذه الطريقة يتعهد كل منهما بأن يلجأ الى التحكيم الذي توضح شروطه وكيفية طلبه وحصوله في ملحق مرفق بهذه المعاهدة ولهذا الملحق نفس القوة والمفعول اللذين لهذه المعاهدة ويحسب جزأ منها وبعضاً متمماً للكل فيها

المادة التاسعة — يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يمنع بكل ما لديه من الوسائل المادية والمعنوية استعمال بلاده قاعدة ومركزا لاى عمل عدوانى أو شروع فيه أو استعداد له ضد بلاد الفريق الآخر كما انه يتعهد باتخاذ التدابير الآتية بمجرد وصول طلب خطى من حكومة الفريق الآخر وهي

١ — ان كان الساعي في عمل الفساد من رعايا الحكومة المطلوب منها اتخاذ التدابير فبعد التحقيق الشرعي وثبوت ذلك تؤدب فورا من قبل حكومته بالادب الرادع الذي يقضى على فعله ويمنع وقوع أمثاله

٢ — وان كان الساعي في عمل الفساد من رعايا الحكومة الطالبة اتخاذ التدابير فانه يلقى القبض عليه فوراً من قبل الحكومة المطلوب منها ويسلم الى حكومته الطالبة وليس للحكومة المطلوب منها التسليم عذر عن انفاذ الطلب وعليها اتخاذ كافة الاجراآت لمنع فرار الشخص المطلوب أو تمكينه من الهرب وفي الاحوال التي يتمكن فيها الشخص المطلوب من الفرار فان الحكومة التي فر من أراضيها تتعهد بعدم السماح له بالعودة الى اراضيها مرة أخرى وان تمكن من العودة اليها يلقى القبض عليه ويسلم الى حكومته

٣ -' وان كان الساعى فى عمل الفساد من رعايا حكومة ثالثة فان الحكومة المطلوب منها والتى يوجد الشخص على أراضيها تقوم فورا وبمجرد تلقيها الطلب من الحكومة الاخرى بطرده من بلادها وعده شخصا غير مرغوب فيه ويمنع من العودة اليها فى المستقبل

المادة العاشرة — يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم قبول من يفرعن طاعة دولته كبيراً كان أم صغيراً موظفاً كان أم غير موظف فرداً كان أم جماعة ويتخذ كل من الفريقين الساميين المتعاقدين كافة التدابير الفعالة من ادارية وعسكرية وغيرها لمنع دخول هؤلاء الفارين الى حدود بلاده فان تمكن أحدهم أو كلهم من اجتياز خط الحدود بالدخول فى اراضيه فيكون عليه واجب نزع السلاح من الملتجى والقاء القبض عليه وتسليمه الى حكومة بلاد الفار منها وفى حالة عدم امكان القبض عليه تتخذ كافة الوسائل لطرده من البلاد التى لجأ اليها الى بلاد الحكومة التى يتبعها

المادة الحادية عشرة - يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بمنع الامرآء والعمال والموظفين التابعين له من المداخلة باى وجه كان مع رعايا الفريق الآخر بالذات أو بالواسطة ويتعهد باتخاذ كامل التدابير التى تمنع حدوث القلق أو توقع سوء التفاهم بسبب الاعمال المذكورة

المادة الثانية عشرة - يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بان أهل كل جهة من الجهات الصائرة الى الفريق الآخر بموجب هذه المعاهدة رعية لذلك الفريق الآخر

ويتعهد كل منهما بعدم قبول أى شخص أو اشخاص من رعايا الفريق الآخر رعية له الا بموافقة ذلك الفريق وبأن تكون معاملة رعايا كل من الفريقين فى بلاد الفريق الآخر طبقاً للاحكام الشرعية المحلية

المادة الثالثة عشرة - يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين باعلان العفو الشامل الكامل عن سائر الاجرام والاعمال العدائية التى تكون قد ارتكبها فرد أو أفراد من رعايا الفريق الآخر المقيمين فى بلاده (أى فى بلاد الفريق الذى منه اصدار

العفو) كما انه تتعهد باصدار عفو عام شامل كامل عن أفراد رعاياه الذين لجأوا أو انحازوا أو بأى شكل من الاشكال انضموا إلى الفريق الآخر من كل جناية ومال أحدثوا منذ لجأوا الى الفريق الآخر الى عودهم كائناً ما كان وبالغاً ما بلغ وبعدم السماح باجراء أى نوع من الإيذاء أو التعقيب أو التضييق بسبب ذلك الالتجاء أو الانحياز أو الشكل الذى انضموا بموجبه واذا حصل ريب عند أى الفريقين بوقوع شىء مخالف لهذا العهد كان لمن حصل عنده الريب أو الشك من الفريقين مراجعة الفريق الاخر لأجل اجتماع المندوبين الموقعين على هذه المعاهدة وان تعذر على أحدهما الحضور فينيب عنه آخر له كامل الصلاحية والاطلاع على تلك النواحى ممن له كامل الرغبة والعناية بصلاح ذات البين والوفاء بحقوق الطرفين بالحضور لتحقيق الامر حتى لايحصل أى حيف ولا نزاع وما تقرره المندوبان تكون نافذاً

المادة الرابعة عشرة — تتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين برد وتسليم أملاك رعاياه الذين نفى عنهم اليهم أو الى ورثتهم عند رجوعهم الى وطنهم خاضعين لاحكام مملكتهم وكذلك يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بعدم حجر أى شىء من الحقوق والاملاك التى تكون لرعايا الفريق الآخر فى بلاده ولا يعرقل استثمارها أو أى نوع من أنواع التصرفات الشرعية فيها

المادة الخامسة عشرة — تتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم المداخلة مع فريق ثالث سواء كان فرداً أم هيئة أم حكومة أو الاتفاق معه على أى أمر يخل بمصلحة الفريق الآخر أو يضر ببلاده أو يكون من ورائه احداث المشكلات والصعوبات له أو يعرض منافعها ومصالحها أو كيانها للاخطار

المادة السادسة عشرة — يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان اللذان تجمعهما روابط الاخوة الاسلامية والعنصرية العربية ان أمتهما أمة واحدة وانهما لا يريدان باحد شراً وانهما يعملان جهدهما لاجل ترقية شؤون أمتهما فى ظل الطمأنينة والسكون وأن يبذلا وسعهما فى سائر المواقف لما فيه الخير لبلاديهما وأمتهما غير قاصدين بهذا أية عداوة على أية أمة

المادة السابعة عشرة — فى حالة حصول اعتداء خارجى على بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين يتحتم على الفريق الآخر أن يعقد التعهدات الاتية

أولاً — الوقوف على الحياد التام سرا وعلنا

ثانياً — المعاونة الادبية والمعنوية الممكنة

ثالثاً — الشروع فى المذاكرة مع الفريق الاخر لمعرفة أنجع الطرق لضمان سلامة بلاد ذلك الفريق الآخر ومنع الضرر عنها والوقوف فى موقف لا يمكن تأويله بانه تعضيد للمعتدى الخارجى

المادة الثامنة عشرة — فى حالة حصول فتن واعتداءات داخلية فى بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين تتعهد كل منهما تعهدا متقابلا عما يأتى

أولا — اتخاذ التدابير الفعالة اللازمة لعدم تمكين المعتدين أو الثائرين من الاستفادة من أراضيه

ثانياً — منع التجاء اللاجئين الى بلاده وتسليمهم أو طردهم اذا لجأوا اليها كما هو موضح (فى المادة التاسعة والعاشرة أعلاه)

ثالثاً — منع رعاياه من الاشتراك مع المعتدين أو الثائرين وعدم تشجيعهم أوتموينهم

رابعاً — منع الامدادات والأرزاق والمؤن والذخائر عن المعتدين أو الثائرين

المادة التاسعة عشرة — يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان رغبتهما فى عمل كل ممكن لتسهيل المواصلات البريدية والبرقية وتزييد الاتصال بين بلاديهما وتسهيل تبادل السلع والحاصلات الزراعية والتجارية بينهما وفى اجراء مفاوضات تفصيلية من أجل عقد اتفاق جمركى يصون مصالح بلادهما الاقتصاديه بتوحيد الرسوم الجمركية فى عموم البلادين أو بنظام خاص بصورة كافلة لمصالح الطرفين وليس فى هذه المادة ما يقيد حريه أحد الفريقين الساميين المتعاقدين فى أى شىء حتى تم عقد الاتفاق المشار اليه

المادة العشرون — يعلن كل من الفريقين الساميين المتعاقدين استعداده لأن

يأذن لممثليه ومندوبيه فى الخارج ان وجدوا بالنيابة عن الفريق الآخر متى أراد الفريق الآخر ذلك فى أى شيء وفى أى وقت ومن المفهوم أنه حيثما يوجد فى ذلك المحل شخص من كل من الطرفين فى مكان واحد فانهما يتراجعان فيما بينهما لتوحيد خطتهما للعمل العائد لمصلحة البلادين التى هى كلمة واحدة ومن المفهوم أن هذه المادة لا تقيد حرية أحد الجانبين بأى صورة كانت فى أى حق له كما أنه لايمكن أن تفسر بحجر حرية أحدهما أو اضطراره لسلوك هذه الطريقة

المادة الحادية والعشرون — تلغى ما تضمنته الاتفاقية الموقع عليها فى ٥ شعبان سنة ١٣٥٠ على كل حال اعتباراً من تاريخ هذه المعاهدة

المادة الثانية والعشرون — تبرم هذه المعاهدة وتصدق من قبل حضرة صاحبى الجلالة الملكين فى أقرب مدة ممكنة نظراً لمصلحة الطرفين فى ذلك وتصبح نافذة المفعول من تاريخ تبادل قرارات ابرامها مع استثناء مانص عليه فى المادة الأولى من انهاء حالة الحرب بمجرد التوقيع وتظل سارية المفعول مدة عشرين سنة قمرية تامة ويمكن تجديدها أو تعديلها خلال الستة الأشهر التى تسبق تاريخ انتهاء مفعولها فان لم تجدد أو تعدل فى ذلك التاريخ تظل سارية المفعول الى ما بعد ستة أشهر من اعلان أحد الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر رغبته فى التعديل

المادة الثالثة والعشرون — تسمى هذه المعاهدة بمعاهدة الطائف وقد حررت من نسختين باللغة العربية الشريفة بيد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين نسخة واشهاداً بالواقع وضع كل من المندوبين المفوضين توقيعه

وكتب فى مدينة جدة فى اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد المائة والالف

(التوقيع) عبد الله بن أحمد الوزير
(التوقيع) خالد بن عبد العزيز السعود

بسم الله الرحمن الرحيم

عهد التحكيم
بين مملكة اليمن
وبين المملكة العربية السعودية

بما أن حضرة صاحبي الجلالة الامامين الملك يحيى ملك اليمن والملك عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية قد اتفقا بموجب المادة الثامنة من معاهدة الصلح والصداقة وحسن التفاهم المسماه بمعاهدة الطائف والموقع عليها فى السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف على أن يحيلا الى التحكيم أى نزاع أو اختلاف ينشأ عن العلاقات بينهما وبين حكومتيهما وبلاديهما متى عجزت سائر المراجعات الودية عن حله فان الفريقين الساميين المتعاقدين يتعهدان باجراء التحكيم على الصورة المبينة فى المواد الآتية

المادة الأولى — يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يقبل باحالة القضية المتنازع عليها على التحكيم خلال شهر واحد من تاريخ استلام طلب اجراء التحكيم من الفريق الآخر اليه

المادة الثانية — يجرى التحكيم من قبل هيئة مؤلفة من عدد متساو من المحكمين ينتخب كل فريق نصفهم ومن حكم وازع ينتخب باتفاق الفريقين الساميين المتعاقدين وان لم يتفقا على ذلك يرشح كل منهما شخصاً فان قبل أحد الفريقين المرشح الذى يقدمه الفريق الآخر فيصبح وازعا وان لم يمكن الاتفاق على ذلك تجرى القرعة على أيهما يكون وازعاً مع العلم بأن القرعة لا تجرى الا على الاشخاص المقبولين من الطرفين فمن وقعت القرعة عليه أصبح رئيساً لهيئة التحكيم ووازعاً للفصل فى القضية وان لم يحصل الاتفاق على الاشخاص المقبولين من الطرفين تجرى المراجعات فيما بعد الى أن يحصل الاتفاق على ذلك

المادة الثالثة — يجب أن يتم اختيار هيئة التحكيم ورئيسها خلال شهر واحد

من بعد انقضاء الشهر المعين لاجابة الفريق المطلوب منه الموافقة على التحكيم لقبوله لطلب الفريق الآخر وتجتمع هيئة المحكمين فى المكان الذى تم الاتفاق عليه فى مدة لاتزيد عن شهر واحد بعد انقضاء الشهرين المعينين فى أول المادة وعلى هيئة المحكمين أن تعطى حكمها خلال مدة لايمكن بأى حال من الاحوال أن تزيد عن شهر واحد من بعد انقضاء المدة التى عينت للاجتماع كماهو مبين أعلاه ويعطى حكم هيئة التحكيم بالأكثرية ويكون الحكم ملزماً للفريقين ويصبح تنفيذه واجباً بمجرد صدوره وتبليغه ولكل من الفريقين الساميين المتعاقدين أن يعين الشخص أو الاشخاص الذين يريدهم للدفاع عن وجهة نظره أمام هيئة التحكيم وتقديم البيانات والحجج اللازمة لذلك

المادة الرابعة — أجور محكمى كل فريق عليه وأجور رئيس هيئة التحكيم مناصفة بينهما وكذلك الحكم فى نفقات المحاكمة الأخرى

المادة الخامسة — يعتبر هذا العهد جزءاً متمماً لمعاهدة الطائف الموقع عليها فى هذا اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف ويظل سارى المفعول مدة سريان المعاهدة المذكورة وقد حرر هذا من نسختين باللغة العربية يكون بيد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين نسخة وقراراً بذلك جرى توقيعه فى اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف

(التوقيع) عبد الله بن احمد الوزير

(التوقيع) خالد بن عبد العزيز السعود

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر فى ٦ صفر سنة ١٣٥٣

من خالد بن عبد العزيز السعود الى حضرة الأخ صاحب السيادة السيد عبد الله الوزير المندوب المفوض من قبل جلالة الامام يحيى حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله أما بعد فانه بمناسبة توقيع معاهدة الطائف بيننا وبينكم نيابة عن جلالتى ملكى المملكة العربية السعودية والمملكة اليمانية أحب أن أثبت لكم

فى كتابى هذا انه لا يمكن اعتبار تلك المعاهدة وقبول انفاذ مقتضاها إلا فى اثبات ما يأتى

١ ـ أن يجرى تسليم الأدارسة واخلاء جبالنا فى تهامة واطلاق رهائن أهلها حالاً

٢ ـ أن يظل مضمون هذه المعاهدة مكتوما ولا ينشره أحد الفريقين ولا سيما ما تعلق منها بمسألة الحدود لما يحدث ذلك من التشويش فى تهامة خاصة وان انسحاب جند جلالة الملك عبد العزيز يكون بكامل الصيانة والشرف من ابتداء انسحابه الى آخره ، وكل حادث عدوانى عليه فى خلال تلك المدة يكون مضمونا من قبل جلالة الامام يحيى وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ؟

(التوقيع) خالد بن عبد العزيز السعود

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

حرر فى ٦ صفر سنة ١٣٥٣

من عبد الله الوزير الى حضرة صاحب السمو الملكى الامير خالد المفوض من قبل جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله تعالى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد تلقيت كتاب سموكم تاريخ ٦ صفر سنة ١٣٥٣ وقد أحطت علماً بما اشترطتموه سموكم لانفاذ معاهدة الطائف التى عقدت بين الفريقين من تسليم الادارسة واخلاء الجبال التى كانت محتلة من قبل جنود جلالة الامام يحيى من بلاد جلالة الملك عبد العزيز واطلاق رهائن أهلها وأن تظل هذه المعاهدة مكتومة وعلى الاخص مسئلة الحدود الى أن تتم ترتيب الاتفاق الذى اتفقنا عليه لانفاذه وان انسحاب جند جلالة الملك عبدالعزيز يكون بكامل الصيانة والشرف من ابتداء انسحابه الى آخره وان كل حادث عدوانى عليه فى خلال تلك المدة يكون مضمونا من قبل جلالة الامام يحيى لقد أحطت علماً بذلك ويسرنى أن أعلن سموكم بقبولنا وموافقتنا لاشتراطكم وانه سيكون مرعياً من جهتنا وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ؟

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

تحريراً فى ٦ صفر سنة ١٣٥٣

من عبد الله الوزير الى حضرة صاحب السمو الملكى الامير خالد المفوض من

قبل جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله السلام عليكم ورحمة الله وبعد فأتشرف بأن أثبت هنا الحاقا بمعاهدة الطائف الموقع عليها من قبل سموكم نيابة عن جلالة الملك عبد العزيز والموقعة من قبلي نيابة عن جلالة الملك الامام يحي ، وأتعهد باسم جلالة الامام يحي بما هو آت

١ ـ تسليم الادارسة لجلالة الملك عبد العزيز وقد عملت الترتيبات اللازمة لتسليم السيد الحسن والسيد عبد العزيز بن محمد الادريسي وسيسلمون حالا لرحال سمو الامير فيصل فى تهامة ، أما السيد عبد الوهاب الادريسي فطراً لانه لايزال الى الآن فى بلاد العبادل فقد اتحدت الوسائل والوسائط لاستدعائه من تلك الانحاء لتسليمه فان لم يطع الامر فاتعهد باسم جلالة الامام يحي بشأنه بما يأتى

ا ـ أن تمتنع حكومة الامام يحي عن كل مساعدة مادية أو معنوية له وان تمنع عنه من بلادها أى معاضدة أو معاونة

ب ـ اذا ارادت حكومة جلالة الملك عبد العزيز القبض عليه فى الاراضى التى هو فيها فان حكومة الامام يحي ستعمل من جهتها سائر انواع التضييقات العسكرية التى تستطيعها لمنع فراره الى اراضيها وتتعهد أن تلقى القبض عليه وعلى كل شخص اشترك معه فى حركته من أى جهة وقبيل من قبائل المملكة العربية السعودية وأن تسلمهم لحكومة جلالة الملك عبدالعزيز بغير شرط ولاقيد اذا دخلوا الى جهات المملكة اليمانية وأن تمنع فراره أو فرار اى شخص من الذين اشتركوا معه فى عمله الى الخارج اذا دخلوا الى اراضى المملكة اليمانية

٢ ـ أما من كان له تعلق بالادارسة وحركتهم من الاشراف أو غيرهم فاذا ارادوا اللحاق بالادريسي فلهم الامان من قبل حكومة جلالة الملك عبد العزيز والصيانة والاحترام والاكرام اللائق بحقهم واذا لم يشاءوا ذلك فانهم يخرجون من بلاد جلالة الامام يحي ولا تسمح لهم بالبقاء فيها واذا عادوا اليها مرة أخرى فيطردون حالا ويندرون بانهم اذا عادوا اليها يسلمون الى حكومة جلالة الملك عبدالعزيز فان عادوا

بعد طردهم فاتعهد باسم جلالة الامام يحيي بتسليمهم الى حكومة جلالة الملك عبد العزيز بغير قيد ولا شرط

فارجو أن تعتبروا هذا سموكم عهداً وثيقاً له منزلة المعاهدة المعقودة بيننا وبين سموكم بهذا اليوم وعلى هذا عهد الله وميثاقه وأرجو أن يكون هذا طبقاً للاتفاق الشفوى الذى اتفقنا عليه فى هذا الشأن وتفضلوا بقبول فائق الاحترام م؟

(التوقيع) عبد الله بن احمد الوزير

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

حرر فى ٦ صفر سنة ١٣٥٣

من خالد بن عبد العزيز الى حضرة صاحب السيادة الاخ السيد عبد الله بن احمد الوزير المندوب المفوض من قبل جلالة الملك الامام يحيى حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبعد فأتشرف بأن أعلمكم باستلامى كتاب سيادتكم بتاريخ اليوم بشأن ما تعهدتم به باسم جلالة الامام يحيي بشأن الأدارسة وأتباعهم وأنا على ثقة بأن ما تعهدتم به سيكون تنفيذه بمقتضى الامانة والوفاء المأمول فى جلالة الامام يحيي ونتمنى أن يكون تنفيذ ذلك بأسرع مدة ممكنة وتفضلوا بقبول فائق الاحترام م؟

(التوقيع) خالد بن عبد العزيز السعود

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

حرر فى ٦ صفر سنة ١٣٥٣

من خالد بن عبد العزيز الى حضرة المكرم السيد عبد الله الوزير حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فبمناسبة توقيع معاهدة الطائف بين مملكتنا ومملكة اليمن أثبت هنا ما اتفقنا عليه بشأن تنقلات المتنقلين من رعايا المملكة العربية السعودية ورعايا المملكة اليمانية فى البلادين ان التنقل فى الوقت الحاضر يظل على ما كان عليه فى السابق الى أن يوضع بين البلادين اتفاق خاص بشأن الطريقة التى ترى الحكومتان متفقا اتخاذها من أجل تنظيم الانتقال سواء للحج أو التجارة أو

عيرها من الأعراض والمنافع فأرجو أن أنال جوابكم بالموافقة على ما اتفقنا عليه بهذا الشأن وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

(التوقيع) حالد بن عبد العزيز السعود

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر فى ٦ صفر سنة ١٣٥٣

من عبد الله الوزير الى صاحب السمو الملكى الأمير خالد المفوض من قبل جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد تلقيت كتاب سموكم تاريخ ٦ صفر بشأن تنقلات رعايا الفريقين بين البلادين وانى على اتفاق مع سموكم فى أن يكون الانتقال فى الوقت الحاضر طبقاً للطريقة التى كان السير عليها من قبل الى أن يوضع اتفاق خاص بشأن تنظيم الانتقال فى المستقبل وان ذلك سيكون مرعياً من جانب حكومتنا كما هو مرعى من جانب حكومتكم وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

(التوقيع) عبد الله بن احمد الوزير

فبعد أن اطلعنا على هذه المعاهدة السالفة الذكر وعلى عهد التحكيم والكتب التى الحقت بها وأمعنا النظر فيها صدقناها وقبلناها وأقررناها جملة فى مجموعها ومفردة فى كل مادة وفقرة منها كما أننا نصدقها ونبرمها ونتعهد ونعد وعداً ملوكياً صادقاً بأننا سنقوم بحول الله بما ورد فيها ونلاحظه بكمال الأمانة والاخلاص وبأننا لن نسمح بمشيئة الله بالاخلال بها بأى وجه كان طالما نحن قادرون على ذلك وزيادة فى تثبيت صحة كل ما ذكر فيها أمرنا بوضع خاتمنا على هذه الوثيقة ووقعناها بيدنا والله خير الشاهدين

حرر فى اليوم السابع من شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف وهذه أول اتفاقية ومعاهدة بيننا وبين حضرة أخينا جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن م؟

كتب هذا أمير المؤمنين يحيى بن محمد حميد الدين سامحهما الله تعالى

المعاهدة اليمانية العراقية

بسم الله الرحمن الرحيم

رغبة فى تأسيس علاقات صداقة ودية بين مملكتى اليمن والعراق وتمهيداً لتنفيذ مسعى وأمنية زعماء الأمة الاسلامية لتوحيد كلمة الأمة العربية قرر كل من صاحبى الجلالة ملك العراق فيصل الأول بن الملك الحسين وملك اليمن الامام يحيى بن محمد حميد الدين اجراء معاهدة عينا مفوضين عنهما لعقدها وهما

عن صاحب الجلالة ملك العراق صاحب السعادة طه باشا الهاشمى وعن صاحب الجلالة ملك اليمن صاحب الفضيلة القاضى عبد الله العمرى اللذان بعد أن اتفقا على وثائق تفويضهما اتفقا على ما يأتى

المادة الأولى يعترف صاحب الجلالة ملك اليمن بالمملكة العراقية ويعترف صاحب الجلالة ملك العراق بالمملكة اليمنية

المادة الثانية تسود سلم دائم وصداقة وطيدة بين المملكتين المتعاقدتين

المادة الثالثة حررت هذه المعاهدة بنسختين باللغة العربية وتصير نافذة من تاريخ تناولها بعد ابرامها من قبل الملكين المتعاقدين ويجرى التبادل فى المحل الذى يتفق عليه الفريقان

حررت فى صنعاء فى ٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٤٩ تسع وأربعين بعد الثلثمائة وألف هجرية

طه باشا عبدالله بن حسين العمرى

بسم الله الرحمن الرحيم

مماهدة صداقة

بين دولة اليمن ودولة هولانده

حضرة صاحب الجلالة ملك قطعة اليمن المستقلة وحاكمها المطلق الامام يحيى بن الامام محمد بن يحيى حميد الدين المعظم

وحصرة صاحبة الجلالة المعطمة ملـكة بلاد هولانده المستقلة وحا كمتها المطلقة ويلهلمين المبجلة

رغبة منهما فى تأسيس روابط الصـداقة بين الدولين وتوثيق عراها على قاعـدة القوانين الدولية العامة قد قررا عقد معاهدة صداقة ولهذا الغرض عين

من طرف جـلالة ملك اليمن الامام يحيى حصرة الـكاتب الاول لعرش الدولة اليمنية صاحب السعادة القاضى محمد راغب بن رفيق

ومن طرف جلالة ملـكة هولانده حضرة مفوض جلالتها بجدة صاحب السعادة المسيو ك ادريانه مندوبين مفوضين عنهما وقد اتفقا على المواد الآتية

المادة الاولى

يسود بين دولة اليمن ودولةهولانده وبين رعايا كلتا الدولتين سلام لا يغيض وصداقة خالصة مطلقة

الماده الثانية

سيكون من كل من الفريقين الساميين المتعاهدين أنشاء العلاقات السياسية والقنصلية بينهما فى الوقت الذى سيقرران تعيينه وبعد ذلك يتمتع الممثلون السياسيون والقنصليون من كل منهما فى بلاد الدولة الأخرى بالمعامـلة المقررة بمبادئ القانون الدولى العامـة بشرط أن يـكون هذه المعاملة متساويه

المادة الثالثة

كل من رعايا الفريقين الساميين المتعاهدين الذين يقصدون التجارة فى بلاد الفريق الآخر يكونون تابعين للقوانين والاحكام المحلية ويتمتعون بنفس المعاملة التى تتمتع بها رعايا الدولة الأ كثر رعاية من كل الوجوه وكذلك تعامل سفن كل من الفريقين المتعاهدين وشحناتها فى موانى الفريق الآخر بنفس المعاملة التى تتمتع بها سفن الدولة الأ كثر رعاية وشحناتها من كل الوجوه

الماده الرابعة

حاصلات أرض كل من الفريقين المتعاهدين ومصنوعاتها تعامل فى دخولهـا الى

بلاد الفريق الآخر فيما يتعلق بتعيين مقادير الرسوم والضرائب الكمركية وأحدها نفس المعاملة التي تعامل بها حاصلات ومصنوعات الدولة الا كثر رعاية وكذلك تأكيداً لهذا تعامل حاصلات الارض والمصنوعات التي تخرج من بلاد أحد الفريقين الى بلاد الفريق الآخر فيما يتعلق بتعيين مقادير الرسوم والضرائب الكمركية وأحدها نفس المعاملة التي تعامل بها حاصلات الارض والمصنوعات التي تخرج الى بلاد الدولة الا كثر رعاية

المادة الخامسة

قد دونت هذه المعاهدة في نسختين أصليتين متساويتين باللغة العربية واللغة الهولانديه واذا نشأت شكوك في تفسير مادة من المواد أو في تفسير قسم من أي مادة كانت فالطرفان يعتمدان النص العربي ومن حيث انها كانت في ملحقات مملكة هولانده في خارج أوروبا بعض قوانين وأحكام مخالفة لقوانين وأحكام بلاد هولانده في أوروبا قد اتفق الفريقان الساميان المتعاقدان على أن تطبيق هذه المعاهدة فيما يخص دولة هولانده سيكون مقتصرا على بلاد مملكة هولانده الأوروباوية وسيكون ابرامها وتبادل الوثائق بأقرب وقت وتصير نافذة المفعول بمجرد تبادل الوثائق المبرمة وقد اتفق الفريقان المتعاهدان على عقد هذه المعاهدة لمدة خمس سنوات اعتبارا من تاريخ تبادل الوثائق المبرمة على انه اذا أراد أحد الفريقين المتعاهدين الغاء هذه المعاهدة بعد انقضاء مدتها يجب أن يشعر الفريق الآخر بمراده قبل انتهاء المده بستة أشهر والا استمرت هذه المعاهدة ولا تلغى الا بعد مضى ستة أشهر من حين اشعار أحد الفريقين للآخر بارادته الغاءها وتبيانا لهذا قد صار توقيع هذه المعاهدة من حضرتي مفوضي الفريقين المشار اليهما ووضعا أختامهما عليها حرر بصنعاء اليمن لتاريخه ١٥ ذي القعدة سنة ١٣٥١ الموافق ١٢ مارت سنة ١٩٣٣

مندوب مفوض عن جلالة ملكة هولانده

محمد راغب بن رفيق　　　　كورنليس ادريانه

المعاهدة الانكليزية اليمنية

معاهدة الصـداقة والتعاون المتبادل

المقـــدمة

بما أن لجلالة ملك بريطانيا العظمى وايرلندا والممالك البريطانية خلف البحار وقيصر الهند من جهة ولجلالة ملك اليمن حضرة الامام من الجهة الاخرى

رغبة فى الوصول الى معاهـدة على أساس الصداقة والتعـاون لمنفعة الفريقين قد قررا عقد هذه المعاهدة وعينا بصفة المندوبين المفوضين

جلالة ملك بريطانيا العظمى وايرلندا والممالك البريطانية خلف البحار وقيصر الهند

عن بريطانيا العظمى وايرلندا الشمالية حضرة صاحب السعادة اللفتينت كولونل برنارد راودون رايلى س . ى إ و ب إ المحترم

عن الهند كذلك حضرة صاحب السعادة اللفتينت كولونل برناردراودون رايلى س ى إ و ب . إ . المحترم

جلالة ملك اليمن حضرة الامام حضرة صاحب السعادة القاضى محمد راغب بن رفيق حفظه الله

اللذان بعد تبلغ أوراق تفويضهما وتحقيق صحتها على شكل حسن اتفقا على ما يأتى

المادة الاولى — يعترف جلالة ملك بريطانيا العظمى وايرلندا والممالك البريطانية خلف البحار وقيصر الهند باستقلال جلالة ملك اليمن حضرة الامام ومملكته استقلالاً كاملاً مطلقاً فى جميع الامور مهما كان نوعها

المادة الثانية — يسود السلم والصـداقة بين الفريقين المتعاهدين الساميين اللذين يتعهدان بالمحافظة على حسن العلائق بينهما من كل الوجوه

المادة الثالثة — تؤجل البت فى مسئلة الحدود الجنوبية اليمنية الى أن تتم مفاوضات تجرى بينهما قبل انتهاء مدة هذه المعاهدة بما تتراضى الفريقان المتعاهدان الساميان عليه بصورة ودية وباتفاق كامل بدون احداث أى منازعة أو مخالفة والى أن تتم المفاوضات

المشار اليها فى الفقرة السابقة الذكر فالفريقان المتعاهدان الساميان يقبلان أن تبقى الحالة الحاضرة فيما يتعلق بالحدود فى تاريخ التوقيع على هذه المعاهدة ويتعهد الفريقان المتعاهدان الساميان أن يمنعا بكل ما لديهما من الوسائل أى تعد من قواتهما فى الحدود المذكورة وأى تداخل من أتباعهما أو من جانبهما فى تلك الحدود فى شؤون الأهالى القاطنين فى الجانب الآخر من الحدود المذكورة

المادة الرابعة — سيعقد الفريقان المتعاهدان الساميان بعد العمل بالمعاهدة الحاضرة ما يلزم من المعاهدات لتنظيم الأمور التجارية والاقتصادية على أساس المبادئ الدولية العامة مع التراضى والموافقة بينهما

المادة الخامسة (١) رعايا كل من الفريقين المتعاهدين الساميين الذين يقصدون التجارة فى بلاد الفريق الآخر يكونون تابعين للقوانين والاحكام المحلية ويتمتعون بنفس المعاملة التى تتمتع بها رعايا الدولة الاكثر رعاية (٢) كذلك سفن كل من الفريقين المتعاهدين الساميين وشحناتها تتمتع فى موانى الفريق الآخر بنفس المعاملة التى تتمتع بها سفن الدولة الاكثر رعاية وشحناتها وتعامل ركاب تلك السفن فى موانى بلاد الفريق الآخر بنفس ما يعامل به من كان فى سفن الدولة الاكثر رعاية هنالك

(٣) « الغرض بهذه المادة تتعلق بجلالة ملك بريطانيا العظمى وايرلندا والممالك البريطانية خلف البحار وقيصر الهند »

ا — لفظة (بلاد) يعنى أن يعد معناها مملكة بريطانيا العظمى المتحدة وايرلندا الشمالية والهند وجميع مستعمرات جلالته والبلاد المحمية وجميع البلاد المنتدب عليها من قبل حكومة جلالته فى المملكة المتحدة

ب — لفظة (رعايا) يعنى أن يعد معناها جميع رعايا جلالته أينما سكنوا وجميع أهالى البلاد التى تحت حماية جلالته وكذلك جميع الشركات المؤسسة فى أى بلد من بلاد جلالته تعتبر من رعايا جلالته

ج ـ لفظة (سفن) يعنى أن يمد معناها جميع السفن التجارية المسجلة فى أى بلد من بلاد اتحاد الشعوب البريطانية

المادة السادسة ـ هذه المعاهدة تكون أساساً لكل ما يكون الاتفاق عليه من المعاهدات المتتابعة بين الفريقين المتعاهدين الساميين حالاً واستقبالا فى معنى تقوية الوداد والصداقة ويتعهد الفريقان المتعاهدان الساميان بعدم اعطاء المساعدة والمسامحة لأى حركة ضد الوداد والاتفاق القائم الصميم بينهما

المادة السابعة ـ يصادق على هذه المعاهدة بأسرع وقت ممكن بعد التوقيع وتبادل حجج التصديق فى صنعاء ويعمل بها من تاريخ تبادل حجج التصديق وفيما بعد تبقى معمولا بها لمدة أربعين سنة وتقريراً لذلك وقع المندوبان المفوضان المشار اليهما امضاءهما على المعاهدة الحاضرة ووضعا ختومهما عليها وقد نظمت هذه المعاهدة نسختين باللغتين الانكليزية والعربية واذا نشأت شكوك فى تفسير شىء من هذه المواد فالفريقان المتعاهدان الساميان يعتمدان النص العربى وحررت فى صنعاء اليمن فى اليوم ٢٦ من شهر شوال سنة ١٣٥٢ للهجرة تقابله يوم ١١ فبراير سنة ١٩٣٤ للميلاد

(محمد راغب بن رفيق) — (برنارد راودون رايلى)

ايطاليا تمنع اليمن اسلحة عتيقة

لم تف ايطاليا بما جاء فى نص المعاهدة التى عقدتها مع جلالة الامام وهذا دائماً شأن تعاقد الضعيف مع القوى ومثالا على ذلك أن جلالة الامام يحيى طلب منها بنية سليمة صافية شراء بعض الطيارات الحديثة والمدافع الضخمة والرشاشات والبنادق الى غير ذلك من المعدات الحربية والعتاد الحربى مما كان من الحليفة الغيورة على مصالح حليفها الا أن جلبت له طيارات قديمة وغير قابلة للاستعمال ولما طار بها أحد الطيارين فى صنعاء يصحبه واحد من السادة رجال الامام سقطت هذه الطيارة فوراً وقتل السيد والسائق وكان لهذه الحادثة أسوأ وقع فى نفوس اليمانيين وجعلتهم يتخوفون من الطيران والطائرات فلا يقدمون على المجازفة بجلب طيارات ،

ومع حلالة الامام بعثة الطلبة اليمانيين التى دهبت الى ايطاليا لدرس من الطيران والتى عادت الى اليمن أثناء العطلة المدرسية من العودة الى ايطاليا ثانية ويغلب على ظنى أن الطليان تعمدوا بيع طائرات قديمة الى اليمن أولا حتى لاتستفيد حكومة اليمن منها شيئاً وثانياً حتى لاتحاول هذه الحكومة الفتية فى المستقبل شراء الطائرات إذ من البديهى أن ايطاليا الطامعة فى هذا الجزء من البلاد العربية لاترغب أن توجد فيه حكومة قوية لديها معدات حربية صالحة للنزال والقتال كما وان البنادق التى باعها الطليان لليمن قديمة من نوع « شتير » وقد عممت حكومة ايطاليا هذه



حمود الطائفى احد رجال حكومة صنعاء

السادق من النمسا أثناء الحرب العالمية وهي غير صالحة للاستعمال فنياً وكان من الواجب اتلافها وقد فحصت بنفسي عدة سادق منها كان يحملها الجنود وأطلقت بها طلقات عديدة فوجدتها عديمة النفع لا تصيب الهدف لأنها مستعملة كثيراً وقد أضاع داخلها شكله الحلزوني لكثرة الاستعمال وفوهتها توسعت من هذا الاستعمال وهي في حد ذاتها من الأنواع الرديئة ولو كانت جديدة وقد باعت ايطاليا أيضاً معملاً ميكانيكياً (اتليير) قديماً كانت جلبته الى مصوع حين احتلالها لها الى جلالة الامام بثمن باهظ جداً ونقل الى صنعاء وركبه مهندسون ايطاليون وأخذوا يعملون فيه على حساب جلالة الامام وانفقوا على تصليحه وترميمه عشرات الالوف من الريالات ذهبت جميعها جزافاً فلا حول ولا قوة الا بالله

وقد أرسل الايطاليون عملاً بهذه المعاهدة بعثة من الأخصائيين الفنيين الميكانيكيين والمهندسين الى اليمن ولدى استعلامي عن أعضاء هذه البعثة من الكثيرين شكوا الىّ منهم شكوى مريرة وقالوا انهم لا يعرفون شيئاً وانهم يسيئون معاملة الوطنيين وقد شاهدت بعضهم وضعوا مضخة ميكانيكية على غيل بالقرب من صنعاء ليرفعوا ماء هذا الغيل من نبعه الى مجراه الذى يعلو عن النبع أيام القيظ لقلة الماء ولشدة جهلهم رفعوا الماء الى علو خمسة أمتار ثم حدروه الى مجرى الماء أربعة أمتار وكان بوسعهم أن يرفعوه متراً واحدا ويصبوه فى مجرى الماء وبذلك يوفرون عملاً ووقوداً ، وقد لفت نظر واحد من اليمانيين القائمين على سير هذا العمل الى هـذا الأمر فأجابنى ان الحق بيدك وقد لفت نظر المهندس الطلياني غير واحد منا الى هذه العملية الخاسرة فكان نصيبنا التوبيخ

رد الزيارة الى القاضى محمد راغب

قمت فى أحد أيام الجمعة مبكراً وقصدت الى دار القاضي محمد راغب وزير خارجية الامام رداً لزيارته والتحدث اليه عن بعض الأمور واخترت يوم الجمعة لان حكومة اليمن تعطل جميع دوائرها فى هذا اليوم ويقطن حضرة القاضى محمد راغب فى أحد

دور حى نثر العرب الذى سبق لى أن وصفته وصفاً مطولا فاستقبلنى حضرته أستقبالا جميلا ورحب بى بلطفه التركى المشهور وأدبه الجم وأدخلنى الى صالة استقباله وهى فى الدور الثانى وداره جميلة ونظيفة ومرتبة ترتيباً حسناً على طراز دور دمشق القديمة فيها صالون فسيح والى جانبه عدة غرف كبيرة وصغيرة وقدم لى قهوة تركية حلوة مصنوعة من لب البن لا من قشره كما هى العادة فى اليمن فوجدت فيها لذة عظيمة ورأيت فى زاوية من زوايا صالون الاستقبال عودا فقلت الحمد لله ياحضرة الوزير هذا أول عود لا بل أول آلة موسيقية اشاهدها فى اليمن فقال نعم لا يوجد باليمن آلات موسيقية غير موسيقى الجيش لان جلالة الامام قد منع ذلك وهو يحذو فى عمله هذا حذو السلف الصالح ويكره جميع انواع الآلات الموسيقية خلا الموسيقى العسكرية فهو ولوع بها كثيرا لانها تنشط الجند وتخلق فيهم روح النظام والحماس والشجاعة ولذلك فقد سمح جلالته بها دون غيرها من أنواع الموسيقات، قلت يوجد لدىّ جا كى أى « فونوغراف » وكنت أرغب أن أسمع جلالة الامام مارش الجزائر ومارش جلالة الملك فؤاد ملك مصر فقال لا تطلب ذلك من الامام لأنه سيرفض اجابة طلبك بدون شك وهذا العود الذى تراه عندى هو عود قديم كان جلبه ابنى معه من الخارج وعندما يعزف عليه يسجن نفسه فى غرفة بعيـدة عن الطريق ويغلق الأبواب والنوافذ حتى لا يسمعه أحد

تباحثت مع فضيلة القاضى محمد راغب ابحاثاً كثيرة وسألته أسئلة كبيرة وخاصة عن تجارة اليمن مع البلاد العربية المجاورة كنجد والحجاز وحضرموت فقال حضرته ان التجارة فى الماضى مع هذه البلاد كانت أوسع مما هى عليه اليوم وكانت القوافل تروح وتغدو بصورة منتظمة فقلت وهل يوجد طرقات تسير عليها هذه القوافل وهل هى أمينة من السلب والنهب فأجاب بأن الأمن مستتب تماماً فى اليمن وهو كذلك بالحجاز ونجد والقوافل أمينة على حياتها وبضائعها وأما الطرقات فليست معبـــدة ولكنها صالحة للسير فقلت اذكروا لى طريق نجد فقال من صـنعاء الى العمشية صعدة ـ نجران ـ رياض ـ القصيم ـ نجد فالكويت فقلت وطريق الحجاز فقال ان

طريق الحجاز هوطريق الحج وهذا معروف منذ القديم وكان ولا يزال الحج يسير عليه وهو صنعاء ـ عمشية ـ صعدةقحطان ـ ابها ـ زهران ـ غامد ـ طائف مكة. فقلت وطريق حضرموت فقال صنعاء وعلان ـ معبر ـ رداع ـ يريم ـ منزل سمارة ـ مخادر ـ اب ـ ماوية ـ دريجة ـ لحج ـ حضرموت أو عدن

وقد ذكر لى القاضى محمد راغب انه كان أيام الحرب العظمى فى زمن الدولة العثمانية متصرفا على تعز فمنع ارسال الحبوب والغلال والخضر الى عدن فكادت تقع فيها مجاعة وارتفعت أثمان الحاجيات ارتفاعا باهظا وهدد الانكليز فى عدن انهم اذا تجاوزوا على حدود اليمن فانه سيحول مجرى الماء الذى يأتى من الجحرية فى اليمن ويذهب الى لحج (احدى المحميات التسع) فالشيخ عثمان عن مجراه الاصلى الى البحر ولقاء هذا التهديد لم يتجاوز الانكليز حدود عدن بل بالعكس هاجم الترك المحميات التسع وكادوا يحتلون عدن لولا وجود عدة مدرعات حربية أصلتهم نارها الحامية فأكرهتهم على التقهقر عن عدن. وهذاماحدا بالبريطانيين أن يوسعوا حدود محمياتهم ويستميلوا أمراء هذه المحميات بالمال والعطايا

مقتل الحجاج اليمانيين

سنة ١٣٤٠ هجرية

وحدثنى القاضى محمد راغب عن مقتل الحجاج اليمانيين فى سنة ١٣٤٠ هجرية فى مكان يقال له التنومة واقع قبل الطائف بين زهران وغامد وحدثنى أيضاً عن هذه الفاجعة كثير من أهل اليمن بينهم بعض أقارب الحجاج الذين قتلوا فى هذه المجزرة وكان الجميع متفقين فى رواية القصة ولكنهم كانوا مختلفين من جهة عدد الذين قتلوا وعدد الذين سلموا وجميعهم كانوا يسردونها علىّ وعلامات التأثر العميق والحقد الشديد ظاهرة على أسارير وجوههم والبعض كانوا يزعمون أن عدد الحجاج اليابيين من نساء ورجال كان نحو ثمانية آلاف عدا عن ألفى حضرمى وغيرهم من البلاد القريبة من اليمن وبعضهم زعم أن الجميع كانوا ستة آلاف وغيرهم قال لا بل كانوا خمسة آلاف وأما الذين

سلموا فقد قيل انهم سبعة أوخمسة أشخاص فقط والله أعلم وهـذه الحادثة تتلخص فيما يلى

كانت نار الحرب فى سنة ١٣٤٠ هجرية متقدة بين المغفور لهجلالة الملك حسين ملك الحجاز وجلالة الملك عبد العزيز ملك نجد وصادف فى تلك السنة حسب العادة ذهاب الحجاج اليمانيين عن طريق البر لتأدية هذه الفريضـة الدينية وكان الحجاج فى جميع الروايات التى سمعتها عزلا من السلاح الحربى وهم آمنون لا يفكرون فى اعتـداء أحد عليهم ولا يرغبون فى قتال أحد ولما وصـلوا الى التنومة اعترضهم كمين من الاخوان أصحاب الملك ابن سعود وأصـلوهم نارا حامية فلم يسلم منهم الا سبعة أو خمسة أشخاص كانوا متأخرين قليـلا عن رفقائهم وسلب الاخوان جميـع أمتعة هؤلاء الناس وتركوهم ممددين على الثرى وعادوا بغنائمهم فائزين وبانتصارهم فرحين



بعض رجال حكومة صنعاء ونرى فى الوسط السيد حسين عبد القادر عامل صنعاء والى يمينه القاضى حسين المطهر ومحمود الطائفى وعبـد الوهاب نعمان والقاضى لطف الزبيرى ومحمـد الطائفى وعبد القادر بن عبد الله عبد القادر وشرف الدين عبد القادر وغيرهم

ولدى تحري الدقيق في اليمن والحجاز ونجد ومصر مع أناس مسؤولين أي موظفين في هذه الحكومات وواقفين على بواطن الأمور وأناس غير مسؤولين ولكنهم يتسمون حوادث البلاد العربية باهتمام كثير عن الأسباب الحقيقية التي حدت بالاخوان الوهابيين لاغتيال هذا العدد العظيم من الناس وهم ذاهبون الى بيت الله الحرام تحققت أن لبعض الأجانب ضلعاً في هذه المؤامرة وقد كانوا يتوخون منها اثارة الفتنة بين الملك عبدالعزيز والامام يحيي وامتداد نار الحرب من الحجاز الى اليمن . وقالوا لجلالة الملك عبد العزيز بأساليب شتى وعن طرق عديدة وبواسطة أناس كثيرين بأن جلالة الملك حسين رحمه الله استنجد بالامام يحيي ليقاتل معه فاعتذر الامام عن الدخول في الحرب بصورة رسمية علنية ولكنه أوفد هذه الخمسة آلاف أو السبعة آلاف نسمة بصورة حجاج لكي يتطوعوا في الجيش الحجازي ويقاتلوا ابن السعود تحت راية الحسين ويظهر أن جلالة الملك عبدالعزيز قد أخذ بهذه الدعاية الباطلة وأمر جنده من الاخوان بأن يبيدوا هؤلاء الناس عن بكرة أبيهم واني على مثل اليقين أن جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله ما كان ليقدم على هذا الامر لولا خديعة أعداء الاسلام والمسلمين له فلا حول ولا قوة الا بالله

وكان من نتائج مقتل هؤلاء الحجاج أن توترت العلاقات بين صنعاء والرياض وامتنع اليمانيون من تأدية فريضة الحج وحصل أخذ ورد بين جلالة الملك عبد العزيز وجلالة الامام يحيي وذهبت الوفود السعودية الى صنعاء وزارت الوفود اليمانيــة الرياض ومكة لحل هذه المشكلة وغيرها من المشاكل كتسوية بعض الحدود في جهات عسير ونجران ووافق جلالة الملك عبد العزيز على دفع دية الحجاج المقتولين وبقيت هـذه الأمور معلقة الى أن انفجرت الحرب المعلومة بين العاهلين العظيمين وكادت لولا تدخل المسلمين في جميع أقطار المعمورة بينهما وتوسلهم اليهما أن يكفوا عن الحرب تمتد الى جميع أطراف البلاد اليمانية والحجازية النجدية ولا شك أنها كانت تطول جدا ولا يحصد منها الفريقان المتنازعان سوى اراقة الدماء فكلاهما قوي وكلاهما مستعد للحرب ولكننا نحمد الله سبحانه وتعالى الذي أنزل التسامح على قلبي هذين الجارين المسلمين اللذين أسسا ملكيهما بجدهما وكدهما ونرجو من الله أن

يطيل فى بقائهما ليتما الرسالة التى تحملاها ويقوما بخدمة شعبيهما الكريمين اللذين هما أمانة فى عنقهما وعليهما وحدهما تتوقف ترقية شعبيهما ونجاح العرب ولا شك أن المعاهدة التى عقدت بينهما هى قذى فى أعين الخصوم والطامعين

وانى أذكر للتاريخ —وللتاريخ فقط— بأن جميع ما أشاعته الجرائد من انكسار جيوش جلالة الامام هو عارى عن الصحة وبالعكس فقد انتصرت جنود جلالته تحت قيادة ولى عهده صاحب السمو احمد سيف الاسلام على جيوش صاحب السمو الامير سعود فى معركة جبل باقم المشهورة فى حدود نجران وكانت هذه المعركة السبب الحقيقى فى توقف القتال وعقد الهدنة ثم المعاهدة وانى لا أرغب فى الدخول فى تفصيلات وافية فى الحرب النجدية اليمنية لأن ذلك ليس فى مصلحة أحد وأنا من أحرص الناس على تقريب وجهتى نظر العاهلين العظيمين لما فى ذلك من الخير لجميع المسلمين

قنصل أميركا

اجتمعت بالمستر جايمس لودرمارك قنصل اميركا فى عدن عند مارار اليمن ليطلع على احوالها وليقابل جلالة الامام وانجاله وسألته ماذا تم فى المعاهدة اليمانية الاميركية فقال انه لم يتم شىء بعد وهذه المعاهدة هى التى كان قد اقترح عقدها المستر شارلس كرين الاميركى المعروف وتتلخص فى عدة مواد اهمها المواد الآتية

(١) تعترف حكومة الجماهير المتفقة الاميركية المعظمة بالاستقلال الكامل المطلق لجلالة ملك اليمن الامام يحيى ولحكومته فلا يكون لحكومة الجماهير الاميركية المشار اليها أى تدخل فى الامور الادارية والسياسية فى مملكة الامام

(٢) بعقد هذه المعاهدة تؤسس المناسبات الودادية ويحصل تسهيل المعاملات التجارية بين المملكتين

(٣) تعتبر هذه المعاهدة من تاريخ امضائها من جانب الحكومتين فبعد امضائها وتعاطيها يكون كل من تبعة الحكومتين مأذونا بالسير والسفر والتجارة فى المملكتين على ان يكون تابعا فى كل الامور والخصوصات للاصول والمعاملات والنظامات المرعية فى المملكة التى يكون فيها

(٤) هذه المعاهدة تعتبر لمدة عشر سنين على أن تكون قابلة للتحديد والتوسيع بتراضي الطرفين وقد حررت في نسختين عربية وانكليزية وعند اللزوم والاحتياج تكون حكومة جلالة الامام مسؤولة عما في اللغة العربية فقط

وعلمت فيما بعد أن الحكومة الامريكية لم توافق على عقد هذه المعاهدة لان تجارة اميركا في اليمن محدودة جدا وليس لها مصالح اقتصادية أو سواها لتهتم بعقد هذه المعاهدة ولذلك رفضت عقدها بصورة نهائية وباعت ذلك الى قنصلها في عدن

ويظهر في بنود هذه المعاهدة وفي بنود المعاهدة الايطالية اليابانية وغيرهما من المعاهدات حرص جلالة الامام على عدم منح الاجانب الذين يأتون اليمن امتيازاً ما ومعاملتهم طبقا لاحكام اليمن وقوانينه وعلى اعتبار الحكومتين المتعاهدتين متساويتين في الحقوق

وقد علمت بصورة خاصة ان جلالة الامام ما كان ليعقد معاهدة مع ايطاليا لولا



منزل في صنعاء نوافذه من الرخام

حرصه الشديد على جلب سلاح وعتاد من ايطاليا ولم توافق ايطاليا بادئ الامر على أن تجلب له مايطلبه من السلاح الا اذا عقد معها معاهدة ولذلك اضطر جلالته الى عقد المعاهدة السالف ذكرها وعلاوة على ذلك منح الحكومة الايطالية امتيازا باحتكار بيع زيت السكار فى اليمن لمدة خمس سنوات ولكن لما مضت الخمس سنوات ابى جلالته ان يجدد مدة هذه الاتفاقية واصبحت ملغاة وعادت تجارة السكار فصارت حرة وارتفع عنها الحصر واراد الكثيرون من انكلترا والمان وروس ان يحصلوا على اتفاقية جديدة لحصر السكار فرفض جلالة الامام جميع طلباتهم لانه شعر بضرر الاحتكار وضرر الاجانب

وعلى ذكر الاجانب أقول انه لايوجد باليمن اجانب متوطنون ولكن يوجد بعض الاجانب كوكلاء لشركات تجارية أو كاطباء وعمال ميكانيكيين مستخدمين بموجب اتفاقيات خاصة مع حكومة جلالة الامام ولاتتمتع هؤلاء الاجانب بحقوق أو امتيازات خاصة بل جميعهم يخضعون لقانون البلاد واذا ارتكب احدهم جرما يخل بالنظام فانه يحاكم كغيره من أهل سكان البلاد الأصليين أمام المحاكم الوطنيه أى الشرعية ولا يوجد قناصل ولا ممثلون سياسيون للدول الأجنبية وصادف مرة أن ضرب أحد الرعايا الطليان فى صنعاء غلاما صغيراً فألقى القبض عليه وسيق الى المحكمة الشرعية فحكمت عليه بالسجن ثمانية أيام وبالطرد من البلاد كما انها حكمت على أحد معاونى الدكتور الطليانى فى صنعاء، الحبشى الأصل، والايطالى التابعية، بالجلد والطرد من البلاد لأنه شوهد فى حالة السكر الشديد وهو مسلم! ورست مؤخرا الباخرة اليونانية (يوسداس ولماس) فى مياه الحديدة بنقل كازا لبعض التجار اليابانيين وبينما كانت المراكب الشراعية تنقل السكار منها للحديدة غرق ثلاثة من البحارة الوطنيين لاشتداد العاصفة يومئذ وبينما كان العمال ينقلون هذه المشحونات سقط صندوق على أحدهم فمات لفوره وجرح أربعة غيره فأمر عامل الحديدة بتوقيف العمل ومنع المراكب الشراعية من الدنو من الباخرة وباشر التحقيق عن هذه الفاجعة ولما ثبت لديه ان التبعة تقع على عاتق قبطان الباخرة لاهماله حكم على الباخرة بتأدية غرامة الف ومائة ريال دية القتيل وتعويض للجرحى وبعد الحكم حالا وسلم أهل القتيل والجرحى نصيبهم من المال شاكرين عدل العامل وسرعة تنفيذ الحكم

حديث مع وزير داخلية اليمن

مهمة وفد الملك ابن السعود في صنعاء

زارنا ذات يوم القاضي عبد الله العمري وزير داخلية اليمن ورئيس ديوان جلالة الامام وهو نحيف البنية متوسط الطول أبيض اللون جميل الصورة وكان يلبس قفطانا حريريا من صنع بلادنا ويتمنطق بحنبية يمانية مذهبة ، وقد طلبت اليـه أن يسمح لى بأخذ صورته فرفض وقال انه يكره أن يرتسم ولم يسمح لأحد بأخذ صورته وليس ذلك بعجيب فهو يحذو حذو امامه ومليكه فى كل شىء ويعول جلالة الامام عليـه كثيرا ويأخذ رأيه فى جميع شؤون الدولة وعندما يريد جلالته أن يدفع الأجانب الذين يزورون اليمن بطلبات مختلفة بالتى هى أحسن يرسل اليهم القاضى عبد الله العمرى فيتخلص من طلباتهم بأسلوب مرن لطيف دون أن يدعهم يشعرون برد الامام لطلباتهم وقد دار بيننا وبينه حديث بسيط عن جو اليمن وأشجاره وزراعته وعادات أهـله وأخلاقهم وطبائعهم ، ثم تـكلمنا عن السياسة الخارجية وأحوال الممالك المعظمة وكان حضرته متحفظا كثيرا فى حديثه لأنه كان يجهلنا ويجهل الدافع الحقيقى الذى حدا بنا الى زيارة اليمن فلم نلمه على تحفظاته معنا بل بالعكس أ كبرناه وأجللناه وأنزلناه منزلا رفيعا فى نفوسنا وللقاضى عبد الله حساد كثيرون فى اليمن وذلك لاعتماد جلالة الامام عليـه ولتقريبه اياه وهو عالم فاضل شاعر ناثر أديب فقيه يتحلى بجميع صفات الرجولة ومن أبرز هذه الصفات فيه الـكرم والتسامح والاقدام والشجاعة

بعد مضى عدة أيام على هذه الزيارة زرته بدورى فى داره ردا لزيارته فوجدته جالساً فى مكتبه الخاص مع القاضى احمد الآنسى فرحب بى حضرته أجمل ترحيب وأشار الى القاضى أحمـد الآنسى اشارة خفيفة مفهومة فاستأذن القاضى احمـد الآنسى بالانصراف وودعنا وانصرف فخلوت به خـلوة طويلة تحادثنا فيها أحاديث مطولة عن شؤون كثيرة نذكر ولا نـكتب فراد احترامنا له واجلالنا اياه لما وجدناه عليـه

من طيب الاخلاق وحسن النية وبعد النظر ومن البديهي أنه بعد زيارته لنا بحث كثيراً عما بوسائط عديدة فاطمأن الينا وكشف لنا الغطاء عن أمور كنا نجهلها فأ كبرنا فيه الاخلاص لمليكه وبلاده وأمته ولمسنا بأيدينا وشعرنا بجميع حواسنا بحديثنا مع هذا الرجل الفذ بأن الذكاء الطبيعي يفوق العلم والسياسة، وبالرغم من أن هذا الرجل لم يخرج خارج اليمن ولا درس في مدارس راقية عالية في السياسة وغيرها من الفنون والعلوم الاجتماعية فانه يصارع أعظم رجالات السياسة في الشرق في هذا المضمار وله جولات في السياسة وفي العلوم الاجتماعية لم نشاهدها الا في عدد يسير من رجالات الشرق البارزين

سألته عن الامام وعن كيفية الحكم في اليمن فقال ان الامام يحذو في جميع أعماله حذو الأئمة السابقين والخلفاء الراشدين وحكمه اسلامي بحت يستمد قوته ونظامه من القرآن الكريم والحديث الشريف فسألته عن الامامة وشروطها فقال ان الامامة انتخابية وشروطها كثيرة أهمها أن يكون الامام سيداً علوياً مجتهداً كريماً سليم العقل صحيح الجسم شجاعاً مقداما الخ الخ وسألته عن وفد جلالة الملك ابن سعود الذي كان حينئذ في صنعاء وعن مهمته فقال ان هذا الوفد جاء للمجاورة والمفاوضة في الأمور المعلقة بين العاهلين ولم يتم شيء نهائي بينه وبين حكومة الامام فلا يزال الجميع يدرسون هذه الامور بين التساهل والتسامح وقال انه يرجو أن يعود هذا الوفد الى الرياض حاملا بشرى الاتفاق على الأمور المختلف عليها ، وسألته عن المعاهدات التي عقدت مع الدول الاجنبيـة وجلالة الامام ، فقال ان جلالة الامام يرغب رغبة أكيدة بأن تكون علاقاته مع الدول الأجنبية علاقات ود وصداقة وكثير من هذه الدول ترسل رسلا ووفودا خاصة الى اليمن لتعقد مع جلالة الامام معاهدات تجارية ومن البديهي والطبيعي أن يقبل الامام المفاوضة مع هذه الوفود ، واذا تم الاتفاق بينه وبينها حسب رغبته ومشيئته عقد هذه المعاهدات والعكس بالعكس

ودعت القاضي عبد الله بعد هذا الحديث وخرجت من مكتبه فوجدت الى جانب

مكتبه مكتباً خاصاً بالكتبة والموظفين وقد جلسوا الى الأرض وكان أمامهم أوراق كثيرة ومخابرات عديدة أحالها تتعلق بوزارة الداخلية لأن القاضي عبد الله هو وزير الداخلية كما ذكرت آنفاً وقد أوجد لنفسه مكتباً خاصاً في داره لادارة هذه الوزارة وهذا المكتب مرتب أحسن ترتيب وأعماله منظمة كل الانتظام



الى اليمين سيف الاسلام عبد الله والى الشمال سيف الاسلام القاسم ويشغل سيف الاسلام عبد الله الآن وزارة المعارف والزراعة ، ويشغل الاسلام القاسم وزارة البرق والبريد والمواصلات

ساعة مع سيوف الاسلام

اولاد الامام

زارني ذات يوم المدعو علي بن حسين المحمي وهو مربي اولاد الامام وبعد التحية والاستفسار عن صحتنا واحوالنا الى غير ذلك من الأمور المألوفة عند التعارف قال ان أولاد الامام يريدون أن يقابلوني فقلت له على الرحب والسعة فليتفضلوا لمقابلتي في أي وقت يريدون ، فقال كلا هذا ليس بامكانهم لانه لايسمح لهم أن يخرجوا من المكتب

(أى المدرسة) الا فى أوقات خاصة وظروف خاصة فقلت اذاً كيف السبيل الى مقابلتهم ؟ قال اذا شئت أن تتصل معى فانا اقودك اليهم فقلت أليس من الواجب ان احصل على اذن من جلالة الامام قبل هذه المقابلة؟ فقال كلا لا بأس من المقابلة فانت لست غريبا عنا بل أنت عربى مثلنا ومن ديننا ويسمح لك أن تقابل جميع الناس وان تطلع على كل شىء فقلت هيا بنا فلنذهب الى مقابلة اولاد الامام ، فسار امامى وقادنى الى المدرسة العلمية المتوكلية وصعدت واياه الى غرفة فى الدور الثانى خصصت لاولاد الامام فوجدتهم جلوسا على الارض وحولهم كتب خطية كثيره فحييتهم بقولى السلام عليكم فاجابونى وعليكم السلام تفضلوا واجلسوا فجلست بينهم على الارض وأخذوا يتحدثون الى أحاديث مختلفة ويسألونى اسئله كثيرة بعضها يتعلق بمصر والازهر وبعضها يتعلق بسورية وثورتها وسبب فشلها وبعضها عن تركيا ومصطفى كمال الى غير ذلك من الأسئلة والشؤون وكانوا يتكلمون معى بلغة عربية فصيحة فكان التفاهم بيننا سهلا بخلاف التفاهم مع عامة الشعب وسألنى أحدهم عن الآثار والزراعة والقطن وأنواعه وأهم البلاد التى تهتم بزراعته خلاف مصر وجميع أسئلتهم كانت تدل على معرفتهم لامور كثيرة واطلاعهم على سير الحوادث فى هذا العالم واهتمامهم بها كل الاهتمام وسألنى أحدهم عن التصوير وكيفية أخذ الصور واخراجها وطبعها وأرانى آلة من صنع شركة كوداك وأخالها الآلة الوحيدة الموجوده فى اليمن لان اليمانيين لا يهتمون بمثل هذه الشؤون التى يعدونها من الكماليات المكروهة ، وسألونى غير ذلك أسئلة كثيرة فكنت أجيبهم عليها أجوبة مقتضبة فلا يكتفوا بها بل كانوا يستزيدونى فى الايضاحات فسررت جدا من هذه المقابلة ومن التعرف الى أولاد الامام ومشاهدتهم فى مكتبهم وبعدما ودعتهم وانصرفت سألت مربيهم على المحمى عن كيفية معيشتهم فقال لى ان جلالة الامام قد وضعهم فى المدرسة العلمية المتوكلية لكى يختلطوا مع أولاد الشعب ويتربوا تربية شعبية أى ديموقراطية كما نقول نحن وبديهى ان فوائد التربية الشعبية عظيمة جدا لأناس ستكون مقدرات خمسة ملايين من البشر فى أيديهم فضرورى والحالة هذه أن يقفوا على عادات بلادهم وشعبهم ويختلطوا

مع أبناء الشعب ليقفوا على عقليته وميوله فأجبته لا شك ان الامام مصيب فى هذا العمل وسألته بدورى أسئلة كثيرة عنهم هذه أهمها

س — كم عدد أولاد الامام ؟

ج — للامام خمسة عشر ولدا

س — ماهى أسماؤهم ؟

ج — ولى العهد احمد ثم محمد رحمه الله فالحسن والحسين وعلى والقاسم وعبد الله والمطهر وعباس واسماعيل وابراهيم ويحيى ومحسن وشرف الدين ويوسف

س — على من يطلق لقب سيف الاسلام ؟

ج — يقال لجميع أولاد الامام سيوف الاسلام لا فرق بين الواحد والآخر

س — هل يسمح لهم بالخروج من المكتب والاختلاط بالناس ؟

ج — نعم يسمح لهم فى أوقات الفراغ أن يذهبوا حيث أرادوا ويختلطوا بالشعب ولبعضهم ولع فى ركوب الخيل فاذا ما وجدوا فرصة سانحة فانهم يخرجون على خيولهم ويذهبون الى متنزهات صنعاء كالروضة والوادى وغيرهما من الامكنة الجميلة ولبعضهم ولع بركوب العجلات أى البسكليتات العادية والنارية فهى وقت فراغهم يخرجون عليها ولبعضهم ولع بركوب الطيارات وقد طاروا مراراً مع الطيارين الالمان فوق صنعاء وجوارها

س — هل زار ولى العهد البلاد الأجنبية ؟

ج — كلا ولى العهد لم يخرج خارج اليمن ولا زار البلاد الأجنبية ولكن سيف الاسلام محمد (رحمه الله) النجل الثانى للامام ذهب الى مصر وايطاليا وغيرهما من البلاد الاوروبية وقد اصطحب معه وفداً كبيراً مؤلفاً من بعض السادة وزاروا روما وقابلوا جلالة ملك ايطاليا وزعيمها الكبير السينيور موسولينى وعادوا مدهوشين من هذه الزيارة ومما شاهدوه من المعامل والمعارك وخاصة معامل الطيارات والمطارات وقد بذل محمد سيف الاسلام جهده عقيب عودته من ايطاليا باقناع والده بوجوب ارسال بعثة من التلامذة النابهين لتعلم الطيران فى ايطاليا فوافق صاحب الجلالة على

هذه الفكرة وأرسل بعثة مؤلفة من بضعة عشر طالباً الى روما ولا تزال هناك الى هذا اليوم اى الى اليوم الذي جرى هذا الحديث فيه بيني وبين علي العجمي وجلب جلالة الامام عدة طيارات من ايطاليا والمانيا ولكن مع الأسف الشديد فان الطيارات الايطالية جلبت الى الحديدة مشحونة فى صناديق خشبية ومفككة أجزاؤها بعضها عن بعض وعوضاً من أن يركبوها فى الحديدة ويطيروا بها رأساً الى صنعاء حملوها على الحيوانات وأعناق الرجال وقطعوا بها المراحل الوعرة بين الحديدة وصنعاء على هذه الصورة فتحطم معظمها ولا يزال بعضها الى يومنا هذا موجود فى مطار صنعاء ولكنها غير قابلة الاستعمال وأما الالمان فقد جلبوا طائرتين وهما جيدتان للغاية وقد طار بهما الطياران الالمان مراراً بين الحديدة وصنعاء وهم دوماً يطيرون فوق صنعاء وحواليها ويركبون معهم أولاد الامام وغيرهم من الناس

عدت من زيارة أولاد الامام وأنا مدهوش من منظرهم وجلوسهم على الأرض وانكبابهم على الكتب الخطية يطالعون مافى بطونها من علوم وفنون وقلت فى نفسي ان ارسال جلالة الامام أولاده سيوف الاسلام الى المدرسة المتوكلية جميل جدا ولكنه ليس كافياً فهذا العصر أصبح عصر مزاحمة شديدة وباتت الدنيا الواسعة أمام فتح الطيران كرة صغيرة كالكرة التى يلهو بها الاطفال، وأصبح الجنس البشرى مرتبطا بعضه ببعض ارتباطا وثيقاً فالأزمة الاقتصادية فى أميركا مثلا تؤثر فى الحالة الاقتصادية بفرنسا وبريطانيا وايطاليا وألمانيا والعكس بالعكس ولذلك صار من الواجب على ملوك العرب وأمرائهم أن يفكروا فى هذه الأمور وأن يديروا وجوههم شطر العرب فيرسلوا بعثات من أولادهم ورعاياهم الى البلاد العربية ليدرسوا فيها العلوم والفنون الضرورية لترقية بلادهم وتقدمها فهم بحاجة الى زراع ومهندسين وأطباء وصيادلة وعسكريين وغيرهم ولا ضير عليهم مادام لايوجد عندهم مدارس تخرج هؤلاء الاخصائيين أن يرسلوا بعثات من فلذات أكبادهم الى ديار العرب ليتعلموا فى مدارسها ومعاملها هذه الفنون والعلوم واذا كانوا لا يرغبون فى ارسال أولادهم الى العرب فليستعينوا بمصر والشام لتقدما لهم الأطباء والصيادلة والمهندسين والعسكريين والطيارين الخ



الثالث من اليمين سيف الاسلام عبد الله والى يمينه سيف الاسلام القاسم فالسيد عبد الله بن حسين الديلمي عامل ريمه والسيد محمد بن محمد ابراهيم حاكم آنس والى يساره وصنو ملك زكريا المندس الزراعي والقاضي احمد بن احمد الحراقي عامل بلاد البستان وقد خرجوا جميعهم فى رحله زراعية

ان نظرية العزلة التى لا زال أمراؤنا وملوكنا محافظين عليها ظناً منهم انها تبعدهم عن الخطر وتحمى بلادهم من التعديات أصبحت فى هذا العصر عصر الكهرباء والطيران نظرية بالية لا تسمن ولا تغنى من جوع ومتى دقت ساعة الحرب الرهيبة فالجزيرة العربية بأجمعها عرضة لطمع الطامعين وفتح الفاتحين وبديهى ان هذه الجزيرة بما فيها شامها وحجازها ويمنها وعسيرها ونجدها وعراقها هى ضعيفة جداً بالنسبة الى الامم النصف راقية وبديهى أنها مطموع فيها من قبل الاجانب والدول المعظمة ولكن من حسن حظها أن هذه الدول المعظمة مختلفة فى الرأى وغير متفقة على ابتلاع الاجزاء المستقلة من هذه الجزيرة ، ولولا اختلافها لكانت هذه الأجزاء المستقلة ترزح تحت النير الأجنبى كبقية الأجزاء المحتلة وليعلم سادتنا الامراء والملوك بأن وسائط الدفاع الاولية التى يملكونها لا تصد غارة الفاتحين عن بلادهم ولا ترد هجمات الطائرات

والغارات السامة والميكروبات الفتاكة فلا يفل الحديد الا الحديد فعليهم أن يعدوا للامر عدته لأن العالم على قاب قوسين أو أدنى من حرب عالمية لا يعلم مداها ولا ميدانها الا الله.

حبا للعرب وتفانيا في خدمتهم وغيرتنا عليهم حملتنا على توجيه هذا الكلام لملوكهم وأمرائهم ، واننا نرجو من هؤلاء الملوك والامراء أن يطرحوا التنابذ والشقاق ويسدلوا حجابا على الماضي بما فيه من سيئات وذكريات أليمة ويدفنوا الضغائن والحزازات الشخصية ويبذلوا جهودا جديدة صادقة في التفاهم والاتحاد وعقد معاهدات هجومية دفاعية استعدادا للطوارئ والا فسوف يندمون ولات ساعة مندم

وبعد مقابلتي الاولى للاولاد الامام سنة ١٩٢٧ عدت فقابلت بعضهم في رحلتي الأخيرة سنة ١٩٣٦ فوجدتهم قد بلغوا سن الرشد وتقلدوا بعض المناصب الوزارية وغيرها فقاموا بها خير قيام مثالا على ذلك ان سيف الاسلام عبدالله تولى وزارة المعارف والزراعة فعنى بها عناية شديدة واستقدم مهندسا زراعيا من دمشق الشام يدعى وصفى بك زكريا واستقدم أساتذة للمعارف وصار يطوف بنفسه في البلاد برفقة المهندس ويدرس الأراضي والمزروعات عن كثب ويصدر أوامره للعمال بلزوم اتباع وصايا المهندس وتعليماته وقد طبع عدة كراريس زراعية وزعها على الفلاحين مجاناً وقد بذل جهده أيضاً في تعميم التعليم ونشره في جميع أطراف البلاد وذلك بافتتاح مدارس كثيرة في جميع الجهات ، وأرسل عدة بعثات من الطلبة الى العراق

وتولى سيف الإسلام القاسم إدارة البرق والبريد والمواصلات فأدار شؤونها على أحسن حال واهتم بتعبيد الطرقات وتم في عهده دخول اليمن في البريد الدولي واشتراكه في (الكابلو) أي التلغراف الدولي أيضاً فصار بالامكان أن يخابر المرء جميع أطراف العالم من اليمن بعد ما كان ذلك متعذراً لاستئثار شركة ماركوني بالمخابرات وحدها

وتولى سيف الاسلام الحسن والحسين وغيرهما من اخوتهما إدارة بعض المقاطعات بصفة عمال من قبل حضرة صاحب الجلالة والدهم المعظم وقد أظهروا جميعهم مقدرة زائدة وإدارة حسنة وجميع الأهلين يثنون عليهم أعطر الثناء لذلك يسرني أن أسجل لهم هذا الاعتراف تقديراً لجهودهم وأعمالهم

بعثة الطيران

وقد صادف مرة اثناء عودتى من صنعاء الى الحديدة أن وصلتها بعثة الطلبة الطيارين اليابيين التى بوهت عنها عائدة من ايطاليا وكانوا جميعهم يلبسون ألبسة الطيران ويضعون على اكتافهم ورؤوسهم شارات الطيارين وكان منطرهم (بدلاتهم) العسكرية جميلا جداً وقد تحدثت الى بعضهم فوجدتهم مدهوشين من ايطاليا وعظمتها و بناياتها الضخمة ومدنها الكبيرة ومدنيتها العظيمة فسألتهم اذا كانوا قد تعلموا هذا الفن (أى فن الطيران) فاجابونى بانهم قد مارسوه كثيرا وانهم طاروا مرارا وصار فى امكانهم أن يطيروا بانفسهم من دون أن يرافقهم أحد من الطيارين الطليان وبعضهم اتقن فن الميكانيك فى الطائرات وبوسعه أن يركب الطيارة بدون مساعدة أحد سررت جدا من هذا الفوز العظيم الذى احرزه هؤلاء الطلاب النجباء فى برهة وجيزة ولكن ويالالاسف لم يتموا دروسهم لسقوط أحدى الطائرات فى صنعاء كما قلت سابقا ولكنى بالرغم من هذه الحادثة لفت نظر جلالة الامام الى وجوب استعمال سلاح الطيران فى جيشه المنصور لأن سلاح الطيران لا يرد اعتداء الطامعين فى البلاد فقط بل يمكن استعماله فى تأمين الامن فى أطراف البلاد النائية وخاصة بين القبائل التى لا تزال الى اليوم شبه مستقلة وغير طائعة تماما لحكم الامام

القاضى حسين المطهر
والزراعة فى اليمن

اجتمعت فى أحد الايام ـ بينما كنت أتجول فى أسواق صنعاء ـ بالقاضى حسين مطهر فدعانى إلى زيارته فى داره بئر العزب والقاضى المطهر هو أحد الكتاب فى المخيم المنصور ومن المقربين لجلالة الامام فلبيت دعوته مسرورا فقادنى إلى غرفة استقباله أمام الشادروان أى (النوافير) فجلسنا نتجاذب أطراف الحديث وظهر لى من حديث حضرته انه عالم بالشؤون الزراعية ورأيت عنده كمية من القطن (السكلاريدس) الذى لا ينمو الا فى مصر وأميركا فسألته من أين جلب هذا القطن ، فقال انه من زرع

اليمن فقد اهتم جلالة الامام بزراعة القطن وجلب أنواعاً متعددة من البذور (ويقولون للبذور فى اليمن الصيب) من مصر وأميركا فنجح قطن السكلاريدس نجاحاً باهرا فى الوديان الواطئة كالخيمة الخارجية والروضة والجوف وغيرها من الأماكن ولذلك أعطى



القاضى حسين المطهر

الامام كمية وافرة من البذر للمزارعين والفلاحين لكى يعمموا زراعة القطن وقدجلب لهم محلجاً خاصاً لحلج القطن و(حزمه) بالآلات ، وأوصى أحد التجار الاميركيين فى عدن المدعو المستر (هولبرج) ليجلب له محالج فنية حديثة من أميركا ولا شك فى

ان رراعة القطن تردهر اردهاوا عطيا فى اليمن وتعود على أهله بالخيرات الوفيرة ادا عممت فى جميع المناطق لان اقليم اليمن وهواءه وحرارته ومياهه وأرضه هدا كله يساعد على نجاح القطن كل المساعدة فحدير بأهل الحل والعقد أن لا يصرفوا نظرهم عن هدا المورد الرراعى العظيم

وقد حضر فى أثناء زيارتى للقاضى حسين مطهر أحد شرفاء بلاد الجوف وصاحب العيل (أى النهر) المعروف بعيل مراد ويدعى الشريف فيصل بن على جار الله فقدمه لى القاضى حسين فسألته عن بلاده وأحواله فقال انا ولله الحمد على أحسن حال ولكن بلادنا فقيرة ونحن فقراء وجهال ولا نعرف كيف نستفيد من أرضنا فقلت له علمت من القاضى المطهر بان أرضكم تصلح لزراعة القطن ومن المعلوم ان رراعة القطن رراعة رابحة فلمادا لا تكثرون من رراعته، فأعاد قوله انا فقراء ولا نملك من الوسائل الزراعية ما يساعدنا على تنمية رراعة القطن وغيره من المرروعات، ولما سألت القاضى المطهر عن حقيقة هدا الرجل على انفراد وهل هو فقير كما يدعى؟ فأجابنى كلا ليس هدا الرجل بالفقير فهو يملك أرضاً واسعة وعنده الخدم والحشم والجوارى والخيل والإبل ولكنه كغيره من شيوخ القبائل كسول وكسول جداً ويفضل أن ينام على الطوى على أن يبدل جهوداً فى الكد والعمل المنتج وأظن ان القاضى المطهر على حق فى شكواه من أمراء البدو وشيوخهم لانى شاهدت فى طوايف البلاد اليمانية فى رحلاتى الثلاث أراضى جيده جداً وقابلة لزراعة كل شىء ولكنها مع الأسف خالية من المرروعات لخمول أصحابها البدو

وحباً فى منفعة اليمن وأهله اورد ههنا بعض الملاحظات الرراعية على سبيل المثال عسى أن يهتم بها أولو الحل والعقد فأقول

ان بلاد تهامة وهى السهل المعروف الممتد من ساحل البحر الاحمر حتى الجبال تصلح لغرس جميع أنواع النخل ويوجد فيها الماء بكثرة تحت الأرض على أبعاد مختلفة ويمكن استخراجه ورفعه الى سطح الأرض بواسطة المضخات الهوائية أو الموتورات الميكانيكية وتصلح أيضاً لزرع جميع أنواع الدرة والسمسم وسفح الجبال القريبة من

تهامة والممتدة من الشمال الى الجنوب على مئات الكيلو مترات تصلح بكل تأكيد لغرس البرتقال والليمون الحامض والحلو والكباد والنارنج وجميع أنواع الحمص وقد شاهدت فى بعض الأماكن شيئاً من هذه الأشجار ينمو دون اعتناء أحد به والجبال والوديان المرتفعة تصلح لغرس (السكو) والنور وجميع أنواع أشجار الأحراج كالسنديان وغيره هذا عدا البن الذى يغرس فيهما ولكن بالامكان زيادة غرسه كثيرا وتصلح فى السهول والمرتفعات (بلاتو) الواقعة فوق الجبال المحيطة بتهامة والتى تؤلف سطح اليمن الحقيقى غرس جميع أنواع الأشجار المثمرة والقطن والكتان والقنب، وقد أخذت معى مرة شيئاً من بذر القنب جلبته من دمشق وغرسته فى أراضى الصافية بالقرب من صنعاء فنبتوا نجيباً ولكن بعض الناس قال لجلالة الامام بأن الحشيش يصنع من القنب فأمر جلالته بعدم زرعه ، وقد غرسنا أيضاً أنواعاً مختلفة من بزر الكتان فى أرض الصافية فنجحت نجاحاً عظيما ولكن جاء الجراد بكثرة فى تلك السنة فاكلها بأجمعها ومن الغريب فى اليمن ان الناس لا يجزعون ولا يستاءون من قدوم الجراد



احد افراد بعثة الطلبة التى سافرت الى العراق يلقى خطابا فى صنعاء بحضور وزير المعارف سيف الاسلام عبد الله يوم سفر البعثة

وقد شاهدتهم دات يوم يخرجون الى مسافات بعيدة عن صنعاء حيث كان الجراد يهاجم بعض المزروعات ويجمعونه بكثرة زائدة وينقلونه الى صنعاء بفرح وسرور لما رأيتهم على هذه الحال قلت أ أنتم مسرورون والجراد يأ كل مزروعاتكم ؟ فقالوا نعم نحن مسرورون به فهو يأ كل مزروعاتنا ونحن نأ كله ونخزنه في دورنا من السنة الى السنة

وتصلح زراعة الأرز في سهل جهران الذي يبعد عن صنعاء نحو ٣٠ كيلو مترا كما تصلح زراعة الأرز في أراضي الجوف وغيرها من الأراضي الكثيرة المياه ولكن ويا للاسف لم يهتم اليمانيون برغم جهود امامهم وحكومتهم لترقيه الزراعة الاهتمام الكافى الذي قد يعود عليهم بالأرباح الطائلة لأن بلاد اليمن من أخصب بلاد العالم ولا ينقصها سوى العلم والاجتهاد ، وجلالة الامام يبذل جهودا حسنة في ترقية الزراعة ولكن من الواجب على الشعب أيضاً أن يؤازر امامه وحكومته لتحصل الفائدة المطلوبة ، وتصلح زراعة التتن والتنباك في معظم أصقاع اليمن وقدشاهدت بعض الانواع الرديئة من التتن والتنباك مغروسة في بعض الجهات ولكن يمكن تعميمها بصورة واسعة فتعود على البلاد بفائده عظيمة لأن اليمانيين يستعملون هذين الصنفين استعمالا عظيما ويجلبون منها كميات كبيرة جدا فلو كانوا يجلبون بذورا من العجم وتركيا ويعممون هذه الزراعة لأصبحوا عما قريب مصدرين للتتن والتنباك لا المستوردين وبذلك يخدمون أنفسهم وبلادهم خدمه جليلة ويستغنون عن الغير كما هي الحال في جميع بلاد العالم

المعادن والثروه العامة

من المعلوم لدى الخاص والعام ان منبعي الثروة العامة في هذه الدنيا هما الزراعة والمعادن وقد حدثت القارئ الكريم عن زراعة اليمن وبينت له امكان تنميتها وتوسيعها كثيرا والآن احدثه عن النبع الثاني وهو المعادن فاقول

يدعى اليمانيون ان جميع انواع المعادن موجودة في اليمن كالذهب والفضة والرصاص

والطلق والنحاس والفحم الحجرى والملح الخ الخ وقد حدثنى أحد امراء العرب فى سبأ ومارب عن المعادن قال يوجد عندنا بالقرب من قصر بلقيس جبل عظيم فيه ذهب ويوجد فى شعب دحر (اسم مكان فى مارب) الرصاص والكبريت وكلما أردنا شيئاً منهما لاستعمالنا الخاص نحمل رزماً كبيرة من الحطب الى الأماكن الموجودة فيها هذه المعادن ونضرم النار فى الحطب فيسيل من تحت النار الرصاص أوالكبريت فنرش السائل بالماء حتى يبرد ويشكل قطعا كبيرة أو صغيرة من الرصاص والكبريت الصافى ، وتوجد فى بعض الاودية التى كانت تجرى فيها سيول عظيمة فى سالف الايام ، رمال ناعمة وكثيرا ما نأخذ هذه الرمال ونغسلها بالماء ونغربلها بغرابيل ناعمة مملوءة بالماء ونستحصل منها على كميات جزئية من الذهب

ولاشك أن الامير المأربى صادق فى روايته وهذه الطرائق التى يستعملونها لاخراج الكبريت والرصاص والذهب لا يزال معمولا بها الى هذا اليوم ومستعملة فى اخراج هذه المعادن بصورة موضعية جزئية ومن البديهى انها لا تعود بالارباح الطائلة فلو أن الامام اهتم بهذه المعادن وجلب مهندسين فنيين معدنيين لاستفاد فائدة عظيمة

وقد حدثنا المرحوم محمد سيف الاسلام عن المعادن فى اليمن فقال يوجد فى جبل مسوار فى بنى العزى (توتية) وأهل البلاد هنالك يذوبونها بطرقهم البسيطة ويستعملونها فى صناعة الآنية وغيرها ويوجد فى اطراف جبال العراس مما يلى الروضة (اللمبيوم) ويوجد فى جبال حولان وكحلان وعمران وهوبة من جبال بلاد حجة الطلق ويسميه اليابيون ايضاً دراهم الجن ويقول له الانكليز (ذهب المجانين) ويوجد ايضاً فى هذه الجبال النحاس وهو معدن من معادن الحديد

ويوجد فى أسفل جبال الطمير الرصاص والكحل وهو ملح من املاح الرصاص ايضاو يحمله البدو ويبيعونه فى الاسواق التجارية بصنعاء وغيرها من المدن ويوجد الكحل ايضاً بالسودة وجبال بنى حبيش والشاهل ويوجد فى جبال مسور وفى الاعروش من بلاد حولان السلموح ويستعمله الاهلون لقطع الزجاج ويوجد فى عروق السلموح الذهب ويقال للسلموح بالانكليزية (كورتز) ويوجد الحديد بكثرة فى بلاد صعده وفى

ريحا وفى الجوف ويوجد النحاس بالقرب من ميدى وقد حدثنا أناس كثيرون عن المعادن وأماكنها ووجودها بكثرة فى جميع جبال اليمن ولكن أحاديثهم كان مبالغاً فيها كثيراً لانهم لايعرفون حقيقة المعادن ومن البديهى أن معرفة المعادن معرفة صحيحة تحتاج الى فنيين واحصائيين درسوا هذا العلم درسا طويلا ومارسوه ممارسة عملية فعلية لا نظرية وقد ذكر بعض الكتاب عن معادن اليمن فصولا طويلة فى كتبهم انقل للقارئ الكريم بعضها ليقف عليها عقد الشيخ عبد الواسع بن يحيي الواسعى اليمانى فصلا عن المعادن جاء فيه قوله « معدن (بحث) فى ديار بنى كلاب ومعدن بيشا ومعدن (قضاعة) وذهب حولان الوارد ذكره فى التوراة باسم حويلة وكثير من المعادن غيره (كالحفير) ناحية عمانة وهو معدن ذهب غزير ومعدن (الصبيب) عن يسار هضلت القليب ومعدن (الثنية) ثنية بن عاصم الباهلى ومعدن (العوسجه) ثم معدن الفضة ومعدن (بياس) ومعدن (العقيق) ومعدن (الحجة) ومعدن (العمق) فى افيعة ومعدن (الحجيرة) ومعدن بنى سلم ومعدن الذهب فى الرصراص ومعدن الفضة بالجمة ومعدن النحاس قرب سوق الاثنين تجد الجبل ا كثره يلمع صفرة وترابه أصفر براق ويوجد فى اليمن الفحم الحجرى والبترول

«ويوجد العقيق بأنواعه وألوانه بآنس وبالجدب ناحية بحلان فى بلاد البستان وفى جبل بلاد الروس أو سنحان وجبل فى سعوان وبشهارة وفى عشار بحاشد حسب الاهنوم ويوجد باليمن البلور والاحجار النفيسة التى يعمل منها نصل السيوف والسكاكين وبجبل نقم هضم النون والقاف جبل مشرف على صنعاء فيه عدة معادن من الحديد والطلق وحجر أبيض لماع يشبه حجر ألماس وقل ان تجد بينهما فرقاً وبجبل نقم الموميا وأهل اليمن يقولون ميميا يقطر فى كهف وله منافع جمة أطنب الشيخ داود فى وصفه تمنع سيلان الجرح وجبر الكسر وتحبس الدم» تبين للقارئ الكريم من هذا البحث صحة نظريتى بعدم فهم عامة الناس للمعادن وادراك كنه حقيقتها وكما قلت سابقاً ان معرفة المعادن تحتاج الى احصائيين وتتميما للفائدة أقول ان المستر شارلس كرين الاميركى المشهور والصديق المخلص للعرب زار اليمن وسر من اجتماعه بجلالة الامام وتكريم

الامام له تكريماً عديم النظر فشاء أن يقابل الحسنة بالحسنة فأوفد لجلالة الامام بعض المهندسين على نفقته الخاصة ليساعدوه فى تخطيط الطرق وفى البحث عن المعادن ولما وصلوا الى صنعاء أمر جلالة الامام عمــاله فى جميع أطراف اليمن أن يحملوا نماذج من المعادن الموجودة فى مناطقهم فحملوا منها شيئاً كثيراً أعطاه جلالتــه الى المهندسين ، وبعد أن درسها المهندسون درساً علمياً فنياً قدم أحدهم المدعو المســتر تونشل تقريراً مطو

تقرير المستر تونشل عن المعادن

حضرة صاحب الجلالة الامام يحيى حميد الدين ملك اليمن المعظم

لى الشرف أن اعرض لجلالتــكم ما يأتى

انى أعجبت كثيراً بالأحجار المعدنيــة التى أرسلت لنا للمرة الأولى صــباح يوم الاثنين وأعجبت أيضاً بالتى أرسلت لنا هذا اليوم ويتضح لى منها أن أوامركم وبياناتــكم إلى عمالــكم الــكرام كانت طبق المرام لانهم أحسنوا انتخاب جميع ما أرســلوه وقد تبين لى من فحص هذه الحجارة ان الامل قوى جدا فى الاستفادة من خمسة أنواع منهـا وربما تصلح هذه المعادن الخمسة لفتح مناجم خاصة بها وما وجودها الا دليل أكيد على وجود غيرها بجوارها ، والمعادن الخمسة الجيدة هى (١) كرافيت (٢) موليبدنيت (٣) هماتيت (٤) تتراهدرت (٥) ميكا أى طلق ويستعمل الــكرافيت فى صناعة أقلام الرصاص ويستعمل الموليبدنيت فى صناعة أجود أنواع الفولاذ القاسى ويستعمل الهماتيت لاستخراج الحــديد ويحتوى التتراهدرت على النحــاس والــكبريت والانتيمون وبعض الاحيان توجد معه الفضة ومتى حللنا هذا المعدن تحليــلا كيماويا يتبين لنا موجوداته وأما قطعة الميكا اى الطلق التى أرسلت لنا فصغيرة وعديمة الفائدة لصغرها ولــكنها متى كانت كبيرة الحجم فتجد أسواقا متعددة لبيعها وربما نتمكن اذا حفرنا بالقرب من المــكان الذى وجدت فيه هذه القطعة أن نجد قطعاً كبيرة وعلى كل الأحوال يتبين لنا من وجود هذه القطعة الصغيرة وجود كميات كثيرة منها ولا يمكن

للناظر الى هذه القطع من المعادن أن يعرف حقيقة ثمنها كما انه لايمكن للناظر الى بعض شعرات مسلوخة عن ذيل جواد كريم أن يقدر منها قيمة ذلك الجواد ولكنها على كل الاحوال تعتبر دليلا على وجود المعادن والمعادن تحتاج الى كشفها لاعين خبيرة مفتوحة تفرق بين الغث والسمين وهذا يتطلب مشاهدتنا هذه الأماكن عن كثب وعندئذ يمكنني أن أقول لجلالتكم ماذا يجب عمله للاستفادة من هذه المعادن وربما احتاج فى فحص هذه الأماكن الى القيام بحفريات فى بعض المواقع مدة أسبوع أو أكثر ومن البديهى أن كثيرا من المعادن توجد بكميات قليلة وهذه لاتقوم بنفقات استخراجها وانى سأكون سعيداً جداً اذا شاهدت هذه الاماكن بنفسى حتى أتمكن من تقديم تقرير شاف لجلالتكم عنها

وقد أرسل لنا أيضاً كيس صغير فيه مادة ترابية ناعمة براقة تبدو للعيان كالذهب الوهاج ولكنها مع الأسف ليست بذهب بل هى نوع من أنواع الميكا (طلق) وليست ذات قيمة صناعية أو تجارية أصلا وقد جلب لى كثير من العربيين المتعلمين فى اوربا نفس هذه المادة الترابية متوهمين أنها ذهب وقد جلبوا لنا اليوم أيضاً نوعاً أملس ناعما من الصخر يقال له (شلر) وفى بعض الأحيان توجد ربت الكار فى هذه الطبقة الصخرية وأما الأحجار التى جلبت لنا فلا توجد فيها ربت ولكنها تدل على امكان وجود الكار فيها وقد وصلنى الى يوم أمس من جلالتكم كيس صغير فيه أربعة أنواع من الأحجار المعدنية ويوجد فى واحدة منها قشرة كبريتية واذ وجد وقود رخيص بقربها أى (حطب) فبوسعى أن أطلعكم على طريقة عملية سهلة يمكنكم بواسطتها أن تحصلوا على زهر الكبريت ويستعمل زهر الكبريت كما لا يخفى عليكم فى صناعة البارود وفى قتل الحشرات المضرة التى تلحق بالكروم واذا سمحتم لى أن أشاهد المكان الذى جلبت منه هذه الأحجار فمن امكانى أن أخبركم اذا كان يوجد حوله أفضل منه أم لا وفى امكانى أيضاً أن أعلمكم اذا كانت الكمية الموجودة جديرة بالاهتمام أم لا

والقطعة الحجرية المعدنية الثانية التى ارسلت مع القطعة المار ذكرها يقال لها « الجيربت » وهى ذات ذرات ناعمة ومسلوخة عن عرق كبير ويوجد فيها النحاس

و « الكروميوم » أحد معادن الحديد وانى اقدم لجلالتكم قطعة من هذا المعدن وكيساً صغيراً راجيا أن تأمروا من يلزم بملء هذا الكيس والاستفهام عن المكان الذى حلت منه هذه القطعة وعن عرضه وطوله وارتفاعه فاذا كانت الكمية الموجودة منه وافرة فيمكن أن يباع هذا المعدن فى خارج اليمن من أجل نحاسه وحديده .

واما القطعة الثالثة فهى معدن من معادن الحديد يقال له « بيريت » ويوجد مع الحديد قليل من النحاس وانى مقدم لجلالتكم كيساً صغيراً راجياً أن تأمروا من يلزم كى يملأه من نفس المكان الذى حلت منه هذه القطعة مع بيان طوله وعرضه وارتفاعه . ويستعمل هذا المعدن أى « بيريت الحديد » فى صناعة حامض الكبريت الذى اذا خلط مع ماء النار وكليسرين الف نوعاً من أنواع المفرقعات (ديناميت) القوية ولكن قبل كل شىء يجب أن نشاهد المكان لنتحقق من الكمية الموجودة فيه لنعلم اذا كانت جديرة بالاستخراج أم لا اذ من البديهى أن المعادن لا تكون جديرة بالاستخراج ما لم تتوفر فيها أولا جودة النوع وثانياً كميته وانى أرى من الضرورى البحث فى جوار هذا المكان الموجود فيه الحديد والتحرى عن غيره من المعادن لأنه فى كثير من الأحيان توجد فى ناحية واحدة أكثر من نوع واحد من المعادن ويظهر لى من جميع هذه النماذج المعدنية التى حلت لى من أطراف البلاد ان اليمن غنية بمعادنها ويمكن الاستفادة من هذه المعادن الى مدى بعيد ولكن يجب فى بادىء الأمر البحث فى جميع الجهات والتفتيش عن الأماكن التى توجد فيها المعادن بكثرة فاذا شاء جلالة الامام أن يسمح لى بأن أقوم بهذا التفتيش بنفسى فانى رهن اشارته

بعد أن قدم المستر توتشل هذا التقرير إلى جلالة الامام ورأى جلالته أن هذا المهندس خبير بالمعادن أمره بالذهاب الى الصليف ودرس المملحة الكبيرة الموجودة هناك والصليف اسم لمكان على شاطىء البحر الاحمر بعد عن الحديدة نحو سبعين كيلو مترا الى الشمال وفيه مملحة عظيمة كان الترك أيام الدولة العثمانية يستخرجون منها الملح بصورة مكبرة ويبيعونه فى داخل اليمن وخارجه وأما اليوم فقد أهمل شأن هذه المملحة وصار الأهلون يأتونها ويأخذون حاجتهم منها ويستعملونها استعمالاً موضعياً

ذهب المستر توتشل بصحبة أحد المصريين من أصدقاء المرحوم محمد سيف الاسلام الذين يتقنون الانكليزية الى الصليف ودرس المكان درساً علمياً فنياً وقدم لجلالة الامام تقريراً اضافياً عنه يقع في عشرين صفحة ومن أهم ما جاء فيه أن هذه الملحة عظيمة وعميقه جدا وملحها من أجود أنواع الملح في العالم ويوجد بالقرب من هذه الملحة طبقات جيولجية من أحجار « الشلر » وهذه تشير في بعض الأحيان الى وجود البترول ولدى البحث والدرس وجد المستر توتشل أنه ربما يوجد بترول في هذه الطبقات ثم عاد حضرته الى بلاده وسعي مع بعض الشركات الأميركية على مساعدته في الحصول على امتياز لاستخراج الملح والمعادن في اليمن وقد لبت احدى الشركات طلبه وأوفدته الى اليمن ليعقد مع جلالة الامام اتفاقية لاستخراج معادن اليمن فعاد الى اليمن مسرعاً وقدم الى جلالة الامام مشروع اتفاقية هذا نصها

اتفاقية لاستخراج المعادن
واستثمار مملحة الصليف

١ ـ نحن الامام يحيي ملك اليمن وحكومتنا نتفق مع المستر توتشل ورفاقه بأن نؤجره شبه جزيرة الصليف بمافيها رأس عرب لمدة تسع وتسعين سنة ويدخل في هذا الايجار كل شيء فوق سطح الأرض وتحت سطحها وقيمة هذا الايجار ألف ريال امامي سنويا أو مايعادل هذه القيمة ويدفع هذا الايجار كل سنة ويعتبر ابتداؤه من اليوم الذى تم فيه التوقيع على هذه الاتفاقية

٢ ـ تكون الامام وذريته شركاء بهذه الشركة فيمنح لهم عشر رأس مالها أى بالمائة عشرة من مجموعه ، ويمكن للامام أن يتصرف بهذا الرأسمال كما يشاء فاذا شاء احتفظ به واذا شاء بيعه باعه فلا يعارضه أحد بذلك بل له الخيار أن يتصرف به حسب ارادته فلا مانع يمنعه من رهنه لعقد بعض القروض وإذا احتفظ به فله الحق باستيفاء الارباح

٣ ـ تدفع الشركة ضريبة جمركية على جميع ماتصدره إلى الخارج وقدرها ثلاثة

فى المائة وتدفع هذه الضريبة إلى حكومة اليمن أو إلى من يمثلها فى مدة لاتزيد على سنة واحدة من تاريخ شحن الصادرات

٤ ـ لاتضع حكومة اليمن ضريبة جمركية ولا غيرها من الضرائب على جميع المعدات اللازمة فى الصليف ولا تضع أيضاً ضرائب على جميع الأشياء التى تستأجرها أو تستعملها هذه الشركة ولا تضع ضرائب على الأشياء التى يستوردها الاميركيون المستخدمون فى الصليف وعلى كل أمتعتهم وحاجياتهم

٥ ـ تساعد الشركة الحكومة اليمانية فى انشاء حديقتين من حدائق التجارب الزراعية التى تقيمها الحكومة اليمانية ومتى أحدث الشركة تربح من منجمها فى الصليف تقوم هى نفسها لغرس حقل للتجارب الزراعيه خاص بها

٦ ـ تهتم الشركة بالبحث عن المعادن بالاشتراك مع الحكومة المحلية فاذا عثرت على منجم مناسب فتستخرج منه المعدن بنفس الشروط التى تشترطها بالصليف

٧ ـ لا يستخدم فى الوظائف الادارية وفى الوظائف الفنية أحـــد من غير الاميركيين والعرب

٨ ـ تعتبر هذه الاتفاقية جارية على الدوام الا انه إذا مضى سنة واحدة بعد توقيعها من الطرفين ولم تباشر الشركة فى العمل فتكون ملغية

٩ ـ يكون صاحب الجلالة الامام يحيى ملك اليمن أو من يعتمده جلالته نائباً عنه عضواً عاملا فى هيأة الشركة الادارية «وانى أتمنى لو يكون صاحب السمو محمد سيف الإسلام نائباً عن صاحب الجلالة والده الامام»

١٠ ـ نحن الموقعين أدناه نوافق على الشروط المبينة أعلاه بدون أقل تحفظ كما هى مكتوبة فى اللغة العربية المترجمة الى الانـكليزية

ويبـــدو لجلالتكم مما تقدم فى هذه الاتفاقية أنه بوجود هذه الشركة الاميركية تربحون ، جلالتكم ، أرباحا لا يستهان بها دون أن تنفقوا درهماً واحداً وسيخصكم من الربح عشرة بالمائة وسيخص حكومتكم ثلاثة بالمئة ضريبة جمركية ، واذا وجدنا بعض المعادن الاخرى وتمكنا من استخراجها فتزداد عائدات الحـكومة بنسبة زيادتها وانا نوجه نظر جلالتكم مرة ثانيه الى ان هذا العمل لا يكلف جلالتكم ولا حكومتكم

شيئاً من النفقات ولا من التعب والعناء بل يعود عليكم بالفائدة ويفتح باباً للعمل واسعاً لليمانيين وغيرهم من رجالات العرب وإذا تم توقيع جلالتكم على هذه الاتفاقية فانى مستعد أن أباشر العمل بالصليف فوراً وبعد مباشرة العمل أذهب الى الهند لأحد سوق البيع الملح وأعقد هنالك مع التجار بعض عقود البيع ثم أعود الى أميركا فابتاع جميع الادوات اللازمة لمباشرة العمل وأجلب معى بعض الرجال الاميركيين الفنيين

انى لا أرى فى اقتراحاتى هذه على جلالتكم غير الفائدة المحسمة الاكيدة لكم ولشعبكم ولا أعتقد أنه توجد نقابة ما تعرف أحوال اليمن فتقدم على مساعدته وترقيته كما نحن قادمون ولا أظن أمة من الامم تخلو من الاغراض ولا تكون خطرة على البلاد كالامة الاميركية كما انى لا أظن انه توجد هيأة أميركية ترغب فى الاشتغال باليمن دون الاستعانة بى والاستفادة بمعلوماتى وخبرتى ولذلك رجائى اليكم أن تعقدوا هذه الاتفاقية بأسرع ما يمكن لان السرعة فى عقدها تعود على الجميع بالسرعة فى الارباح والتأخير فى عقدها يضيع علينا وعليكم هذه الأرباح

وزبدة القول وخلاصته أن هذه الاتفاقية فيها منافع سريعة وأكيدة أذكر لجلالتكم بعضها على سبيل التمثيل

١ ـ ايجاد عمل لثلاثين رجلا اليوم ولثلاث مائة رجل حين وصول آلات المنجم وأدواته الى اليمن

٢ ـ تقديم تقرير من قبلى ومن قبل شركتى الى حكومة الولايات المتحدة واعلامها خبر تأسيس هذه الشركة والطلب اليها بأن تعقد معاهدة تجارية مع جلالتكم

٣ ـ نشر الدعايات الصحيحة فى الجرائد الاميركية والعربية لليمن

٤ ـ تعبيد طريق من الحديدة الى الصليف يمكن للسيارات أن تسير عليها بسهولة

٥ ـ تخطيط الطريق من الحديدة الى رأس الكثيب

٦ ـ ملاحظة الحدائق الزراعية للتجارب الفنية فى الحديدة وصنعاء

٧ ـ تقديم المساعدة الفنية لتعبيد الطرق ما بين الحديدة وصنعاء عن طريق معبر

٨ ـ زيادة نفوذ اليمن فى العالم السياسى وصيانة هذا النفوذ بوجود بعض المصالح الاميركية واكتساب صداقة الحكومة الاميركية وودها

امام اليمن يحذر أساليب المستعمرين

قدم المستر توتشل صورة هذه الاتفاقية الى حلالة الامام مصحوبة بمذكرة خاصة حاء فيها ذكر المنافع التى أوردتها للقارئ الكريم ويظهر أن المستر توتشل كان يريد أن يشوق الامام لعقد هذه الاتفاقية بالمشروعات الزراعية والعمرانية والاقتصادية طناً منه أن هذه المشروعات ستغريه بالموافقة على هذه الاتفاقية ولكن حلالة الامام حفظه الله ادرك بذكائه العجيب ما كان يحول فى خاطر المهندس الأميركى ورفض الموافقة على عقد هذه الاتفاقية وفى حديث خاص جرى بينى وبين حلالته عن الاتفاقيات الاجنبية بصورة عامة صرح لى بانه يخشى كثيراً أن يعقد أى اتفاقية مع الأجانب لان هـذه الاتفاقيات ستكون يوما ما فى جملة الأسباب التى تحدو بالاجانب الى التدخل فى شؤون اليمن وانى أعتقد كل الاعتقـاد بأن حلالة الامام على حق فيما يقول ومثل الشعوب الضعيفة مع الشعوب القوية هو كمثل الحمل مع الذئب فبوسع الذئب أن يقول للحمل فى كل لحظة أنت عكرت علىّ الماء وقد شاهدنا نحن المحكومين من الأجانب قبـل دخولهم الى بلادنا أنهم كانوا دوماً يقولون بأن لهم منافع وأنهم مربوطون بهذه البلاد بتقاليد خاصة وبمصالح اقتصـادية ولذلك فهم مضطرون بحكم الضرورة والمصلحة الى التدخل بشؤونها للمحافظة على مصالحهم وعلى أرواح رعاياهم

وقد قلت لحـلالة الامام ما دمتم لا ترغبون فى منح أحد من الأجانب امتيـازاً فالواجب يقضى عليـكم بان لا تهملوا هـذه الثروة العظيمة التى منّ الله بها عليـكم فبوسعكم أن تجلبوا مهندسين معدنيين من الاجانب وتعقدوا معهم عقوداً وتخصصوا لهم معاشات ونفقات وتستخرجوا معادنكم بانفسكم وتستثمروا مملحة الصليف على نفقتكم فقال نعم يمكننا أن نعمل ذلك ان شـاء الله ولم يمض وقت طويل على حديثى هذا مع حلالته حتى أمر حلالته نجله محمد سيف الاسلام عامل الحديدة بالاهتمام بمملحة

الصليف وبالحال حلف محمد سيف الاسلام رحمه الله عادح من ملح الصليف وأرسلها الى عدن والهند وغيرها من البلاد ليبحث عن أسواق الملح المهمة وكان فى بيته أن يوسع العمل بالصليف توسيعاً كبيراً ولكن الأجل المحتوم وافاه قبل أن يحقق هذه الامنية

احمد سيف الاسلام

أتانى مساء أحد الأيام عقيب وصولى الى صنعاء قائد الروضى مأمور الاعاشة وكانت علامات الفرح والسرور بادية على محياه فقلت أهلا بالروضى ان شاء الله تحمل لنا بشرى جميلة فأجاب نعم بشرى جميلة وجميلة جدا فاستعدوا للغد فقلت خيرا ان شاء الله فقال غداً سيصل الى صنعاء ولى العهد سيدى احمد سيف الاسلام وجميع الناس فرحون مسرورون لأنه مضى على سيدى احمد عدة سنوات لم يأت حلالها الى صنعاء فقلت هل تحب سيف الاسلام ؟ فأجاب اى والله انى أحبه لأنه كريم وشجاع ومحسن للناس فقلت ومتى يصل ؟ فأجاب الظهر أو قبل الظهر ولكن يجب عليكم ان كنتم ترغبون فى مشاهدته حين وصوله أن تخرجوا مع الناس خارج صنعاء مبكرين لئلا يحصر مبكراً ولا تروه فقلت انى أشكرك ياقائد على هذه البشرى وانى سأكون سعيداً بمشاهدة سيف الاسلام ولى عهد الامام وسأخرج مع الناس غداً صباحاً ان شاء الله وانى أرغب أن اصور سيف الاسلام واصور مواكب المستقبلين فأجاب لا احال سيف الاسلام يسمح لك أن تصوره لأنه كوالده الامام لا يحب التصوير ولكن لا بأس بتصوير الجنود والمواكب وودعنى بعد هذا الحديث وانصرف وهو يقول لى الى اللقاء غداً خارج صنعاء فقلت الى اللقاء !

وفى صباح اليوم الثانى الأربعاء الواقع فى ٦ كانون الثانى سنة ١٩٢٧ خرجنا فى عربة يجرها حصان واحد أرسلها لنا جلالة الامام فركبناها باسم الله الى خارج صنعاء الى مسافة ساعة واحدة عنها تقريباً لنشاهد استقبال صاحب السمو احمد سيف الاسلام ولى عهد اليمن وقد رأينا فى طريقنا أفواج الأهالى على اختلاف طبقاتهم الفوح

تلو الفوج يتسابقون الى مكان الاستقبال والبشر والسرور باديان على وجوههم كأنهم فى يوم عيد عظيم وكان الجيش المتوكلى فى عدته وعدده ويبلغ عدده نحو الى حـدى يسير مع امرائه وضباطه فى طليعة القوم وكان يسير خلفه طلبة المدارس الحربية والعلمية



احد الاسواق فى صنعاء

المتوكلية ودار الأيتام وجاء خلف تلامذة المدارس أولاد الامام سيوف الاسلام يتبعهم خلق كثير من العلماء والسادات والقضاة والحاشية سار هذا الجمع الحاشد الى مسافة ساعة عن صنعاء ثم توقف فى سهل فسيح كأنه البحر سطحه المـاء وموجه النـاس

يتسابقون ذات اليمين وذات اليسار وبعد انتظارنا فى هذا السهل نحو ثلاث ساعات أقبل سيف الاسلام ولى عهد الامام بموكبه العظيم يمشى فى ركابه جمع غفير من السادة والعلماء وشيوخ عشائر التهامة كقبائل الواعظات وعبس وبنى بشر وجحود وبنى قيس وبنى مروان وغيرهم وقد سألت عن أسماء بعض هؤلاء الشيوخ فذكروا لى اسم محمد بن حيدر النعمى والسيد عبده هيج والشيخ محمد بن طاهر رضوان والشيخ على بن محمد الحميسى وما كادت أعين الناس تبصر ولى العهد حتى تراكضوا اليه وأخذوا يقبلون يديه ويسلمون عليه وأخذ الجند أيضاً سلامه ثم سار الموكب نحو صنعاء تتقدم الجموع موكب سيف الاسلام ولى العهد وتتبعه اخوانه سيوف الاسلام أولاد الامام ويتبعهم العلماء والسادة والناس على اختلاف طبقاتهم

وقد ألقى أحد الأفاضل قصيدة عامرة بين يدى صاحب السمو جاء فيها

بشدتك يا ذكا البشرى أعيدى — حديث سنا الهناء لنا وزيدى
وجودى باللطائف من أمانى — قلوب من رجاها أن تجودى
وهى كالنسيم على ضلوع — براها للقـا شوق العميد
وبا فكرى وأنت رفيق نفسى — وما حق الرفيق سوى الأكيد
أقم حفلات أنسك واغتنمها — مسرات تعز على الوجود
وأسمع ما عليها صوت مدح — يلين للطفـه قلب الكنود
وأرسلهـا بيوتاً عامرات — لهـا فى السمع رنات النقود
وفاء فالوفاء أحـل شيء — يدين به فتى الرأى السديد
بحق قدوم ملك أى ملك — يلوح بوجهه سعد السعود
وتنتسب المعالى والعـوالى — اليـه نسبة الملك الوحيـد
وتهواه المناقب ساعيات — اليه سعى ذى العطش الشديد
وتفتخر المواكب إذ تراه — تميس عليه خافقة البنود
وتخدمه الفتوح وترتضيه — لهـا مولى وهن من العبيد
وتلثم كمه الافلاك علما — بمـا فى اللثم من شرف عتيد

الى ماشئت من أوصاف مجد ... مجيد الدهر كالعقد الفريد
حواها شخصها العالى وصاغت ... بها الارجاء من عظم مشيد
ولاحت فى فم الدنيا ابتساما ... وحليا فوق لبات وجيد
وحاولت الكواكب فى سماها ... فحارت دونها سبق الصعود
وقال البدر ما ان من سبيل ... الى هذا العلو المستزيد
وما سيف الخلافة سيف عمرو ... ولكن سيف ذى العرش المجيد
فما السيف الصقيل أشد منه ... مضاء فى التهائم والنجود
ولا أسد الشرى تحكيه بأساً ... وأدنى بأسه معنى الاسود
ولم تكن القوافى والمعانى ... وان نظمت صفوفا كالجنود
وسيقت زمرة بأجل مما ... به طفرت عيون عن شهود
من الكف الندى الى مرايا ... براها الله من كرم وجود
مرايا لو ذكرن على مريض ... لأدرك روح عافية السعيد
ولو كسيت بها سود الليالى ... لعادت وهى بيضاء البرود
وهاك حديث أحمد عن سجايا ... معاليه عن المسعى الحميد
فمسند أحمد فيها صحيح ... ومروى الجدود مع الحفيد
معارف كالغطمطم زاخرات ... وأخلاق من الروض المجود
وقلب بالمكارم ذو ولوع ... وبالانصاف فى جهد جهيد
تبارك من براه من المعالى ... وجاء به على هذا الوجود
وأودع ذاته سراً خفياً ... بديع الصنع محمود الورود
واتخذا عقدمه المفدى ... على وفق الفخامة والمزيد
ولو انا وصفنا منه جزءاً ... لا بعد كل مقدور المجيد
ومن طابت أرومته بطه ... وطالت بالائمة والجدود
وكان أبوه أى امام حق ... فقدر علاه فوق ثنا القصيد
امام الحق باعوث البرايا ... وعصمة ربنا المبدى المعيد

ومن دانت لهيبتـه معد وقحطـان على وفر العديد
أعدد فى سيك العز صيداً تذوب بيأسهم زبر الحديد
ولا سيما الأمير أبو العطايا صفى الدين عطريف الحدود
فـكم فتحت به أقفـال قطر ومد بعزمه منصوب طود

الى أن يقول ·

ولا زالت مناقبكم عقوداً على الأيام كالدر النضيد
وأبدملكـكم مااخضر دوح ودام زمانـكم أيام عيد

ولشدة ازدحام الناس حول ولى العهد يوم استقباله لم أتمـكن من الوصول اليه حتى ولا من رؤيته جيـداً ، ولمـا عدت الى صنعاء وقابلت وزير الخارجية القاضى محمد راغب وطلبت اليه أن يستأذن لى من سمو ولى العهد ويعرب له عن رغبتى فى مقابلته، ولما طلب ذلك اليه القاضى لم يتحل على سموه بالمقابلة وحدد موعدها صباحا بحو الساعة التاسعة وفى الوقت المعين ذهبت الى غرفة القاضى محمد راغب فى المخيم المنصور فقادنى حضرته الى غرفة فى ردهة المخيم أعدت خصيصاً لسيف الاسلام وضيوفه ووزواره فى أثناء اقامته بصنعاء ، ولم يكد يستقر بنا المقام طويلا فى هذه الغرفة حتى جاءنا أحد الحجاب وقال المولى سيف الاسلام قادم فنهضنا وقوفاً حين سماعنا هذه العبارة واذا بولى عهد اليمن يدخل علينا ويحيينا بقوله السلام عليـكم فرددنا وعليكم السلام والرحمة والا كرام ، وصافحناه مصافحة ودية قلبية صميمية وشعرت حينما وضعت يدى بيده كأنى لمست تياراً كهربائياً ونظرت بعينيه فاذا بهما تفيضان مغنطيساً وشجاعة ولاأذكر انى قابلت رجلا فى حياتى ولمست الشجاعة فيه لمساً كما لمستها فى ولى عهد اليمن أحمد سيف الاسلام فان كل شىء فيه يدل على النبل والبسالة وقد لوحت الشمس وجهه الـكريم فزادته جمالا على جمال وكسته لوناً جذابا وهو قوى البنية عصبى المزاج ربع القامة ليس فيـه شىء من السمنة يرتدى ثوبا حريريا مصـنوعا من صنايات بـلادنا وتمنطق بجنبية يمانية فاخرة ويحمل سيفاً صقيلا مذهباً من صنع اليمن ويتعمم بعمامـة بديعة ، وما كاد سموه يجلس حتى أذن لنا بالجلوس ، فقلت ابن سعيد حـبذاً يا صاحب السمو

بهذه المقابلة التي تكرمتم بها علينا وانى أحمد الله على وصولكم بالسلامة وأتوسل اليه أن يقيكم دخراً وسنداً للشعب اليانى وللامة العربيــة فأجاب أشكركم على هــذه العواطف وأطلب من الله أن يحفظكم ويعز الاســلام والمسلمين ، فقلت ان الاسلام والمسلمين يذوقون أنواع العذاب فى جميع أقطار المعمــور وما ذلك الا لــتركهم دينــهم وتمسكهم بدنياهم، فقال لاحول ولا قوة الا بالله ، وأنتم كيف حالكم . ومن أين أتيتم؟ وأين بلادكم، فقلت انى أتيت من مصر وبلادى الشام وحالها كحالى بالويل والثبــور ، فقال والقــدس كيف هى الآن ؟ فقلت تسير من سىء الى أســوأ وتبتاعها اليهود من أصحابها المسلمين شــيئاً فشيئاً ، وسوف لا يمضى زمن طويل الا وتخرج جميع اراضى فلسطين من يد أهلها وتدخــل فى حوزة اليهود، فقال ولماذا تبيــع المسلمون أرضهم ؟ وهل يضغط عليهم أحد فى بيعها ؟ فقلت كلالا يضغط على المسلمين أحد فى بيع أرضهم ولــكن الطمع والمال يدفعان بالناس الى أحضان اليهود فيبيعونهم تراث الآباء والاجداد بحطام بخس من حطام هذه الدنيا

وهنا بدت على محيا الأمير العظيم أمارات الغضب وقال (انا لله وانااليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله) ثم أردف قائلا وكيف وجــدتم اليمن ؟ وهل تتضايقون من البرد ؟ فقلت أما البرد فانى لا أتضايق منه لأنى ألفته منذ نعومة أظفارى وبلدى دمشق الشام هى أبرد من صنعاء وأمااليمن فانى أغبط أهله على نعمة الحرية والاستقلال التى ينعمون بها وهم لا يشعرون والحرية والاستقلال لا يعرف قيمتهما الا من فقدهما كالصحة والعافية لا يقــدرهما المرء الا متى دب المرض الى جسمه وأما مساح اليمن وجباله ووديانه وأنهاره وأطياره فــكلها جميلة وكلها تثير الاعجاب وقبــل أن أزور اليمن كنت أسمع عنها أشياء كثيرة لاتتفق مع الحقيقة فى شىء مثلا كان يقال لنا ان البيضــة اذا وضعت فى الشمس (تشوى) حالا واذا خرج المرء من داره فلا يأمن على حياته الى غير ذلك من الأقوال غير الصحيحةوهذا الهراء فى القول ناتج عن عدم قيــام الدولة العثمانية واليمانيين بدعاية صحيحة عن اليمن ، وياحبذا لو كنتم سموكم الآن تهتمون بهذا الشأن فقال لايوجد عندى من الوقت متسع للقيام بدعايات لا احالها

تميدنا فى قليل أو كثير . فقلت كلا يامولاى ان للدعاية تأثيراً قويا وخاصـة عن بلاد يجهلها العالم جهلا تاما كاليمن ولايعرف ماذا يجرى فيها وكما أيام الدولة العثمانية لا نعرف عن اليمن الا أنها مقبرة للجنود العثمانيين وهنا تبسم سمو الأمير ابتسامة النصر وقال نعم لقد كان اليمن مقبره لجنود الدولة لأن هذه الدولة استبدت بنا وبشعبنا وداست على حقوقنا وتجاوزت الشريعة الاسلامية وأقامت فى اليمن حكما فردنا استبداديا لذلك حاربناها حتى أجليناها عن اليمن بقوة السلاح وهاأنت ترى البلاد بعد جلائها تتمتع بأمن لانظير له وبحبوحة من العيش لا مثال لها ونحن الى اليـوم لم نشعر ولله الحمد بالأزمة الاقتصادية المستحوذة على العالم بأسره والتى لا تخلو جريدة من الشكوى منها شكوى مريرة ولما ذكر سمو الأمير السلاح برقت عيناه وتقلصت عضلات وجهه وكأنى به يقول وان هذا السلاح لا يزال بأيدينا واننا دواما مستعدون أن ندافع عن بلادنا وكياننا بنفوسنا ودمائنا، وهنا رأيت أن زمن المقابلة طال كثيرا فقدمت لسمو الأمير كتاب « قول الحق فى تاريخ سورية وفلسطين والعراق » كهدية ، فقال ماهذا الـكتاب ؟ وما هى بحوثه فقلت ان هذا الـكتاب هو تاريخ سورية وفلسطين والعراق منذ ابتداء نهوضها ومطالبتها بالاستقلال والحرية الى عهدنا هذا وقد ألفه رجل بريطانى يدعى المستر لودر كان موظفا فى وزارة الخارجية البريطانية وفى جمعية الأمم وهو واقف كل الوقوف على حوادث بلادنا وعلى الاتفاقات التى عقدت بين الدول المعظمة بشأنها. ومن مطالعته سوف ترون كيف خدع الانـكليز الملك حسـين والعرب وكيف كانوا يفاوضون الحسين رحمه الله لاستقلال الجزيرة العربية وفى نفس الوقت كانوا يتقاسمونها مع حلفائهم الى غير ذلك من البحوث المهمة التى تتعلق بنا وبقضيتنا وقد نقلته الى العربية على نفقتى الخاصة حبا فى تنوير أذهان قومى وبيان الحقيقة لهم فقـال بارك الله فيك سأطالع هذا الـكتاب بامعان ان شاء الله وهنـا ودعته وانصرفت وأنا معجب بذكائه وبما بدو عليه من النبل والشجاعة

عدت بعد اجتماعى بولى العهد أحمد سيف الاسـلام الى الدار وأنا أفـكر بهذه الشخصية الـكريمة الممزوجة بالشجاعة واللطف والعلم والتواضع والـكرم وكان يرافقنى

أحد الجنود فقلت له هل خدمت بمعية أحمد سيف الاسلام فقال كلا لم أحصل على هذا الشرف وأنا وغيرى من الجنود نتمنى لو كنا ننقل الى جيش سيف الاسلام فقلت ولماذا ذلك فقال لأن سيف الاسلام أيده الله يعتنى بجنوده كثيرا ويعاملهم معاملة حسنة ولى ابن عم يخدم بجيش سيف الاسلام فاذا كنت «تنمى» أى تريدنانى «اذنه لك» أى أنادبه فتسمع منه الشيء الكثير فقلت انى أكون مسرورا جدا لو أحضرت لى ابن عمك . وان هى الا هنيهة حتى غادرنى الجندى بالطريق وذهب نحو صنعاء وأما أنا فذهبت الى الدار وبعد هنيهة عاد صديقى الجندى يصحبه ابن عمه وقال السلام عليكم فقلت وعليكم السلام هل أنت من جيش سيف الاسلام فأجاب نعم حصل لى الشرف وخدمت فى جيش سيدى أحمد مدة طويلة ، فقلت وهل تحب سيف الاسلام فقال اى والله نحبه لأنه كريم ويعامل العسكر معاملة ناهية جدا (أى جيدة جدا) قلت وهل حضرت معه معارك حربية فقال نعم حضرت معه عدة معارك ونحن نحارب القبائل العاصية وكان سيدى أحمد حفظه الله يتقدم على الجميع وينقل سلاحه كأنه أحد الجنود وهو يحسن الرماية جيداً ولا يخطئ نيشانه الهدف أبدا وفى الليل لا ينام الا قليلا ويتفقد الحراس والكركونات والمراقبين ثلاث أو أربع مرات ليلا ويأكل حفظه الله من طعام الجنود ويلبس كلباسهم ويكاد المرء لا يفرق بينه وبينهم الا بكثرة العتاد الذى ينقله فقلت له وهل أنت معه الآن ؟ فقال كلا صار لى نحو سنة بصنعاء وقد نقلت اليها مع طابورى وبالرغم من أن صنعاء بلدى وأنا هنا بين أهلى فوالله ثم والله كنت أفضل أن أبقى مع سيدى أحمد سيف الاسلام فى الحرب ولا أعود الى صنعاء ، قلت هل أنت وحدك تحبه هذا الحب لأنه كان يعاملك معاملة ناهية فأجاب كلا لست أنا وحدى أحبه بل جميع الجيش لا بل جميع أهل اليمن يحبونه لكرمه وشجاعته وأنسه وعطفه على الجيش وعلى جميع الناس فاكتفيت بهذا الحديث مع الجندى وشكرته على هذه المعلومات وصرفته الى (عقفته) أى الى (فصيلته) وصعدت الى غرفتى لارتاح قليلا




صاحب هذه الرحلة فى منزل عبد الله عصدة و بجوار عبد الله يلحس ملاعقه

ساعة مع رئيس الدلالين فى عاصمة اليمن

ولم تطل استراحتى فى الغرفة كثيراً اذ أتانى الخادم وقال التاجر احمد عبد الله عصدة يريد مقابلتك فسألته وأين هو الآن فقال أدخلناه صالون الاستقبال فالبست ثيابى ونزلت للحال فوجدت احمد عبد الله عصدة جالساً أمام الشادروان فى صالون الاستقبال واحمد عبد الله هو أحد التجار المعروفين فى صنعاء ورئيس الدلالين وقد

تعرفت اليه اثر وصولى الى صنعاء وتمكنت بينى وبينه عرى الصداقة وعند ما رأيته رحبت به وجلست أتحدث معه فقال انى أتيت لأدعوك لزيارتى وقد سبق لك أن وعدتنى مرارا بأنك ستزورنى والحر اذا وعد وفى فقلت هلا تعفينى من الزيارة اليوم وتتركها الى يوم آخر ، فقال كلا أتيت خصيصا لأذهب معك الى دكانى ودارى فقلت حسناً هيا بنا وسرت معه من دارنا فى حى بئر العزب الى الأحياء الوطنية فى صنعاء ومررنا ببعض الاسواق والشوارع ورأيت دكانا فى أحد الشوارع يصنعون فيه الملابس (البيبة) من القصب والخشب وصناعة الملابس صناعة لا يستهان بها فى صنعاء لأن الطلب على الملابس عظيم جدا فأكثر رجال القبائل يدخنون الملابس وهذه الملابس تشبه الملابس الانكليزية والفرنجية من حيث الصناعة والهيئة ولكنها تختلف عنها بطولها فهى أطول منها كثيرا وقد شاهدت بعضها يزيد طولها على الذراع

وصلت الى دكان أحمد عبد الله فجلست على كرسى خشبى وأجلت بصرى فيما حولى فرأيت دكانه مملوءة بالسجاجيد العجمية والنحاس القديم والحديث وعقود الكهرمان الأصفر الذى تتحلى به معظم نساء اليمن فيضعنه فى أعناقهن وهو من صنع ألمانيا ورأيت أيضاً أكداساً من الصايات الحريرية وصايات الدنيا من شغل بلادنا وأرانى حضرته بعض السجاجيد القديمة وهى فى الحقيقة جميلة جداً أعجبتنى منها واحدة فأردت ابتياعها ولكن ثمنها الفاحش حال دون تحقيق أمنيتى جلست نحو نصف ساعة فى الدكان وأنا أراقب المارة وأكثرهم من القرويين ورجال القبائل يأتون عادة الى صنعاء كل يوم ويحملون معهم حاصلات قراهم وبلادهم كالحنطة والشعير والزبيب والتمر والجوز والحيوانات فيبيعونها فى صنعاء ويعودون أدراجهم بعد أن يبتاعوا حاجياتهم من صنعاء وقد قدم لى أحمد عبد الله نوعا من الحلوى « كراحة الحلقوم» عندنا فسألته من أين تجلبون هذه الحلوى فقال من قاع اليهود وهى من صنعهم فقلت وهل تصنعون الملبس والبوفة والشوكلاتا فلم يفهم منى حضرته ماهى البوفة والشوكلاتا وأما الملبس فقال نعم يصنع اليهود عندنا ملبساً وجاءلى منه بالحال وهو لا يختلف عن ملبسنا بل يشابهه كل الشبه

بعد قضاء وقت قصير فى الدكان ذهبت مع أحمد عبد الله الى داره وهى لا تبعد عن دكانه كثيراً فطرق الباب ففتحوه له من الداخل بواسطة حبل طويل مربوط فيه فصعد أمامى فى درج عريض لولبى الى الطابق الثالث وأدخلنى غرفة فسيحة معروشة بالطنافس والسجاد العجمى والفرش الوثيرة الممدودة الى الارض فاقتعدت واحدة منها وشاهدت فوق رأسى وحولى الى الجدران رفوفا عديدة وضع على بعضها صحون نحاسية قديمة وآنية من الصينى والخزف ووضع فى منتصف الغرفة صدر كبير من النحاس الاصفر وحوله عدة أراكيل من مشغل صنعاء بعضها نحاسية وبعضها خشبية ، وما كاد يستقر بنا المجلس حتى جلبوا لنا الشاى فشربناه وتبادلنا أطراف الحديث قليلا ثم دعانى حضرته الى الصعود (للمنظره) أى الغرفة العالية فوق البيت فصعدت واياه فوجدنا والده جالسا فيها يتناول طعامه فقال تفضلوا وكلوا معنا فقلت شكرا ياسيدى سبقنا كم بالطعام قبل وقت يسير فقال لا بل يجب أن (تتالحونا) أى تأكلوا من خبزنا وملحنا فقلت حسنا وجلست الى الارض بجانبه وأخذت قطعة من الخبز وأكلت معها شيئاً مما كان يأكله وما كدت أضع اللقمة فى فمى حتى شعرت كأن النار تلتهب فى فمى فبلعت اللقمة بلعا واكتفيت بها وسألت والد عبد الله ما هذا الطعام فقال بذر حلبه مطبوخ مع اللحم فقلت لاشك انه شهى جدا ولكنه حار للغاية فقال نعم انه حار لأننا نضع معه كثيرا من الفليفله الحمراء خرجت من المنظرة مع أحمد عبد الله وصعدنا الى سطح الدار فرأينا صنعاء بدور تحتنا بما تدهشها العجيبة وهى على غاية الجمال فسألته كم نظن يبلغ عدد الدور فى صنعاء؟ فقال على وجه التقريب ١٥٠٠٠ دار فقلت وكم عدد نفوسها فقال نحو ٧٠٠٠٠ رجل مقابل فقلت ألا يوجد دائرة نفوس عندكم ؟ وهل أحصت هذه الدائرة عدد النفوس ؟ فقال لا أعلم ذلك ولكن جميع أهل صنعاء يقولون ان صنعاء تحصد عند الحاجة سبعين ألف مقاتل فقلت حسنا هيا ننزل فنزل أمامى وأراد أن يدخلنى الى غرفة الاستقبال مرة ثانية فاعتذرت وأردت الانصراف فقال تفضل قبل أن تذهب وشاهد بعض السجاجيد فقلت حسنا ودخلت واياه الى غرفة كبيرة

يستعملها حضرته كمستودع (دبو) للسجاد فرأيت فيها شيئاً كثيرا من السجاد العجمى القديم والجديد ولكنى لم أسأله عن الثمن لانى أدركت مقدما انه فاحش جدا وما كدنا نخرج من المستودع حتى ودعته وانصرفت فاراد حضرته أن يرافقنى الى الدار فشكرته على هذا اللطف وقلت لا بل اسمح لى أن أذهب بمفردى لانى سأعرج فى طريقى على مدرسة الايتام وغيرها من الاماكن



المدرسة الحربية وقد وقف امامها الجند صغير من اعضاء البعثة التى سافرت الى العراق يلقى خطابا بين يدى وزير المعارف سيف الاسلام عبد الله

سرت بمفردى الى مدرسة الايتام واستقبلنى مديرها وهو أسمر اللون ونحيف البنية ومن أصل حبشى وكان حضرته مستخدما أيام الدولة العثمانية فى (معية) الوالى وهو يعرف التركية فسألته متى تأسست هذه المدرسة ومن أسسها فاجاب بأنها تأسست هذه السنة فى آب سنة ١٩٢٧ وأسسها جلالة الامام يحيى فقلت وكم عدد طلبتها فقال سمائة طالب فقلت وهل هم ليليون أم نهاريون فقال أربعمائة ليليـون ومائتان نهاريون فقلت هل هم من صنعاء ؟ فقـال بعضهم من صنعاء وبعضهم من خارجها فقلت ماذا

تدرسون للاولاد؟ فقال القراءة والكتابة والاملاء والصرف والنحو والقرآن فقلت وكم صفاً عندكم ؟ فأجاب ثلاثة صفوف ومتى أتم التلميذ الصف الثالث يدخل المدرسة الرشدية أو المدرسة العلمية المتوكلية ، فقلت وهل تقدم الحكومة طعاما ولباسا للطلبة فأجاب بالايجاب فقلت وكم عدد المعلمين فقال كثيرون وبينهم أستاذ تركي الأصل وأدخلني الى أحد الصفوف فرأيت الطلبة جالسين الى مقاعد خشبية أزواجا أزواجا وأمام كل زوج منهم القرآن الكريم وكانوا يقرأون جميعهم في وقت واحد ويكاد صوتهم يبلغ عنان السماء فقلت للمدير لماذا لا تدعون كل طالب يقرأ بمفرده ؟ فقال أحيانا يقرأ الطالب بمفرده أمام ستاده وأحيانا يقرأ جميع الطلبة جميعاً على سبيل التمرين ورأيت أحد أساتذة الطلبة من مشايخ صنعاء وكان جالسا أمام تلامذته وبعد أن وقفت هنيهة خرجت من غرفة الدرس وتجولت في سائر غرف التدريس والطعام وساحة اللعب فوجدت كل شيء على ما يرام وسررت جداً لعناية جلالة الامام بتربية الاطفال الايتام وقلت يا حبذا لو كان يفتح مدارس للايتام في جميع أنحاء اليمن ولا يكتفي بمدرسة صنعاء فقط ثم مررت بالمدرسة الحربية ودخلت اليها فوجدتها بناية عظيمة قديمة قد بناها الترك ايام احتلالهم لليمن

الجامع الكبير

خرجت من المدرسة ويممت شطر الجامع الكبير وهو جامع قديم يصلي فيه الامام أيام الجمعة وهو عبارة عن فسحة كبيرة حولها أربعة أروقة مفروشة بالسجاد والحصر ويجلس في أحد هذه الأروقة شيخ عالم جليل طاعن في السن يقال له السيد اسماعيل الديمي وهو امام هذا الجامع ومدرس فيه وقد رأيته جالسا يحتاط بجمع غفير من التلامذه صغارا وكبارا وهو يلقي عليهم بعض الدروس الدينية وقيل لي انه يوجد عدة مدرسين خلافه في هذا الجامع وهو ليس مسجدا فقط بل مدرسة أيضا وفيه مكتبة قيمة جدا تحتوي على أنواع الكتب الخطية القديمة والحديثة وخاصة المصاحف القديمة المشهورة وقد استرعى نظري محراب هذا المسجد فهو بسيط جدا

ومكتوب فوقه بعض الآيات القرآنية بحروف كبيرة نافرة لم أشهد مثلها من ذي قبل

وقد أخبرني البعض أن جميع مساجد اليمن تستعمل كمدارس أيضا ويوجد في كل مسجد عدة مدرسين يعلمون الطلبة القراءة والكتابة والدين والاملاء والانشاء والصرف والنحو ولا يوجد مدارس بالمعنى المفهوم عندنا الا في صنعاء والحديدة وبعض المدن الكبيرة ولكن المساجد تقوم مقام المدارس في أغلب القرى والنواحي الصغيرة ولذلك كانت نسبة المتعلمين الى الأميين نسبة كبيرة جدا خرجت من الجامع وسرت نحو الدار من باب عدن في طريق خلف سور المدينة ومررت ببعض الجبانات فوجدتها دارسة وخلتها لأول وهلة قديمة جدا فسألت أحد عابري السبيل هل هذه الجبانات قديمة ؟ فقال نعم هي قديمة وحديثة في آن واحد فقلت هل يدفنون الموتى فيها الى الآن ؟ فأجاب نعم فقلت ولكني أرى جميع القبور أي القديمة والحديثة متشابهة وكلها دارسة فقال نعم وخير القبور الدوارس ونحن هنا لا نبني قبورنا ولا نكتب عليها ولا نقيم قبابا أو ما أشبه فوقها فقلت حسنا ونعم ما تفعلون وسرت الى الدار منهوكا من التعب



السيارة التي اقلتنا ذات يوم الى الروضة والروض أي قريه القا بل

الروضة وقرية القابل

ذهبت في أحد الايام الى الروضة وقرية القابل وهما قريتان تبعد الاولى منهما عن

صنعاء بضعة كيلو مترات والثانية أبعد قليلا وهما تشبهان دمر والهامة عندنا ويقصدهما الناس للتسلية والنزهة ويمتد الطريق الى الروضة والقابل فى سهل واسع أرضه خصبة جدا وتحيط به عدة جبال وآكام وقد رأيت بعض هذه الآكام مغروسا تينا بعلا وبعضها مغروسا حنطة وشعيراً بعلا أيضاً ومررنا فى أول الطريق بغيل المهدى وغيل مصطفى وهذان الغيلان أو النهران ينبعان فى سهل صنعاء الواسع ويجريان تحت الأرض على عمق مترين أو ثلاثة ومجراهما قديم جدا يشبه مجارى أقنية الماء الرومانية الموجودة عندنا فى الشام بعد مضى برهة من الزمن وصلنا الى قرية الروضة وهى تشبه صنعاء من حيث البناء والحدائق الغناء ودخلنا الى حديقة فسيحة فيها دار واسعة تخص جلالة الامام ويمر منها غيل يقال له غيل البلبلى وقد رأيت فى هذه الحديقه روضة من شجر القات وفيها أيضا بضع شجيرات من الزيتون وشيء كثير من المشمش والرمان والفلفل والليمون الحامض والكرمة الى غير ذلك من الاشجار المثمرة الكثيرة دخلت الدار فوجدت الدور الأول مخصصاً حسب العادة للحيوانات ولا نوافذ له والدور الثانى مخصصاً للحبوب والمونة والدورين الثالث والرابع مخصصين للسكن وهما مبنيان على نسق دور صنعاء وفيهما النوافذ ذات الزجاج الملون والمرمر وبعد ما طفنا القرية وشاهدنا مسجدها الجميل ومأذنته البديعة أتممنا السير الى قرية القابل ومررنا بقرية صغيرة تدعى (علما) وبعد مسير ثلاثين دقيقة وصلنا الى قرية القابل وهى قرية صغيرة جميلة تشبه حدائقها وبساتينها حدائق الغوطة عندنا ولما تغلغلت فى هذه الحدائق مرت ببالى ذكريات جميلة ولذيذة وجالت نفسى فى غوطة الشام

قادنا السيد هاشم الذى أوفده معنا جلالة الامام كرفيق يهدينا الى الطريق ويفسح لنا راحتنا فى الحل والترحال الى دار جميلة فى حديقة واسعة لم يتم بناؤها بعد ، وقد رأينا العملة منهمكين فى البناء وكان بعضهم يبنى سوراً حول الدار ويشبه هذا السور (الدكوك) التى نقيمها حول حدائقنا فى جهة الصالحية وكان البعض يهتمون باتمام بناء الدار . طفنا حديقة هذه الدار وبعض الحدائق التى تحيط بها فشاهدنا فيها تيناً ورمانا وعنبا وسفرجلا وتفاحا وبارنجا وليمونا وكبادا الى غير ذلك من الاشجار المثمره

ولكنها ويا للاسف مهملة لا يعتنى أصحابها بها بل يتركونها للطبيعة وقد تدلت أغصانها الى الارض وتشكلت بعضها ببعض فصارت (كالاحراج) الطبيعية البرية وبعد الطواف فى هذه الحدائق الغناء صعدت الى الطابق العلوى فى الدار فرأيت أمامنا قصراً عظيما تداعت أطرافه وهو مبنى على رابية عالية ويمكن للمقيم فيه أن يسيطر من الوجهة (الدفاعية) على الجهات الأربع ، فسألت لمن هذا القصر ؟ فقيل لى كان هذا القصر يخص أحد الائمة المتقدمين وقد تداعى بناؤه ولم يشيده أحد وشاهدت أيضا من الدار قرية القابل وبعض دورها مبنية من الحجر وبعضها مبنى من الآجر وجميعها قائمة فى منتصف واد فسيح يقال له وادى ظهر ويحيطها من الشمال والغرب سلسلة من الجبال غير البركانية (سيد مترى) وتمتد هذه الجبال الى غرب صنعاء ، وفيها طبقة عظيمة من الحديد الجيد ، ويجدر بالذكر هنا أن نقول ان طبقات الأرض الجيولوجية تتغير عند ما يسير الانسان من صنعاء شمالا وفى بادئ الأمر تختلط الجبال البركانية بالجبال غير البركانية (سيدمترى) ثم تصبح جميع هذه الجبال فى جهات وادى ظهر غير بركانية ويكثر فيها وجود العروق الصخرية الصلبة المسماة (كورتز) طبعا فى وادى ظهر وشاهدنا حدائقه ومياهه الغزيرة اللذيذة وصعدنا الى قرية حقيرة مبنية على تل كبير وتبعد قليلا عن قرية القابل ويوجد حولها مغاور كبيرة وصغيرة محفوره حفراً فى الجبال وقد قيل لنا انها من عهد حمير وان الحميريين كانوا يستعملونها دوراً لسكناهم وأما أنا فاظن خلاف ذلك وأعتقد بانها ليست دوراً بل جبانات للموتى عدنا بعد طوافنا هذا الى الدار فوجدنا طباخ جلالة الامام الذى جاء معنا قد أعد لنا أنواعاً كثيرة من الطعام ووجدنا السيد احمدهاشم فى انتظارنا لأنه لم يرافقنا فى طوافنا لشدة تعبه فجلسنا وإياه الى سماط أعد لنا على الأرض وتناولنا الطعام (بالخمسة والكف) بشهية زائدة وبعد تناول الطعام جلسنا نتبادل أطراف الحديث مع السيد المشار اليه وجلس حضرته يمضغ قاته ويدخن مداعته (أركيلته) وقال لنا انه مسرور جدا بهذه الرحلة لان القات هنا جيد جدا وكان حضرته يتكلم وفمه محشو بالقات فقلنا « كل هنيئاً وامضغ مريئاً » وقد طالت جلسة القات نحو ساعتين ونصف ساعة تقريباً ،

وبعد فراغ السيد أحمد من « تحرير » قابه ركبنا سيارتنا وعدنا الى صنعاء ونحن مسرورون جداً من هذه الرحلة اللطيفة الجميلة وقد بنى جلالة الامام فى هذه القرية مسجداً جميلا صلينا فيه مرارا عند ما زرنا القابل عمية جلالته



المسجد الذى بناه جلاله الامام احيرا فى قرية الروض ويظهر فى الصورة حضرة عامل صنعاء والقاضى حسين المطهر وغيرهما من السادة والقضاة

بعد ما قضيت فى صنعاء اكثر من شهر من الزمن عولت على العودة الى مصر ولما كنت اكره سفر البحر كثيراً لانى أصاب بالدوار وخاصة فى السفن الصغيرة التى تروح وتغدو بين الحديدة وعدن فكرت بالعودة الى عدن عن طريق البر أولا لأتخلص من البحر ودواره وثانيا لكى أتمتع بمشاهده اليمن اكثر فاكثر وبما ان السفر عن طريق البر يحتاج الى اذن خاص من جلالة الامام صممت على طلب هذا الأذن عند وداع جلالته فقمت ذات يوم مبكرا وسرت نحو سراى جلالته وأخذت لجلالته معى بعض الصحف المصرية وقد جاءت فيها أخبار كثيرة عن اليمن

وصلت الى السراى قبل خروج جلالة الامام وجلوسه فى الباب تحت شجرة

الفلفـل ليقضى بينهم فانتظرت قليلا فى ساحة السراى وأخبرت رئيس الحراس بانى أرغب مقابلة الامام فأجابنى حضرته بانه سيبت (أى سيخبر) الامام بقدومى ولم يمض بضع دقائق حتى أتانى الأذن بالمثول بين يدى جلالته داخل حديقة قصره فدخلت عليه وكان جلالته جالساً على كرسى خشبى عال وأمامه كرسى خشبى واطئ ' لتحيته فقـولى أسعد الله صباح جلالة أمير المؤمنـين وهممت بتقبيل يده فدفعها لى ولما لمستها سحبها بلطف زائد وأجاب صبحك الله بالخير والعافيـة كيف حالك وهـل من حاجة تروم قضاءها ؟ فقلت نعم يامولاى انى أرغب بالعودة الى مصر عن طريق عدن برا وأرجو جلالتكم أن تسمحوا لى بذلك فقال ان طريق البر بعيدة ووعرة وستلاقى فيـها مشقة لا يستهان بها فقلت انى أفضل سفر البر على سفر البحر ياصاحب الجلالة لانى أصاب فى البحر بالدوار أولا وأرغب فى مشاهدة اليمن ثانياً فقال جلالته ما دام الامر كذلك فانى أسمح لك بالسفر عن هذه الطريق وسآمر بلزوم اعطائك جندا وبغالا لهذه السفرة فقلت شكرا وألف شكر لـكم يامولاى فقال ولكن لماذا هذه السرعة هل مللت من السكنى باليمن ؟ فقلت كلا يا مولاى لم أمل السكنى ولكنى مرضت قليلا وأرغب فى العودة الى مصر لكى أتعالج فقال ما دام الامر كذلك سر على بركة الله فقلت سأسافر غدا صباحا ان شاء الله فقال حسناً

اطلعت عندئذ جلالته على جريدة الاخبار المصرية وقد جاء فيها ان أنيس باشا الطيار المصرى المعروف سيشتغل بالوكالة عن سمو الخديوى عباس بنكا فى اليمن وسيشرع فى تعبيد الطرق ومد السكك الحديدية وجلب الطيـارات الى غير ذلك من الاخبـار والمشروعات فقلت هل هذا صحيح ياصاحب الجلالة ؟ فقال كلا هذا غير صحيح ولكن ماقولك يا ترى فى الاستعانة بالخديوى عباس لتأسيس بنك فى اليمن ؟ وهل للخديوى عباس علاقة بالدول الاجنبية ؟ فقلت علمكم أوسع يامولاى وأما هذا العاجز فلا يرى بأساً من الاستعانة بصاحب السمو الخديوى عبـاس ولا أعتقـد ان لسمـوه علاقات سياسـية مع الدول الاجنبيه وهو رجـل مثر عظيم يمكن الاسـتعانة به دون خوف أو وجل

ثم قرأت له فى جريدة ثانية أخبارا عن عسير وعن تأسيس الأدريسى تلغرافاً لاسلكيا فى جيزان وعن تعدياته على اليمانيين وتجاوزه على أراضيهم فكذب جلالته أمر هذه التعديات وأقر نبأ تأسيس التلغراف اللاسلكى فقلت ألا يرى صاحب الجلالة لزوما لتكذيب هذه الاشاعات فقال أنا لا أعول على أخبار الجرائد ولا اكذب شيئا ولا أهتم بما ينشر عنى أبدا فلو أردت ان اكذب كل خبر غير صحيح ينشر عنى وعن اليمن فى الجرائد التى يبلغ عددها ألوفا كثيرة لأضعت جميع أوقاتى فى هذه القشور وضيعت اللباب فقلت ولكن يا مولاى ان للجرائد تأثيرا لا يستهان به فى الدعايات والتشريات فقال جلالته أيوجد فى البلاد العربية بلد فيها جرائد اكثر من مصر ؟ فقلت كلا يا مولاى ان مصر تفوق جميع البلاد العربية حتى وبعض البلاد الأوربية فى عدد صحفها واتقان هذه الصحف نشر الاخبار والقيام بالدعايات فقال وهل حققت هذه الجرائد الكثيرة المتقنة لمصر استقلالها ؟ فقلت كلا ولكنها أثارت الرأى العام فى أوربا بأن هنالك قضية مصرية وان هذه القضية لم تحل بعد ولا تزال موضوع مشادة عنيفة بين مصر والانكليز فقال حسنا حسنا ونهض واقفا فنهضت للحال فخرج جلالته من باب الحديقة ودخل الى فسحة السراى الكبيرة وجلس تحت شجرة الفلفل ودعانى للجلوس بجانبه فامتثلت الامر طائعا وجلست أراقب حركاته وسكناته وكان جلالته يقبل ويقتبل شكاوى الناس ويقرأ عرائضهم ويحولها الى مراجعها الايجابية بخط يده الكريمة . وبينما نحن على هذه الحال واذا بغلام صغير ينادى بأعلى صوته وامتوكلاه وامتوكلاه وكانت نبراته تدل على الفزع والرعب نهض جلالة الامام واقفا عند سماعه هذه الاستغاثة ونادى بالحجاب على بالغلام وبرقت عيناه بريقا مخيفا وتقلصت عضلات وجهه وفارقته الابتسامة اللطيفة وحل محلها عبوس شديد وتقطيب مخيف فوقفت الى جانبه وحبست أنفاسى وأخذت أراقبه وأراقب الجنود واذ هى الالحظة حتى أتى الحاجب بغلام يافع طرح نفسه على اقدام الامام واخذ يقبلها ويقول مظلوم يا أمير المؤمنين مظلوم ويحولون دون وصولى اليك ورفع له عريضة كان يحملها فى يده رفع جلالة الامام الغلام من فوق الارض بيده الكريمة وأجلسه أمامه وقرأ عريضته وحولها الى مرجعها

الايجابى وبادى بالحاجب احصروا الحارس الذى منع هذا الغلام من الوصول الى فأحضروه للحال فأمر جلالته بجلده أمام رفاقه وسجنه فجلد فورا وسيق الى السجن فى الحال وهذا الحارس هو نسيب للغلام وأراد أن يحول دون وصوله الى الامام لان شكواه تضر بمصلحتــه الخاصة فكان جزاؤه الجلد والسجن وقد ذكرتنى هذه الحادثة بقول السيد المسيح « دعوا الصغار يأتون الى ولا تمنعوهم لان لمثل هؤلاء ملكوت الله »

وكان جلالة الامام يلبس هذا النهار على رأسه عمامة بيضاء كبيرة ويرتدى ثوبا حريريا رقيقا وفوقه قفطان حريرى مصنوع من صناعات الشام ويتشح بوشاح ثمين وجميــــل ويتمنطق بحزام يمانى وقد علق فى حزامه سبحة كهرباء صـفراء اللون وعدد حباتها مائة حبة وحبة ويحمل حساما يمانيا جميلا نصفه مذهب ونصفه مفضض وبعد ماهدأ روع الامام وخف غضبه استأذنته بالانصراف قائلا اذا كان لجلالة الامام خدمة خارج اليمن يرغب قضاءها فانى رهن اشارته وطوع أمره فقال ليس لى من حاجة الا لاتنسانا بأولادى وأن تكتب لنا أينما كنت وكيفما توجهت فقلت سمعا وطاعة ياصاحب الجلالة وبالفعل قمت بهذه الوصية حق القيام ولا أزال الى هـذا التاريخ أكتب لجلالته بين حين وآخر وفى نهاية هذا الحديث قبلت يده وانصرفت وأنا أفكر فيه وفى عدله ولطفه ولينه وشدته معاً

حديث مع عامل صنعاء السيد حسين عبد القادر

زارنى صباح ذات يوم فى رحلتى الاخيرة سنة ١٩٣٦ على حين غرة عامل صنعاء السيد حسين عبد القادر دون أن يرسل جنديا أمامه ليخبرنى بوصــوله كما هى العادة المتبعة عند السادة وكبار رجال الدولة والسيد حسين عبد القادر من الرجال الذين يشار اليهم بالبنان وهو ضخم الجثة جميل الوجه كبير الرأس طويل القامة متناسب الاعضاء خفيف اللحيــة يضع على رأسه عمامة بيضاء ويتمنطق بجنبية قديمــة ويلبس أثوابا حريرية من شغل الشام وقد كان حضرته أيام الترك قائمقاماً باليمن ثم انتخب مبعوثا (أى نائبا) عن اليمن فى مجلس المبعوثان العثمانى وذهب الى اسطانبول وفى أول حكم



عامل صنعاء والسيد حسين عبد القادر

جلالة الامام واحتلاله للحديدة عينه جلالته عاملا على الحديدة وتهامـة وبقى هنالك عدة سنوات وفى أول رحلاتى الى اليمن قابلت سيادته فى الحديدة وأعجبت بلطفـه ومقدرته وتمـكنت بيننا الصداقة ولما كان سيادته من الذين يحافظون على المودة فقد تلطف بهذه الزيارة الفجائية غير المنتظرة لأن حضرات السادة فى اليمن قلما يزورون أحدا من ضيوف اليمن قبل أن يزورهم وخصـوصاً اذا كانوا من العمال والحـكام وما كاد يستقر به المقام حتى قال الحمد لله على العافية كيف أنتم وكيف حال أهلـكم وبلادكم فقلت أما نحن فانا لله الحمد بخير فقال الحمد لله على العافيـة وهيا سامحوا على قصورنا لأننا لم نأت لزيارتـكم قبل اليوم حيث اننا لم نعلم بوصولـكم الا هذا النهار

من صديقكم وصديقنا السيد محمد زيارة وقد كنا أبصرناكم في الطريق عن بعد ولم نعرفكم، فقلت على كل حال أشكركم على هذه الزيارة فقال لاشكر على واجب وهذا بيتنا قريب منكم وهو بيتكم فمروا بما شئتم فقلت جعله الله عامراً وأطال عمركم وأكثر من أمثالكم فقال متى خرجتم من دمشق فقلت قبل أربعين يوماً تقريباً فقال وكيف حال بلادكم فقلت انها تسير من سيء الى أسوأ في ظل الانتداب وانا نغبطكم أنتم معاشر اليمانيين على الاستقلال المتمتعين به والذي لايعرف قيمته بعض رجالكم وفي الحق ان الاستقلال كالصحة لايعرف قيمتها الا المريض والاستقلال لايعرف قيمته الا المستعبد فقال صحيح صحيح لاحول ولا قوة الا بالله وما هي أخباركم الاخيرة عن حالة الدنيا ؟ فقلت كما تسمعون وتقرأون في الجرائد الدنيا قائمة وقاعدة بسبب حرب ايطاليا والحبشة وبريطانيا تناصر الحبشة في جمعية الأمم، فقال نعم هذا صحيح ولكنها بدون شك لاتعمل ذلك حبا في جمال عيون الحبشة وانما تفعله حبا في مصلحتها الخاصة اذ هنالك منابع النيل وطريق الامبراطورية الى الهند واستراليا فقلت لاريب في ذلك فلو أن بريطانيا كانت حقيقة تحافظ على عهد جمعية الامم كما تزعم لوقفت هذا الموقف ضد اليابان عندما ابتلعت منشوريا لقمة سائغة فقال نعم كان من الواجب أن تعمل ذلك لأن بلاد منشوريا بلاد عظيمة وسكانها يعادلون عدد سكان اليابان تقريباً فقلت وهل تظنون أن لنا فائدة من هذه الحرب ؟ فقال وبالاسف ان العرب متفسخون ومقسومون بعضهم على بعض فتجد كل قطر يعادي القطر الآخر وسكان نفس القطر الواحد غير متفقين فيما بينهم فلو كنا كتلة واحدة وسددنا أزر بعضنا بعضا لاستفدنا فائدة عظيمة وخشيتنا الدول الطامعة فينا فلو اتفق اليمن والحجاز ونجد والعراق مثلا وصاروا يقولون قولا واحدا ويتبعون سياسة خارجية واحدة فلا شك انهم يستفيدون فائدة عظيمة وقد تعم هذه الاستفادة أيضاً المناطق المشمولة بالانتداب والحماية الأجنبية وعلى كل حال يجب أن لايعزب عن بالكم انه من الواجب علينا أن نستعد للطوارىء وذلك بأن نجهز أنفسنا بكل شيء يدفع عنا طمع الطامعين ومما يسترعي نظري في هذا العصر الذي يقولون عنه عصر العلم والفن والرحمة والشفقة والنظام والقانون الخ والذي

يستهجن فيه معاصرونا من الفرنجة عادات العرب القديمة ويؤاخذوننا عليها كوأد البنات (١) مثلا ولا يؤاخذون أنفسهم على وأد الرجال والنساء والاطفال والشيوخ والعجزة بقنابل مدافعهم وقذائف طائراتهم وهم عوضا عن أن يعترفوا بفظاعة هذا العمل المشين يقولون عنه كما هى الحال فى الحبشة الآن انه عملية تطهير وتمدين الخ الخ ولذلك فانى أرى من الواجب علينا معاشر العرب أن لا نؤخذ بأقوال الغربيين المعسولة ووعودهم المزخرفة الباطلة بل يجب أن نستعد كما قلت سابقا للطوارئ كل الاستعداد وقد جاء فى الامثال اليابانية عندنا قولهم يا عبر يا رابضة كل المكامن عليه (أى يا عبر يا جالسه كل الانظار متجهة اليك) فقلت لاشك انكم محقون فى هذه الشكوى المريرة من تخاذل العرب وأرى من واجبنا جميعا أن نسعى بالقول والعمل لتقوية الروابط العربيـة بكل الوسائل وأرى أن العبر الرابضة هى اليمن وان بعض الدول الأجنبية طامعة فيه وهى تظهر لكم الصداقة وتضمر خلافها فقال صحيح صحيح الله يحفظ الامام انه عالم بكل شيء فلا يخفى ذلك عليه

وبعد مضى بضعة أيام رددت الزياره للسيد حسين عبد القادر فى داره فأدخلنى أحد الجنود عليه الى غرفة استقباله الكائنة فى الدور الثانى وكان سيادته جالسا فوق فرش وثيرة غطوها بالسجاجيد العجمية وقد صفت الفرش فى جنبات الغرفة ووضعت فوقها الوسائد الكثيرة ليتكئ عليها الجالسون ورأيت فى الغرفة أكثر من عشرة رجال من وجهاء صنعاء وساداتها وقضاتها جالسين فوق هذه الفرش يخزنون القات فبادرتهم بقولى السلام عليكم فأجاب الجميع وعليكم السلام ونهض العامل مسرعاً نحـوى الى الباب وقادنى بيده الى حيث كان جالساً وقال تفضلوا واجلسوا وبعد قليل قدم لى سيجارة فقلت أشكركم أنا لا ادخن فقال مداعة فقلت لم استعملها فى حياتى فقال عجيب عجيب ووافق على قوله الجمهـور بان أبدوا تعجبهم وقال أحـدهم ان فى التتن والتنباك راحة للانسان فقلت قد يكون ذلك حقـاً مع بعض الناس ولـكن لا شك

(١) فدامى العلم بأن اليونان — وهم أساتذه الفلسفة والاخلاق — كانوا يئدون الصغار الضعاف من الصبيه والبنات على السواء

ان كثرته مضرة ولكن سيجارة واحدة بعد الطعام تسهل الهضم وتسكن الرأس فأجاب آخر ان الاكثار من كل شيء مضر فلو شربنا كثيرا من الماء لضرنا ثم انتقلنا الى الحديث عن القات فقال العامل ان فيه سلوى وراحة ولم أشأ أن ادخل فى جدال عشار القات لذلك وجهت اليهم هذا السؤال هل تعلمون من أين أصل القات؟ فأجاب العامل يقول بعض الناس ان أصله من اليمن ويقول آخرون لا بل ان أصله من الحبشة فقلت وكيف صار استعماله عادة ؟ فقال يزعمون ان أحد الرعاة كان يجد كل يوم قسما من معزه يأكل من شجر القات فينام ويستريح بخلاف القسم الآخر الذى لا يأكل فلا ينام ولا يستريح فأخذ الراعى ذات يوم شيئا منه وأكله فاستراح فدل الناس عليه فصار عادة بينهم ولا شك انه يوجد بالقات مادة مثل الكينا ويظهر هذا من طعمه وتأثيره فى الجسم فهو يقاوم الملاريا ويفيد فى الوقاية من الحميات وهذا ثابت بالتجربة وقد صادق جميع الحاضرين على حديث العامل فلم ارغب أن أدخل فى جدال لا فائدة منه معهم فغيرنا حديثنا الى موضوعات مختلفة تناولنا فيها حروب اليمن مع الترك وقيام جلالة الامام بنهضته وتخليصه البلاد من النير التركى وتحصيرها وتجنيد الجند ثم سألنى أحد الجلوس عن رأيى فى الحرب الايطالية الحبشية فقلت انها حرب استعمارية فايطاليا زاد عدد سكانها وقد ضاقت أرضهم فخرجوا يبحثون عن منفذ لهم فلم يجدوا أفضل من الحبشة لاتساعها وغناها وضعفها، فقال وهل تسمح لهم المعاهدات الدولية والاتفاقات العالمية بهذا الفتح؟ فقلت ياصاحبى ان المعاهدات الدولية أصبحت قصاصات ورق لا قيمة لها ولا فائدة وكل معاهدة لا تدعمها قوة المدفع والطائرة فهى معاهدة هوائية، ولا شك أنكم تذكرون انه يوجد معاهدة صداقة ووداد بين ايطاليا والحبشة وتعلمون أن ايطاليا هى التى أدخلت الحبشة فى جمعية الامم ولكن لا المعاهدة ولا جمعية الامم أفادت الحبشة فى غزو الطليان لها لان الحقوق الدولية لا تؤيدها الا القوة المادية وفى مناسبات كثيرة تبين لنا أن الاعتماد على جمعية الامم لا يفيدنا لان هذه الجمعية ليست سوى اداة للقوى يستعملها فى تنفيذ مطامعه مع الضعيف ولكن لا يمكن استعمالها فى الوقوف بوجه ما مع القوى ضد القوى ، فقال الجميع صحيح صحيح

وأظهروا تخوفهم من الجشع الايطالى فقلت لهم لا شك أنكم محقون فى هذا الخوف فقال أحدهم ألا تظن أن الطليان سيجدون الاحباش فى المستقبل ؟ فقلت أنا على مثل اليقين بأنهم سيفعلون ذلك ويغرون بالاحباش غيرهم من الامم المجاورة لهم فأطرق الجميع الى الأرض كأن على رؤوسهم الطير فبدلنا هذا الحديث بغيره من الأحاديث المحلية، ثم استأذنت العامل فى الانصراف وودعت القوم وعدت من حيث أتيت

وداعا ياصنعاء

وفى صباح اليوم الثانى الموافق ٢ كانون الاول سنة ١٩٢٧ أتانا بعض الجنود الى الدار يقودون عدة بغال وقالوا أتينا من المقام الشريف لنسافر بمعيتكم الى ماوية، فقلت حسناً حملوا هذه الأشياء والصناديق فحملوها وركبنا على أحد البغال وخرجنا من الدار بعد أن ودعنا بعض الأصدقاء الذين أتوا خصيصاً لوداعنا،وشعرت فى ساعة الوداع بانقباض ووحشة رهيبتين فى نفسى وخلتنى افارق بلدى وأهلى سار موكبنا من حى بئر العزب وخرجنا من باب خزيمة ووجهتنا قرية حرير وما كدنا نسير بضع دقائق حتى لحق بنا أحد السادة ممتطياً بغلا وقال السلام عليكم فقلنا وعليكم السلام والرحمة والاكرام الى أين أنتم ذاهبون؟ فأجاب الى حرير وأنا عامل الامام عليها فقلت أنعم وأكرم بكم يسرنا جداً أن نرافق وإياكم فى الطريق فقال لا نكتفى برفقة الطريق فقط بل نرغب لو قضيتم عندنا يوماً أو أكثر فقلت أشكركم جدا على هذا اللطف وسارت طريقنا فى مرتفع من الأرض نحو ثلاث ساعات كان يحدثنا فيها العامل السيد محمد عبد الله الطايفى أحاديث جميلة ولذيذة فلم نشعر بمرور الوقت وصلنا حرير نحو الظهر وقادنا العامل الى داره ولم يسمح لنا بالسفر الا بعد تناول الطعام على مائدته وبينما كانوا يعدون لنا الطعام خرجت الى القرية ودخلت مسجدها وهو مسجد صغير وجميل وفيه بئر ماء يبلغ عمقها ٧٠ قدماً ويوجد فى الجهة الشرقية من هذه القرية جبل مرتفع يقال له جبل المجاجرى وفيه بعض المعادن ويوجد الى جانبه جبل آخر أعظم منه وأعلى منه ويقال له جبل الحصمة وفيه شيء كثير من الآثار الحميرية وبعد

طوافنا في القرية ومشاهدة منازلها المبنية من الحجر والحلب (أي الطين) عدنا الى دار العامل فوجدنا الطعام جاهزاً وهو مؤلف من رز حلبة مدقوقة ومطبوخة باللحم وبيض مقلي بالسمن وخبز مقلي بالسمن أيضاً تناولنا طعاماً بلذة زائدة وكان حديث العامل ولطفه يزيدان في لذة الطعام وبعد أن استرحنا قليلاً استأذنا العامل في السفر فأذن لنا وخرج لوداعنا حتى آخر القرية حيث امتطينا بغالنا ووجهتنا وعلان وسارت بنا الطريق في تصعيد خفيف وتصلح هذه الطريق لسير السيارات وكان الطقس جميلا والهواء عليلا مما أهاب بأحد جنودنا أن ينشد قصيدة عامية (قرادية) بنغم جميل وصوت عذب أنسانا الطريق والسفر وكل شيء غير المعنى الجميل - ولدى طلبي له - واسمه حمادة بن احمد دهمان - أن يسمعني قصيدته أنشد يقول

ألا وابدأ بشيدى بالمسور[1] ويا ريتن قلبي رايزنه
ألا وادرس زرعها بالتكبر عرب نحمه ولا شيء نصح منه
ألا بالله سائلك تنصر المام[2] وتقضى حاجة المطلوب منه
وكم ولد مات في تهامه مثل الكلب ماحد قابرنه
عزمنا للجهاد في فطر أول[3] والأخ الصبا[4] كان عاقلنه[5]
وثالث يوم ندخل عند مولاي[6] يعد القوم ويدى الصرف منه
فعدنا خمس أيام لا زيادة وقد أمر الامام مستعجلنه
قيام يا ولاد عسكر لا توانوا كما أمر الامام لا بد منه
وكم دا الصبر فينا يا جماعة على أمر الامام مسيطرنه
ألا قم يارسولى شد واعزم وصل أرض اليمن واخبرنه
تخبر بكيل[7] كم من هلالي[8] وكم من ولد قلبي فاقدنه
وأجمع القوم لقاع ابن حمعان[9] على الحجر[10] الذي جاء البدع منه
تقسمنا العدو[11] في ساع أربع وشلينا[12] الجبل والقاع كله

(١) النبي محمد(ص) (٢) الامام (٣) عيد الفطر (٤) أخوه الذي بسنه القمر(٥) عاقل(٦) الامام (٧) اسم قبيلة كبيره (٨) سن كالهلال (٩) اسم شخص (١٠) اسم قبيلة خاب وغدرت بمحمود الامام (١١) المكان المطلوب مهاجمته (١٢) احتللنا السهل والجبل في أربع ساعات

ألا واحتم نشيدى بالمسور ويا ريت قلبى رايزيه

عند ماأتم الحمدى على القاء قصيدته هذه سألته من نظمها ؟فقال انه نظمها لما دعى الى الحمدنة لمحاربة ابن حمدان الذى كان عاصياً على الامام وسألته وهل تحمدت بالقوة الاجبارية أم تطوعت من تلقاء نفسك؟ فقال تطوعت من تلقاء نفسى كما تطوع غيرى من الناس لمحاربة أعداء الامام فقلت وهل تحب الامام الى حد يسهل معه عليك أن تتطوع فى الجيش وتموت ؟ فأجاب روحى ومالى وأهلى فداء للامام أنا وجميع سكان اليمن من الزيود رهن اشارة الامام وقد حاربنا معه أعداءه الترك وانتصرنا على الجيوش التركية بالرغم من كثرتها وقلتنا وليس هذا بعجيب وقد قال والد مولانا الامام ان هذا الولد (أى الامام يحيى) سيأتى بالعجب ويدوخ العرب حتى والعجم وكان يسمع هذا الحديث حمدى آخر فقال له السيد احمد مرسل فأثنى هو أيضاً على الامام ثناء عاطرا ولكنه غمز فى قناة بعض الذين حوله قائلا انهم غير مخلصين لامامهم وأمتهم بالرغم من تظاهرهم بالاخلاص وقال أيضاً ان بيت مال المسلمين غنى وغنى جدا والحبوب مدفونة بالأرض فى أماكن مختلفة وفى سنين المحل يعطى الامام الزراع بدار ولكنه يستوفيه منهم أيام البيدر

بعد مسير نحو أربع ساعات فى طريق حسنة تصلح لسير السيارات ، وصلت الى قرية (وعلان) وهى قرية صغيرة حقيرة مبنية على طرف واد ضيق لا يتجاوز عرضه ثلاث مائة متر ، تحيط بها الجبال من الشرق والغرب والجنوب ، ويوجد على مسافة كيلو مترين منها بعض البساتين والحدائق المشجرة وفيها المشمش والرمان والتفاح والسفرجل والكرمة وغيرها من الاشجار المثمرة وتعلو وعلان عن صنعاء نحو ٥٠٠ قدم فصنعاء على علو ٧٦٠٠ قدم ووعلان ارتفاعها ٨١٠٠ قدم وبيوتها مبنية من الطين والحجارة ويوجد فى وعلان يهود بكثرة ويقطنون فى حى خاص بهم ويشتغل معظمهم بالتجارة والاشغال اليدوية ويشتغل بعضهم بحراثة الأرض كعملة عند المسلمين لا كملاك ويوجد فى وعلان مسجد صغير مال عليه الدهر بكلكله فجربه ويظهر انه بنى قديماً على طريق الحج وخصص لاستراحة الحجاج

قصينا ليلتنا فى وعلان فى احدى المقاهى لأنه لا يوجد فى وعلان عامل ولا دار للحكومة ولما نهضت فى الصباح وسألت صاحب المقهاية عن حسابه فقال بأخذ مامة عن كل شخص (بقحتين) أى نحو ثلاثة عروش سورية . فدفعناه حسابه وقلنا بارك الله فى هذه البلاد السعيدة التى نام الانسان فى مقاهيها ثلاثة عروش فقط لاغير وكان قد حلب لنا أيضاً بيضاً وحليباً ولبنا ودجاجا وخبزاً لاطعام ستة أشخاص فسألناه عن الحساب فقال ثلاثة أرباع الريال أى نحو ثلاثين عرشا سوريا لم نستغرب هذا الحساب اليسير لأن كل شيء فى العربية السعيدة رخيص جداً ماخلا القات

فى الطريق الى معبر

سرنا فى صباح السبت الموافق ٣ كانون أول سنة ١٩٢٧ من وعلان نقصد قرية معبر وهى المرحلة الثانية من صنعاء الى عدن وكان البرد شديدا فشعرت بقشعريرة تسرى فى جسمى سريان الكهرباء فنزلت من ظهر البغل وسرت على الأقدام فى واد يقال له وادى حدار وكان الطريق جيدا يصلح لسير السيارات وبقينا نصعد على هذا الطريق بين الجبال والوديان الى أن وصلنا الى قرية حدار التى تعلو على سطح البحر ٨٤٠٠ قدم وبالقرب من حدار يتسع الوادى فيبلغ عرضه نحو ٥٠٠ متر ويوجد حول حدار عدة آبار وماؤها لا يبعد عن سطح الارض سوى سبعة أمتار ويشتغل فى هذه الآبار الانسان بدلا من الحيوان وقد رأيت على كل بئر أربعة أو خمسة رجال ربطوا أنفسهم الى الحبال وأخذوا يسحبون دلاء الماء كما يسحبها الحيوان ورأيت حول هذه الآبار حقولا كثيرة من (القصبة) ويقولون لها فى اليمن (قصب) ويغرسون حول هذه الآبار أيضا ذرة وشعيرا وحنطة ولكن لا أثر للاشجار المثمرة وغير المثمرة هنا وقد جلسنا بالقرب من أحد هذه الآبار طلبا للاستراحة فأتى نحونا شيخ طاعن فى السن ولكنه جليل الطلعة على وجهه هيبة ووقار فسألنا الى أين أنتم ذاهبون؟ فقلنا الى عدن فقال كان الله بعونكم ان سفرتكم طويلة وشاقه فقلت ولكنها على كل حال ليست بأشق من العمل على البئر، فقهقه ضاحكا وأدرك النكتة وقال ولكن هؤلاء الشقاة

(أي العمال) قد ألفوا الشغل على البئر وصحتهم جيدة وأجسامهم قوية وأما أنتم فيدولي اسكم نحيفو البنية وضعيفو الجسم فقلت لاعبرة بالسمنة فالعصى المراح سق طول حياته نحيفا فقال أي نعم فسألته بدوري كم ساعة يعمل الشقاة على البئر؟ فقال من الصباح حتى ينضب ماء البئر فقلت ومتى ينضب الماء؟ فقال نحو العصر فقلت ولماذا ينضب؟ فقال لأن نبعه من التراب لامن الصخر، فقلت ولماذا لاتعمقون البئر حتى الصخر، فقال لأننا لسنا بحاجة الى شيء كثير من الماء ولا نريد أن نعمق البئر حتى لا يصعب العمل، فقلت وكم تدفعون للعامل مياومة؟ فقال أربعة (نقش) أي نحو سبعة قروش سوريه

بعد الاستراحة قليلا ودعنا الاختيار وامتطينا البغال وسرنا باسم الله وكانت طريقنا تسير في تصعيد مستمر إلى أن وصلنا رأس نقيل يسلح نحو الظهر ويعلو هذا النقيل عن سطح البحر ٩٢٠٠ قدم ومنه يرى الانسان قاع أو سهل جهران وهو سهل متسع يمتد من أسفل نقيل يسلح وينتهي بقرية الرصابة وهو أعلى من صنعاء بخمسمائة قدم وطوله نحو ٢٥ كيلو متراً وعرضه يختلف من خمسة الى تسعة كيلو مترات وكان هذا السهل الواسع يتراءى لنا عن بعد كأنه بحر واسع تكسوه ألوان متعددة فالأرض المفلوحة كانت تبدو حمراء صافية والأرض المحصودة كانت تظهر بيضاء لامعة والأرض المزروعة ذرة وغيرها من النباتات كانت تظهر خضراء يانعة سررنا بهذا المنظر الفتان ووقفنا في رأس النقيل برهة من الزمان نسبح باسم الرحيم الرحمن ونشكره على نعمه الكثيرة التي أنعم بها على بني الانسان

هبطنا من أعلى النقيل الى أسفله نحو ستمائة قدم وكانت طريقنا تسير بين الجبال في شكل لولبي وهي تصلح لسير سيارة واحدة لقلة عرضها وكثرة دورانها وشاهدت في أثناء هبوطها ذئباً ضارياً اختطف شاة وأخذ يركض بها نحو رأس الجبل وكان الرعاة يركضون خلفه ويصيحون عليه ويطلقون عليه الرصاص من مسافات بعيدة فلا يصيبونه وكان هذا الذئب أول وحش كاسر رأيته في اليمن، فسألت الرفاق هل توجد وحوش ضاريه في اليمن؟ فأجابوا نعم توجد الذئاب والضباع بكثرة وتوجد النمور والفهود

والسباع فى المخاليف الشرقية بجهة سبأ ومارب وأما القردة والسنابيس فتوجد فى جميع الجهات،وقد شهدت ذات مرة موقعة حربية دموية وقعت بين قبيلتين من القردة ودامت نحو ساعة من الزمان، ويظهر أن القردة تعيش أسرابا وقبائل ولكل سرب أو قبيلة أرض ومسارب ووطن تستقل به فاذا تجاورت قبيلة ما وطن قبيلة ثانية تدافع هذه القبيلة عن وطنها دفاع المستميت وقد رأيت احدى القبائل المعتدى عليها تهاجم المعتدين بشدة زائدة وقداشترك الجميع فى القتال بأيديهم وأرجلهم واسنانهم وكان صراخهم يدرك عنان السماء وتم الظفر نهائياً للقبيلة المعتدى عليها فطردت المعتدين بعد أن قتلت منهم نفراً ليس بقليل وقد مثلت بالقتلى شر تمثيل وبعد انتهاء المعركة اطلقت بعض العيارات النارية ارهابا للمنتصرين ففروا من امامى وصعدت الى مكان المعركة فوجدت القتلى قد مزقت أجسامهم وبقرت بطونهم وقلعت عيونهم وسلخ جزء من جلودهم، فقلت الله اكبر الله اكبر حتى القردة تمثل بأعدائها بعد قتلهم وفكرت فى نفسى قائلا هل تعلم الانسان التمثيل بالقتلى من القرد أو تعلم القرد هذا الفن من الانسان ؟ سؤال نتركه لساسة الحيوان الناطق فهم أدرى به منا

استرحنا قليلا فى مقهاة فى أسفل النقيل ويطلقون هنا على المقهاية اسم «سمسرة» وبعد الاستراحة أتممنا طريقنا فى قاع جهران،وأول قرية مررنا بها بعد النقيل هى قرية طاف ودورها مبنية من الحجر والطين وفيها بئر واحدة يستعملها الأهلون للشرب فقط،ويبلغ عمقها ١٨٠ قدما ويشل الماء عليه النساء والرجال وشاهدنا على جانبى هذا السهل الواسع عدة قرى كالواسطة والجربة وبيت الذعى وهذه قرية صغيرة جميع سكانها من اليهود ورأينا أيضاً آبارا كثيرة فى هذا السهل وماؤها قريب من سطح الأرض ويستعمله الأهلون فى زراعتهم وقد لاحظت هنا أن الهواء لا ينقطع لا ليلا ولا نهاراً وبوسع المزارعين لو أدركوا هذا الامر أن يستعملوا المضخات الهوائية فى استخراج مائهم كما هى الحال عندنا فى القنيطرة ولكن ـ ويا للاسف ـ المزارعين لا يدركون صالحهم كما انه لا توجد فى اليمن وزارة زراعة تهتم بهذه الشؤون،وحبذا لو تكرمت جلالة الامام أن تنظر الى هذه المسألة بعين عنايته لان استعمال المضخات الهوائية ممكن فى معظم أطراف اليمن

، كان يقابلنا فى طريقنا كثير من النسوة القرويات وهن يختلفن عن نساء صنعاء ونساء تهامة كثيراً فنساء صنعاء وغيرها من المدن يحتجبن من اخمص أقدامهن حتى أعلى رؤوسهن ولا يميز المرء بين وجه المرأة وظهرها اذا كانت ماشية الا من حركتها لأن حجابها يغطيها غطاء تاما. وأما فى تهامة فالنساء شبه عاريات تعرياً وأما فى هذه الجبال فالنساء سافرات وعاريات الزنود ويلبسن فى اكثر الأحيان ثوبا ويضعن فى زنودهن وفى أذرعهن أساور زجاجية ضخمة ونساء تهامة وصنعاء يملن الى الألبسة الملونة وخاصة الحمراء والصفراء والزرقاء وأما هؤلاء فلا يوجد لديهن سوى الثياب النيلة



قرية الكميم الواقعة على طريق السيارات بالقرب من معبر
وهى انموذج لقرى اليمن الجبلية

وصلنا الى معبر نحو العصر فوجدنا جمعا من الناس محتشدا فى مدخل القرية وهو خليط من النساء والرجال والاولاد قد أتوا ليشاهدوا عن كثب موكب الغرباء ولما سألنا عن العامل السيد يحيى الوزير قيل لنا انه مأذون فى صنعاء فذهبنا الى (سمسرة) كبيرة قيل لنا انها نظيفة وفسيحة دخلناها بأمان فرحين فوجدناها كبيرها

من منازل اليمن الدور الأول للحيوانات والثانى والثالث للمسافرين احتللنا الدور الثانى وهو مؤلف من أربع غرف صغيرة ومطبخ وبيت للراحة ، وأبواب جميع هذه الغرف صغيرة الى حد يكاد المرء لا تتمكن من دخولها الا اذا حنى ظهره وبعد ما استقر بنا المقام قليلا أنبأنا صاحبة السمسرة وقالت انها على استعداد أن تطبخ لنا أكلا تركيا جيدا فقلت أنى لك ذلك فقالت انها كانت أيام الدولة العثمانية زوج المتصرف حسنى بك وانها تعلمت الطبخ التركى من دونه فقلت حسناً أعدى لنا مانشائين ولكن الرجاء أن تسرعى بالعمل لأن معدتنا خاوية خالية ماغابت هذه السيدة عنا سوى ساعة من الزمان حتى عادت الينا وهى تحمل أطباقا مملوءة بالأرز واللحم المطبوخ (روستو مع بطاطا) والخضر المطبوخة باللحم ونوعاً من الحلوى مصنوعة من العجين مثل العوامة (لقمة القاضى) عندئذ تناولنا طعامنا بلذة عظيمة وشربنا قهوة معمولة على الطريقة التركية وشكرنا هذه السيدة الأنيقة فى الطبخ كل الشكر

وبعد تناول العشاء صعدت الى سطح السمسرة أراقب القمر والنجوم فأتانى بعض نزلاء السمسرة وجلسوا الى جانبى وأخذوا يسألوننى عن صنعاء وكيف وجدتها وعن الامام والقاضى العمرى الى غير ذلك من الاسئلة فأجبتهم أجوبة لحمتها الثناء وسداها المديح على جلالة الامام ورجاله وبلاده ولاحظت أن أسارير وجوههم برقت واسروا كل السرور عندما سمعوا هذا الثناء والمديح ثم سألتهم أنا بدورى اذا كان يوجد معادن بالقرب من معبر فأجابنى أحدهم نعم يوجد بالجدى قرية قريبة من معبر ميكا ويوجد فيها أيضاً جبل بركانى يخرج من فوهته غاز كبريتى ويوجد فى قرية المحوى فحم حجرى ثم سألتهم اذا كان يوجد آثار حميرية بالقرب من معبر فأجابوا نعم يوجد جبل بعد عن معبر نحو ساعتين ويقال له الجبل الأحمر وفيه آثار حميرية وسد كبير نشف بعدما اندثرت المدينة الحميرية ولا يزال مجراه باديا للعيان الى هذا التاريخ ويوجد بالقرب منه حمام على بعض الآثار القديمة وحمام على قرية صغيرة تقع الى الجنوب الغربى من معبر وفيها عدة ينابيع معدنية كبريتية حارة يأتيها الناس للاستشفاء فى فصل الشتاء من جميع أطراف اليمن وقد مررت بهذه القرية فى احدى رحلاتى فوجدت

ماءها يشبه ماء الحمة فى فلسطين ومنازلها مبنية من الحجر والطين وهى ذات دور واحد يقطنه الناس وبعضها ذات دورين وهواؤها ناشف جدا وطقسها حار لأنها واقعة فى واد عميق

قضيت ليلتى فى معبر على أحسن حال ونمت نوما هادئاً مريحاً وفى الصباح نهضت مبكراً فتناولت قليلا من الحليب والقهوة وقلت للجنود ان يستعدوا للسفر وبينما كانوا يحملون أمتعتنا نزلت الى القرية وطفت حولها فوجدت الى جنوبها وعلى مسافة يسيرة منها انقاض مدينة حميرية قديمة ولا تزال آثرها ظاهرة للعيان كأنها من صنع بضع سنوات بالرغم من مرور ألوف السنين عليها وهى متقنة الصنع وجدرانها مبنية من الحجر بخلاف جدران الآثار الحديثة المتروكة تراباً على طبيعتها ويوجد الى جانب هذه الأثر أنقاض جامع قديم يقال له جامع المؤيد وقد بناه الامام المهدى وفيه قبر لسبعين شهيداً قيل انهم قتلوا فى احدى معارك معبر المشهورة أيام حربها مع الدولة العثمانية ، ويوجد فوق هذا القبر حجر مكتوب عليه بالعربية وفيه تاريخ استشهاد هؤلاء الشهداء ولكنى لم أتمكن من قراءته لأن الايام قد محت الكتابة الى حد بعيد ولكن لا يزال ظاهراً منها آية الكرسى المنقوشة فى الحجر نقشاً عميقاً ومدهناً

فى الطريق الى ذمار

بعد هذا الطواف القليل عدت الى السمسرة فوجدت الرفاق قد حملوا البغال فركبت بغلتى وسرت فى المقدمة وكانت مرحلتنا اليوم الى ذمار وطريقنا جيدة فى سهل جهران ويمكن للسيارات أن تسير عليها بسهولة تامة ولكن ويا للاسف لا يوجد سيارات هنا أبداً وقد سألت البعض اذا كانوا شاهدوا السيارات تأتى من صنعاء فقالوا نادراً لأن الناس لا يملكون سيارات بل يوجد عند جلالة الامام بضع سيارات جلبها جلالته من عدن الى صنعاء مفككة ومحمولة على الاكتاف فى الجبال وعلى البغال فى السهول دامت طريقنا فى هذا السهل جيدة عدة ساعات وقد مررنا بعدة قرى كبيت راشد وغثم والجوقرى وفيها آثار حميرية والرصابة وغيرها ويوجد بالقرب من

الرصافة عدة ينابيع ماء تسيل الى جهات مختلفة منها غيل قراب وغيل تشليل يجري الى بلاد آنس وغيل السرنة يجرى الى مدينة الصيد، وقرية الرصافة قرية كبيرة سكانها مزيج من المسلمين واليهود وللقرية سور كسور صنعاء ويوجد فيها مغاور كمغاور صيدنايا عندنا كانت تستعمل كزرائب للماعز فتراكمت فيها كميات كبيرة من (السماد) والآن يخرج اليهود هذا (السماد) ويستخرجون منه نترات البوتاس (ملح البارود) ويصنعون منه كميات وافرة من البارود الاسود (الوطنى) ثم مررنا فى طريقنا بقرية يقال لها (الضيق) وهى آخر حدود قاع جهران من الجهة القبلية ويوجد حول هذه القرية عدة آبار ماؤها قريب من سطح الارض يعمل عليها الانسان بدل الحيوان وبعد أن بعدنا مسافة يسيرة عن هذه القرية أخذ السهل يضيق كثيراً وأخذت الطريق تتوعر وتسير صعوداً وقلت الحقول المفلوحة وغابت الآبار وتغيرت طبيعة الارض سرنا على هذا الحال نحو ساعتين فوصلنا الى قرية الدرب وهى واقعة على ربوة صخرية وفيها بئر واحدة للماء عمقها نحو ١٥ متراً اجتزنا هذه القرية فى واد وعر ضيق وأخذت طريقنا تنحدر شيئاً فشيئاً الى أن وصلنا الى دمار وقد رافقنا فى هذه الطريق أحد أبناء السبيل وقد أبدى لى شكاوى كثيرة من الحالة الحاضرة فى اليمن ولما كان فى سن العسكرية سألته هل خدمت فى الجندية ؟ فأجاب كلا، لم أخدم فى الجندية ولا أريد أن أخدم بها لان الجندية جور ولها قوانين وتعليم ونحن وحشيون أى متوحشون لا نعرف القانون ولا نحب التعليم فقلت ألا يأخذونك جبراً ان أنت لم تتجند طوع ارادتك؟ فقال كلا الجندية عندنا بين القبائل ليست اجبارية بل اختيارية يتطوع فيها من يريد لقاء معاش من بيت مال المسلمين ولو كانت اجبارية لفررت من أول يوم يجندونى فيه أين بلادك ؟ بلادى الى شرق اب وتبعد عنها نحو يومين كيف يحصلون الضرائب عندكم ؟ يحصل الضرائب عندنا المخمنون ، وبعضهم قليلو الذمة يأخذون ثلثى محصولنا ويعطوننا الثلث كم يجب أن يأخذوا لو أنصفوا ؟ يجب أن يأخذوا العشر فقط أى يجب أن يأخذوا من كل عشرة كيلات كيلة حسب مرضاة الله وسنة رسول الله ولكن بعض هؤلاء المخمنين لا يخافون الله ويخمنون البيادر

أكثر من حقيقتها ونأحدون العشر حسب تخمينهم الكاذب والله سيدهنون الى جهنم زمرا . فقلت هل يعلم جلالة الامام بأعمالهم ؟ فقال الله يحفظ الامام هو لا يعلم باعمالهم ونأمرهم دائماً بأن لا يطلبوا أحدا وأن ينصفوا ويعدلوا بين الناس ولكن لا يخافون من الله ولا من يوم الله فقلت مادام الامام لا يريد ظلمكم فلماذا لا تذهبون وترفعون له شكواكم ؟ فقال لقد ذهب بعضنا وشكوا أمرهم له فجاء المخمنون وأقسموا الايمان المغلظة امامه انهم لم يظلموا أحدا فقلت وهل تحبون الامام ؟ فقال نعم نحبه كثيرا لانه امامنا وخليفتنا فقلت . واذا دعاكم للحرب هل تلبون دعوته ؟ تبسم عند سماعه هذا السؤال وأجاب الله يحفظ الامام نحن ومالنا وعيالنا فداء الامام واذا دعانا للحرب والجهاد فانا نفديه بأرواحنا وأموالنا ونجاهد في سبيل الله الى أن نموت لان الجهاد فرض واجب على كل مسلم

في ذمار

وصلنا الى ذمار مساء وحللنا في ضيافة الحكومة حيث أعدوا لنا مكاناً لنزولنا فجاء بعض الموظفين والقضاة وأمير الجيش ورتبته قائد لزيارتنا والسلام علينا وصادف حين دخولهم علينا انى كنت أقرأ في رحلة الريحاني الى اليمن فسألني أحدهم ماهذا الكتاب فقلت هو رحلة الريحاني الى اليمن فقال لقد اطلعنا عليه فوجدنا فيه أشياء كثيرة بعيدة عن الصحة وأخرى مبالغاً فيها والله يسامح الأمين على هذا العمل لأنه لم ينصف اليمن

جلس الضيوف في زيارتنا زمناً طويلا سألونا عن رحلتنا في اليمن وعن معاملة العمال لنا في الطريق وعن بلادنا وعن تركيا وعن مصطفى كمال وحقيقة قيامه ضد الدين الاسلامى ورفعه حجاب النساء والسماح لهن بأن يختلطن بالرجال ولما قلنا لهم ان تركيا الحديثة أصبحت دولة لادينية وفصلت من شرقيتها وحذت حذو الدول الغربية في جميع شؤونها واستعاضت عن الأحرف العربية بالأحرف اللاتينية وحذفت جميع الكلمات العربية من قاموسها استبدلوا اشياء عظيما وحوقلوا كثيرا وقالوا الله يحفظ

الامام ويعر به الاسلام ثم ودعوناوانصرفوا فقصينا ليلتنا في دار الضيافة وفي الصباح قمنا مبكرين وطفنا المدينة فوجدناها أصغر من مدينة صنعاء ولكنها أكبر من الحديدة ومن أي بلد ثانية رأيناها حتى هذا التاريخ ودورها مبنية من الحجر على نمط دور صنعاء وهي مؤلفة من عدة أدوار وفيها الزجاج الملون ونوافذ المرمر وقد رأيت فيها عدة مساجد وأهمها مسجد حسن دادا باشا وقد بناه الباشا المشار اليه حين قدومه الى اليمن مهاجرا قبل دخول الدولة العثمانية الى اليمن أي منذ أكثر من ٥٠٠ سنة وهو مسجد جميل وفسيح ومبني بالحجارة المنحوتة وفيه حديقة صغيرة مغروسة سروا. وشاهدت جامعاً آخر كبيرا قيل انه كان كنيسة لليهود ورأيت في جدران هذا الجامع أحجارا ضخمة مكتوباً عليها عبارات حميرية وزرت كنيساً لليهود ورأيت فيه توراة مكتوبة على رق غزال قيل لي ان اليهود جلبوها معهم عندما هاجروا من القدس بعد خراب الهيكل أي منذ نحو ٣٠٠٠ سنة وقد لفوها لفاً محكما بالأقمشة الحريرية واجتمعت بالحاخام الأكبر فدعاني لمنزله فلبيت دعوته وهو رجل طاعن في السن يقال له يحيى سعيد جرندي فسألته عدة أسئلة واليك أهمها

(س) متى جاء اليهود الى اليمن ؟

(ج) أتى بعضهم قبل خراب الهيكل بعامين وأتى البعض بعد خراب الهيكل ؟

(س) أين نزلوا عندما قدموا للمرة الأولى ؟

(ج) نزلوا في مكان يقال له نزش واقع شرقي جبل نقم ونقم هو الجبل المحيط بصنعاء من الشرق ؟

(س) من بنى صنعاء ومن أين اشتق هذا الاسم ؟

(ج) ان اليهود هم الذين بنوا صنعاء واسمها مشتق من اسم سام بن نوح عليه السلام ؟

(س) هل بنى اليهود مدنا أخرى غير صنعاء ؟

(ج) نعم بنوا مدينتين صعدة وذمار واطلقوا عليهما اسمي ولدي سام بن نوح

(س) هل كان يوجد يهود باليمن قبل الهجرة من اورشليم ؟

(ح) كلا جميع يهود اليمن هاجروا من أورشليم كما ذكرت لك وليس اليهود من السكان الأصليين

(س) هل لكم علاقة بالعالم الخارجي ؟

(ح) نعم لنا علاقات مع مصر وفلسطين ويوجد يهود يمانيون كثيرون في فلسطين

(س) هل تعرفون شيئاً عن الحركة الصهيونية ؟

(ح) نعم تأتينا بعض الأحيان جرائد صهيونية ويكتب لنا اليهود اليمانيون المهاجرون شيئاً كثيرا عن الهجرة الصهيونية ويحسنونها لنا

(س) أين آخر بلد يقطنها اليهود في اليمن ؟

(ح) ان آخر بلد هي بيحان ويقع الى شرقي دمار وتبعد عنها مسافة ثمانية أيام

(س) هل لكم اتصال مع يهود أميركا وأوربا ؟

(ح) كلا لا نعرف أحداً في تلك البلاد

(س) كيف حالكم مع المسلمين ؟ وهل يعاملكم العمال معاملة حسنة ؟

(ح) نحن مع المسلمين في عزلة تامة وحينا بعيد عن حيهم وهم يحتقروننا ولكن العمال يمنعون التعدي علينا ويجازون كل من تساوره نفسه بأن يمسنا بسوء

ودعت الحاخام الأكبر وطفت قليلا في حي اليهود فتمعنى خلق كثير من الرجال والأولاد والنساء وحي اليهود حقير بالنسبة الى الأحياء الاسلامية ولكنه نظيف ومرتب ترتيباً حسناً وبعد الطواف في الأحياء الاسلامية ومشاهدة الاسواق التي لا تختلف كثيراً عن أسواق صنعاء بحجمها زرت العامل السيد محمد بن احمد الوزير فوجدته رجلا أديباً لطيف المعشر طلق اللسان استقبلني واقفاً على الاقدام وقال حي الله من قد جاء ، لعل من أمر يمكنني أن انفذه لكم وهل انتم مرتاحون في سفرتكم ؟ اني أكون سعيداً اذا تمكنت من القيام بخدمة لكم فشكرته جداً على هذا اللطف وقلت انا ولله الحمد على أحسن حال ولا ينقصنا شيء أبداً ونرجو من الله أن يحفظ جلالة الامام ويبارك في رجاله العظام وبعد أن تناولت القهوة والشاي ودعته وعدت أدراجي الى دار الضيافة

فى الطريق الى يريم

وجدت الجند على استعداد للسير ، فركبت بغلتى وسرت أمامهم ووجهتنا يريم ولم نبعد عن البلد الا مسافة يسيرة حتى رأينا بعض الآبار تستعمل لرى الساتات وماؤها يبعد عن سطح الأرض نحو عشرة أمتار ويغرسون حولها قصة وشعيراً ويوجد بين دمار ويريم طريقان أحدهما للسيارات والثانى للحيوانات وطريق السيارات تسير فى واد متسع وطريق الحيوانات تسير بين آكام ووديان وعرة ولكنها أقصر من طريق السيارات وقد شاهدت فى بعض هذه الجبال طبقات من الحديد (هماتيت) وشاهدت حقولا من الحنطة والشعير بعضها ناضج وبعضها يغرس غرساً جديداً ومررنا بالقرب من الحقول الجميلة اليانعة بقرية دحدب ووقفنا قليلا على نبع ماء يجرى قربها شمالا وماؤه بارد وعذب واتسع الوادى ههنا اتساعا لا يستهان به وكثرت المزروعات ولكنا لم نشاهد أثرا للاشجار لعدم اعتناء الناس بها وبعد ما سرنا نحو ساعة فى هذا الوادى الواسع عرجت طريقنا بين الجبال والآكام ثانية ، وقد شاهدت فى هذه الجبال طبقات جيدة من الحديد ومن ثم هبطنا الى قاع رباط مسافة طويلة ، وقاع رباط سهل صغير جميل تغرس فيه جميع أنواع الحبوب ، سرنا فيه نحو نصف ساعة ثم أخذت طريقنا تصعد بنا الى نجد الاسلاف فى جبال وعرة ومسالك صعبة الى أن وصلنا الى قرية الاسلاف وهى مبنية على أكمة يعسر الصعود اليها كثيرا وهى فى الحقيقة تشبه القلاع أكثر مما تشبه القرى ومن هنا هبطنا هبوطاً مستمراً بين وديان مغروسة بالحبوب ولكن لا أثر للاشجار فيها وشعرت بين هذه الوديان ببرد شديد يتسرب الى جسمى فتركت البغل وأخذت أسير على الاقدام الى أن وصلنا الى يريم نحو الساعة الثالثة فقصدت الى سمسرة أى مقهاية يقال لها سمسرة صالح علوان ، وبعد ما استرحت قليلا خرجت من السمسرة وطفت فى البلد فوجدته أصغر من دمار وأكبر من سائر القرى التى مررنا بها ولكن أرقته قذرة ومجارى الأوساخ تسيل على جانب المنازل طفت فى بعض الأسواق التجارية فرأيت جميع أنواع الخردوات

المربحية المجلوبة من الخارج عن طريق عدن ورأيت محاصيل البلاد الزراعية تملأ الأسواق وأبصرت بعض معاصر الخردل تديرها الجمال ، وهذه أول مرة سمعت فيها بالخردل في اليمن وقيل لي انه يغرس في بريم وأطرافها بكثرة ويغرس في اليمن الأخضر ويستعمله الناس للحرق بدل زيت الكاز

وللبلد سور خارجي يحيط به من جميع أطرافه ويوجد خارج هـذا السور آثار متعددة بناؤها بعيد عن سطح الأرض نحو مترين ومنازل البلد مبنية من الحجر وهي ذات عدة أدوار ولـكن نوافذها أوسع من نوافذ معبر وعلان ودمار وأما الأبواب فلا تختلف عن رفيقاتها وتحيط الجبال بريم من جميع جهاتها ، ويكاد الآتي اليها من الشمال يصل اليها قبل أن يراها ويوجد في هذه الجبال طبقات حديدية كثيرة .

وقد شاهدت في أثناء طوافي نحو عشرة مساجد مختلفة الحجم وتستعمل جميعها كمدارس للاولاد وفيها مدرسون خصوصيون يتناولون رواتب شهرية من الحكومة وقد اجتمعت بأحد هؤلاء المدرسين وسألته كم عدد سكان مدينتكم فقال سبعة آلاف فقلت له هل هي قديمة كصنعاء ودمار ؟ فقال كلا ، ليست هـذه البلد قديمة وانما بنيت قبل أربعمائة سنة وأما البلد الأصلية القديمة فهي بهذه الجبال التي أمامنا ويقال لها « بريمة » وفيها آثار حميرية الى هذا التاريخ فقلت وهل يوجد عندكم أشغال وصناعات يدوية؟ فأجاب صناعتنا قليلة لأن بلادنا زراعية ومعظم أهلها يشتغلون بالزراعة فقلت رأيت يهوداً في الطريق فهل هم كثيرون عنـدكم ؟ فقال كلا ليسوا بكثيرين . فقلت وماذا يتعاطون من الأشغال ؟ فقال جميع الأشغال اليـدوية كالنجارة والحدادة والحياطة والترقيع الخ فقلت وهل يوجد لهم كنائس ومدارس؟ فأجاب لهم مدرسة واحدة وكنيسة واحدة فقلت وهل للمسلمين مدارس خاصـة غير المساجد ؟ فقال نعم ، يوجد عندنا مدرسة واحدة للحكومة يدرس فيها التلاميذ ثلاث سنوات ثم يذهبون الى دمار أو صنعاء لاتمام دروسهم في مدارسهما العالية

واجتمعت في بريم أثناء طوافي بأحـد الجنود الذين تعرفوا إلى بصنعاء ورافقوني مدة فيها واسمه محسن السياني ولما رآني راكضاً نحوي مسلماً وقال هل تغادر اليمن ؟

فقلت نعم انى فى طريقى الى مصر الآن فقال لماذا لم تبق عندنا فى اليمن؟ ان اليمن جميلة ورخيصة فقلت لى بعض الأشغال أروم قضاءها وأنت يامحسن الى أين ذاهب؟ فقال انى ذاهب بمعية الشيخ محمد حميد باشا الى بلاده ؟ فقلت ومن هو هـذا الباشا ؟ فقال هو شيخ كبير كان رهينة عند جلالة الامام بالقصر بصنعاء وقد توفى والده فأذن له جلالة الامام أن يذهب الى بلاده ويقوم مقام أبيه وما كاد محسن يلفظ هذه الجملة حتى رأيت شابا نحيل القوام والجسم أصفر اللون آتيا نحونا ، ولما رآه محسن أشار لى بشفته اشارة معنوية فأدركت للحال ان هذا الشاب هو محمد حميد باشا فامتنعت عن الـكلام الى أن مر بنا الباشا وحيانا وعلامات التأثر العميق بادية على وجهه ، فرددنا تحيته بأطيب منها وعزيناه فى أبيه بالألفاظ المألوفة فتمتم بعض الـكلمات ونادى بمحسن هيا بنا فودعنى محسن وانصرف وأنا أفـكر فى أمر هذا الشاب وحلم جلالة الامام ورأفته وكيفية تركه الرهائن عند حلول الشدائد بعدما أتممت طوافى فى البلد عدت الى الدار أى السمسرة التى حللنا بهـا وتناولت ماتيسر من الطعام ونمت حتى الصباح ولكنى استيقظت مرارا بالليل لمهاجمة البق لى مهاجمة عنيفة وما كاد يطلع نور النهار حتى هببت من الفراش وناديت صاحبة الدار وطلبت اليها أن تصنع لنا طعاماً فصنعت لنا شاياً وقهوة وجلبت لنا حليباً ولبناً وقشطة وسمنا وعسـلا فأكلنا هنيئا وشربنا مريئا ثم حملنا بغالنا وخرجنا من السمسرة وما كدنا نسير بضع خطوات حتى رأينا الماء القذر بشوارع البلدة قد تجلد فصار يـكسر تحت أقدامنا وأقدام بغالنا ودام الجليد فى طريقنا الى أن طلعت الشمس فأخذ يذوب أمام حرارتها الشـديدة رويدا سريعا ومرت حرارة الشمس بسرعـة الى أجسادنا فشعرنا بالسخونة بعد البرودة وبحركة الدم العنيفة بعد الخفيفة

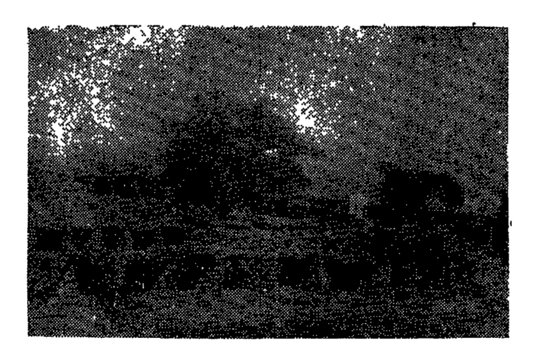
المحادر

كانت وجهتنا اليوم قرية المحادر وسارت طريقنا فى البدء فى واد ضيق أخذ يتسع شيئا فشيئا كلما سرنا الى الجهة القبلية حتى أصبح سهلا واسعا بعـد مسير بضعة كيلو مترات وقد رأيت بعض الجداول الصغيرة فى هذا الوادى وقد غرس الأهلون حولهـا

حنطة وشعيرا وفصة ويتنهي هذا الوادي الذي يقال له قاع الحقل بقبل الصرنة وهنا تبدأ الطريق بالصعود في جبال وعرة وهي غير معبدة ولا تصلح لسير السيارات وقد شاهدت في واد متسع بين هذه الجبال نهرا كبيرا ينساب انسياب الأفعى ويوجد الى جانبيه حقول كثيرة من الذرة والحنطة والشعير وبعدما اجتزنا نقيل الصرنة مررنا بواد متسع ثم صعدنا بنقيل آخر عظيم يقال له نقيل سمارة ويبلغ علوه عن سطح البحر ١٠١٠٠ قدم وقد حول الأهلون جنبات الجبال القائمة حول هذا النقيل المطيم الى حقول غناء زرعوها بنا وقاتا ويوجد في هذا الجبل قرية سماره وقرية بيت هديان وقرية منزل سمارة ، أما قرية بيت هديان فهي آخر قرى الزيود وقرية منزل سمارة الواقعة بين بيت هديان وسمارة فسكانها خليط من الزيود والشوافع وأما قريه سمارة فهي أول بلاد الشوافع وقد شاهدت فيها أشجارا مثمرة كالتالوك والدراق والمشمش والخروب والجوز واللوز وغير مثمرة كالطلب والسديان والبلوط والعبب وغيرها ويصلح شجر العبب للخشب وأما الطلب والسدىان والبلوط فلا تصلح الا للحطب وقد رأيت بعد اجتيازنا لقرية سمارة مياها كثيرة وحقولا متسعة معروسة بنا وتنباكا وحنطة وشعيراً وذرة صفراء وبيضاء وغيرهما من النباتات الصيفية والشتوية وينمو جميعها بعضهـا الى جانب بعض في فصل واحد وفي آن واحد وليس هذا بغريب في البلاد العربية السعيدة لقربها من خط الاستواء

بعد اجتزنا قرية سمارة ابتدأنا نرى اختلافا في أزياء الناس نساء ورجالا فالنساء هنا يلبسن البرانيط المصنوعة من القش فوق حجبهن ويتركن سواعدهن عارية ويلبسن أثوابا ملونة من الاقمشة القطنيه أكثرها من صنع المانيا واليابان وأما الرجال فشبه عرايا الا من مآزر يشدونها الى وسطهم وعمائم بيضاء يلبسونها فوق رؤوسهم ، وتختلف جنبياتهم عن جنبيات الزيود فجنبيات الزيود مستطيلة وأما جنبيات الشوافع فمحدودبة وكان أكثرهم يحملون شمسيات بيضاء وعلايين طويلة محشوة تنباكا وصلنا الى المحادر بعد مسير ثماني ساعات وقد أنهكنا التعب ولم نجد العامل في انتظارنا بل قابلنا أحد الموظفين واعتذر عن العامل بقوله انه مشغول كثيرا وانه أوفده بالنيابة عنه ليرحب بنا فشكرناه على هذا الترحيب وقادنا الى دار قال انه أعدها خصيصاً لنزولنا وودعنـا وانصرف

دخلنا الدار فاذا بها تشبه الحصون القديمة درجها لولبي وفى جدرانها رمايات للمنجنيق وهى قذرة جدا صعدنا الى الدور الثالث وهو الدور الأخير وأمرنا الخدم بتنظيف غرفه وفتح نوافذه ولما تمت هذه العملية غير الموفقة مددنا أسرتنا السفرية وانطرحنا عليها نطلب الراحة وكانت هذه المرحلة التى قطعناها فى هذا النهار أصعب مرحلة فى طريقنا بين صنعاء وعدن ولكننا حمدنا الله فى نهايتها على وصولنا بالسلامة ولم نخرج مساء للقرية بل بقينا فى الدار فتناولنا طعامنا ونمنا حتى الصباح وفى الصباح نهضت حسب العادة مبكرا وهبطت الى القرية فرأيت مسجدا صغيرا قد أمه الطلبة لتلقى دروسهم على امامه فجلسوا حوله وكانوا يقرأون بصوت مرتفع دفعة واحدة اجتزت هذ الجامع وتغلغلت بين بيوت القرية وأزقتها فوجدتها صغيرة حقيرة فيها بعض دكاكين مملوءة ببضاعات مختلفة وقد جلس فى أكثر هذه الدكاكين اناس من اليهود وقيل لى انهم كثيرون فى هذه القرية وتحدثت الى أحدهم فشكا لى من الضرائب فقلت ولكن مالك وللضرائب وأنت رجل يهودى لا تدفع سوى الجزية وهى يسيرة جدا بالنسبة الى مجموع الضرائب التى يدفعها المكلف المسلم ، فقال أنا لا أتكلم عن الجزية لأنها فى الحقيقة يسيرة ولكن الضرائب الى يدفعها المسلمون فادحة فقلت ما ذا يدفعون ؟ فقال عشر جميع المحصولات ويدفعون رسما على الحيوانات فقلت فى جميع بلاد الناس وخاصة فى البلاد التى كانت تابعة للدولة العثمانية يدفع المكلف عشراً ورسما على الحيوانات وعلاوة على ذلك يدفع ضريبة على شخصه تسمى (دروبية) أو (حورانية) ويدفع رسوما على سكنه وجميع أملاكه كتمتع وويركو ورسوم اعلانات وبارية وغير ذلك من الضرائب ولما سمع اليهودى هذا الحديث أخذ بصفر واستغربه جدا وصار يتحرك حركات غريبة بيده وفمه فقلت الأفضل لك يا يهودا ولاصحابك المسلمين أن لا تستكثروا الضرائب عندكم لأنها يسيرة جدا بالنسبة الى الضرائب فى بلاد العالم وقد اجتمع علينا فى أثناء هذا الحديث خلق كثير من يهود ومسلمين وقد أخذهم العجب من هذا الحديث كل مأخذ وحمدوا الله فى نهايته على حالهم



سوق الأحد قرب مدينة إب و يأتيها الناس من البلاد القريبة
كل يوم أحد للبيع والشراء والمقايضة

عدت الى الدار بعد اتمام طوافى فى البلد فوجدت الجند على أهبة المسير فسرنا باسم الله ووجهتنا مدينة إب وكانت طريقنا تسير هبوطا فى واد وعر لا تسلكها غير الحيوانات مدة من الزمان وقد رأيت فى الجبال حول الوادى عروقا كثيرة من (الكوارتز) أى الحجر الأبيض الصلب التى توجد بعض المعادن الثمينة فيه فى أكثر الأحيان والجبال فى هذه الجهات مكسوة بالاشجار الكبيرة والصغيرة المثمرة وغير المثمرة ثم عرجت طريقنا منها فى جوف وديان كثيرة خصبة ترابها رخو ناعم وتنمو فيها أنواع كثيرة من النباتات كالتبن والذرة والتنباك والحنطة والشعير وغيرها وشاهدت على بعد ساعتين تقريبا من المحادر غيلا كبيرا يشبه أنهارنا ينساب بين الوديان انسيابا ثم يخرج الى سهل واسع بالقرب من سوق السبت حيث رأيت كثيرا من النساء يملأن ماء منه وبعلت فى كثير من نساء هذه البلاد الشبه بالزنوج وبعضهن زنوج تماما قبل أن نصل الى إب بنحو ساعة من الزمن أخذت طريقنا تصعد فى ثقيل

ـ المراس يقال له نقيل الدهوب والعريب فى هدا النقيل انه مرصوف بالحجارة
معاً وقد دكرنى رصفه بالازرق الواقع على طريق الحج بين الشام وعمان



مدينة إب

وقد رأينا من رأس هدا النقيل مدينة إب العظيمة زاهية زاهرة تتيه عجباً ودلالا
فوق رءوس الهضاب والتلال الرا كمة تحت أقدامها وقد ازدانت هده التلال
والهضاب الكثيرة بالساتات والأشجار فرأيت فيها الجوز واللوز والعنب والرمان
والسفرجل والدراق والمشمش والاجاص والفحل والجرر والمقدوس الى غير دلك من
النباتات والأشجار الكثيرة وقبل أن نصل الى البلد بكيلومتر واحد تقريباً وجدنا
اس عاملها على الطريق فى انتظارنا ولما أقبلنا عليه حيانا مرحباً ومهنئاً بسلامة الوصول
بالنيابة عن والده اسماعيل بك باسلامه وبالاصالة عن نفسه فرددنا تحيته بأحسن منها
فامتطى جواده وسار أمامنا الى أن وصلنا الى مدينة إب وقادنا حضرته الى دار الحكومة
حيث اعدوا مكاناً لنزولنا وتقع دار الحكومة فى أول المدينة خلف السور وهى بناية
ضخمة مبنية بالحجر الابيض المنحوت وبعد الاستراحة قليلا خرجت الى المدينة

وطفت أسواقها وعرجت على جوامعها الكثيرة الجميلة المستعملة كمساجد ومدارس فى آن واحد ورأيت سايات ضخمة قد تداعت أطرافها وهى من أيام حمير ومكتوب على كثير من حجارتها وأبوابها ومساندها كتابات مطولة بالخط الحميرى ومررت ببعض المدارس وكان التلاميذ يقرأون بالجملة كما هى عادتهم وطفت بالاسواق وهى ضيقة ولكنها مرتبة ونظيفة ومرشوشة ودكاكينها مـلأى بالبضائع الأجنبية والمحصولات الوطنية وبعد الطواف فى المدينة عدت الى الدار وما كاد يستقر بنا المقام حتى جاءنا العامل اسماعيل بك باسلامه يرفل بأثوابه الحريرية وعمته البيضاء وحسامه المذهب اليمانى وسلم علينا قائلا حى الله من قد جاء كيف أنتم وكيف رحلتكم ؟ عسا كم لم تلاقوا أتعاباً فى الطريق ، فشكرته على زيارته وقلت انا مسرورون جداً من رحلتنا التى تنسى مخاطرها أتعابها وانا سعداء جداً بمقابلته اذ سمعنا عن لطفه وأنسه شيئا كثيرا وها هو ذا يحقق لنا كل ماسمعناه وقرأناه عنه وبعد هذه المجاملات المألوفة فى مثل هذه الأحوال سألت حضرته كم عدد نفوس مدينة إب ؟ فقال نحو عشرين ألفاً ، فقلت وكيف حال (الشوافع) والزيود ؟ وحضرته شافعى فقال على أحسن حال فقلت انا قرأنا فى بعض الكتب والجرائد قبل أن نزرنا اليمن ان الزيود يستبدون بالشوافع ويستأثرون بالوظائف دونهم ويعاملونهم معاملة سيئة فهل هذا صحيح ؟ فقال أنا رجل شافعى وأنا حر الارادة ومطلق التصرف فى إب أولى من أشاء وانحى من أشاء من الموظفين ولا يتدخل جلالة مولانا الامام ولا حكومته البهية فى هذه الشؤون الطفيفة وقد خولنى السلطة اللازمة لان أحكم الناس حكماً اسلامياً شرعياً لا فرق عندى بين زيدى أو شافعى وكل ما سمعتم من الدعايات الخارجية ان هى الا كذب وافتراء على اليمن وأهله ولا شك ان لمروجيها غايات غير شريفة فقلت ألم يكن الحكم أيام الدولة العثمانية أفضل من حكم الامام وحكومته ؟

فقال شتان بين الحكمين ان الحكام العثمانيين من ولاة ومتصرفين كانوا يحكمون البلاد حكماً كيفياً استبدادياً ولم يطبقوا الشريعة الاسلامية كل مدة وجودهم باليمن وأما الامام فمنذ استولى على الحكم الى هذا التاريخ فهو يحكم بالعدل ويتبع الشريعة

الاسلامية الغراء ولا يفرق بين واحد وواحد من رعيته ولو كان ذلك الواحد يهودياً فالعدل ناشر أعلامه فوق سطح اليمن من أقصاها الى أقصاها والامن مستتب فى كل الجهات ويمكن للمرء أن يسير أنما شاء وهو أمين على نفسه وماله فقلت وهل يقول جميع الشوافع هذا القول ؟ فأجاب لاشك ان كل منصف من الشوافع وغيرهم من سكان اليمن يؤيد هذا القول وشبهه، وان سمعتم بعض الشكاوى من بعض الناس فلا شك انهم يشكون لأسباب شخصية وحزازات نفسية وهذه امور لا تخلو منها بلد من بلدان العالم مهما رسخ كعبها فى الحكم والعدل . فقلت وهل الشوافع مسرورون وراضون عن حكم الزيود لهم؟ فقال انمعظم حكام بلاد الشوافع وعمالها وموظفيها هم من الشوافع أنفسهم فاذا كان لهم ما يشكون منه فشكواهم ليست من الزيود بل من نفس اخوانهم الشوافع فقلت ما هى أهم الصناعات عندكم ؟ فقال انالزراعة هى أهم الصناعات عندنا ومعظم أهل هذه المدينة وما يتبعها من القرى والدساكر يشتغلون بالزراعة فقلت وما هى أهم محصولاتكم ؟ قال البن والقات والأثمار بانواعها والخضروات والحبوب كالذرة والشعير والحنطة والتبن والتنباك ، ثم سألته عن طريق القوافل بين حضرموت واليمن ، فقال ان طريق القوافل كانت قديماً تمر من حضرموت الى البيضاء فردع فذمار فصنعاء فقلت وهل توجد بين صنعاء ولحج طريق غير الطريق التى نتبعها نحن فىرحلتنا ؟ فأجاب نعم يوجد طريق تمر بصنعاء، ذمار ، يريم ، السدة ، قعطبة ، الضالع ، نافع ، لحج ، ويقال لهذه الطريق الشرقية وهى أسهل من الطريق التى نتبعها نحن فى هذه الرحلة ولكنها أطول منها ويمكن للجمال المحملة أن تسير عليها بسهولة فقلت هل يوجد عندكم يهود ؟ فقال نعم يوجد عندنا يهود ولكنهم قليلون فقلت وماذا يتعاطون من الاشغال ؟ فقال الأشغال اليدوية كالنجارة والحدادة والبناء والترقيع والحياكة الخ فقلت ارجوكم ان تسمحوا للحاخام انيأتى ويزورنى ليلا فقال حباً وكرامة وودعنا وانصرف بعد أن طلب الى ان اعطيه عنوانى فىمصر فاعطيته اياه وبعد ماانصرف من عندنا ذهب ليقوم بدورته اليومية فى المدينة لان حضرته ينسج على منوال جلالة الامام ويطوف يومياً فى المدينة

متفقداً شأن الاهلين ومتقبلا شكاويهم ومطالبهم ويقف فى اثناء جولته ويكلم كل انسان يريد مخاطبته، ولعمر الحق هذه عادة جميلة توارثها جلالة الامام واولاده وعماله عن السلف الصالح فصار بامكانهم بهذه الواسطة ان يصلوا الى صميم افراد الشعب ويدركوا مطالبهم وشكاويهم فلا يحسر موظف مهما كان شأنه أن يستبد بأمور الرعية لأن الشكوى ترفع اليه حالا

حديث مع الحاخام حسن جمل

فى الليل أتانا حاخام اليهود واسمه حسن جمل والغريب فى أسماء اليهود باليمن انها تشابه اسماء المسلمين (فاسم حسن مثلا اسم اسلامى بحت ولكن اليهود يستعملونه ولا يرون فى استعماله غضاضة)

وقد جرى بينى وبين هذا الحاخام حديث طويل ألخص نصه للقارئ الكريم لأنه يختلف عن أحاديث غيره من الحاخامين الذين قابلتهم قبله بجرأته وصراحته

(س) كم عدد اليهود فى هذه المدينة ؟

(ج) يبلغ عددهم نحو مائتين وخمسين شخصاً

(س) ماذا يتعاطون من المهن ؟

(ج) المهن اليدوية كالغزل والحياكة والنجارة والترقيع والحدادة والبناء الى غير ذلك

(س) متى جاء اليهود الى اليمن ؟

(ج) جاءوا الى اليمن بعد خراب الهيكل فى أورشليم أى منذ ٢٢٢٥ سنة

(س) ألم يوجد فى اليمن يهود قبل مجيئهم من القدس ؟

(ج) كلا ان أصل يهود اليمن من أورشليم وليسوا من سكان اليمن الأصليين

(س) كيف حالكم مع المسلمين الشوافع ؟

(ج) ان حالتنا معهم سيئة جداً فهم يشتموننا ويتعدون علينا

(س) هل تسكنون واياهم فى حى واحد ؟

(ج) كلا نحن نسكن فى حى منفرد وبعيد عن احيائهم ولا نختلط بهم الا عند مسيس الحاجة

(س) ألا تشكون منهم اذا اعتدوا عليكم ؟

(ح) نعم نشتكي منهم واذا أثبتنا اعتداءهم علينا فالعامل يجازي المعتدي بالسجن والجزاء النقدي ولكننا لا نرغب في الشكاوى ولا في الدخول مع أحد القبائل في القال والقيل

(س) واذا اعتدى يهودي على يهودي فماذا يعمل المعتدى عليه ؟

(ح) يشكو أمره الى الحاخام

(س) لماذا لا يشكو أمره الى العامل ؟

(ح) لأننا لا نحب كما ذكرت لك القال والقيل مع المسلمين

(س) قابلت غيرك من الحاخامين في بلاد الزيود كصنعاء وريم ودمار فلم أسمع منهم شكاوى من الزيود ؟

(ح) أنا لا أعرف صنعاء وغيرها من البلاد التي ذكرت ولا أعلم حقيقة موقف الزيود من اليهود ولكني سمعت من بعض يهود تلك البلاد بأن معاملة الزيود لهم هي معاملة ناهية (أي جيدة) ربما كانت أفضل من معاملة الشوافع لنا

(س) وكيف كانت معاملة الترك لكم ؟

(ح) لا تختلف عن معاملة المسلمين فبعض الحكام كانوا ينصفوننا وبعضهم كانوا يستبدون بنا

(س) هل هاجر منكم أحد الى فلسطين ؟

(ح) كلا لم يهاجر منا أحد الى فلسطين

(س) هل توجد بينكم وبين الصهيونيين في فلسطين علاقات ومخابرات ؟

(ح) نعم هم يكتبون لنا أحياناً وأحياناً يرسلون لنا جرائد ونشرات ولو أرسلوا لنا دراهم لرحل كثير منا الى هناك

(س) لماذا لا ترحلون من تلقاء أنفسكم ؟

(ح) أولا لأنه لا يوجد لدينا المال الكافي لترحيلنا وترحيل عيالنا وثانياً لان جلالة الامام قد منعنا من الهجرة الى فلسطين

(س) ولكن أخبرني بعض الحاخامين انه يوجد لهم أقارب في يافا والقدس فكيف سافر هؤلاء الناس ؟

(ح) انهم يعبرون فراراً دون علم الامام وحكومته ويذهبون الى عدن عن طريق البر ومن هنالك يسافرون الى أرض الميعاد

(س) وماذا تعنون بأرض الميعاد ؟

(ح) ان أرض الميعاد هي فلسطين وسيأتي يوم يعود فيه جميع اليهود في العالم الى أرضهم ومكتوب عندنا في الكتاب بأن أرض الميعاد هي لليهود وان البريطانيين سيملكونها ويملكون جميع العالم بضع سنين ولكن في نهاية الأمر سيظهر المسيح الموعود وينتهي بظهوره كل حكم غير يهودي على هذه الأرض

(س) وهل يصبح جميع العالم عندئذ من اليهود ولليهود ؟

(ح) نعم هكذا جاء في الكتاب فبي ظهور المسيح الموعود سيتهود جميع العالم وتزول جميع السلطات والحكومات

وقد كان هذا اليهودي الهرم البالغ من العمر عتياً يحدثني هذا الحديث وهو واثق من صحته كل الوثوق وقد أبديت له شيئاً من التهكم في أثنائه فكان لا يلتفت الى تهكمي



أحد الجسور المبني من الاحجار المرصوفة بعضها فوق بعض بدون طين أو ما أشبهه وقد عبرنا فوقه في مرحلتنا الى السابق

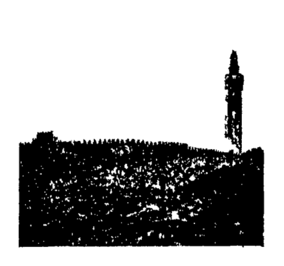
ويسترسل فى حديثه ويستعين بعبارات صوته وبيديه وقدميه لاثبات صحة هذه النبوءة الواردة فى كتابه القديم، أجارنا الله منها ومن شرها

قضينا ليلتنا فى إب على أحسن حال وفى الصباح نهضنا مبكرين كالعادة وبرنامجنا فى إب الى مرحلتنا الاخيرة فى بلاد الامام وهى قرية ماوية وسارت بنا الطريق أولا فى واد متسع فيه أشجار وباتات ثم صعدت فى نقيل وعر لايمكن للسيارات أن تجتازه ويقال له نقيل المحمول وتكثر على هذه الطريق سبل الماء والمساجد الصغيرة وبعد أن صعدنا الى قمة نقيل المحمول هبطنا منه فى نقيل آخر يقال له نقيل الحرس ثم سرنا فى واد سهل الى أن وصلنا الى قرية السيانى وفى الطريق رأيت حقولا كثيرة من نبات غريب لم أشاهد مثله من قبل فسألت أحد الرفاق عن اسم هذا النبات فقال هذا هو الحلبة فأخذت شيئاً منه فلم أجد فيه رائحة الحلبة عندنا بالرغم من أنه ينتمى الى نفس الفصيلة وفى قرية السيانى الواقعة على مفترق طريقى إب وتعز وجدنا أمير جيش تعز السيد على الوزير التابعة لحكمه هذه القرية قد أوفد مندوبا من قبله ليستقبلنا ويرحب بنا باسمه وقد أعد لنا هذا المندوب غرفة للاستراحة وجلب لنا معه شيئاً كثيراً من الطعام فأكلنا من طعامه وشكرنا للسيد الوزير كرمه وقد أتيح لى فى رحلتى الاخيرة الى اليمن أن أجتمع بالسيد على الوزير اجتماعاطويلا وأقضى فى ضيافته عدة أيام فوجدته رجلا حازما مقداما نشيطا كريما عالما بالسياسة وأحوالها ومطلعا على الأحوال العالمية تمام الاطلاع وهو محبوب فى تعز حباً جماً للطفه وعدله وتمسكه بما أمر الله به ونهى عنه رسوله (ص)

الطيارات الانكليزية ترمى ماوية بالقذائف

وفى أثناء استراحتنا فى المنزل تقابلنا مع رجل تركى الأصل بقى فى اليمن بعد أن نزح الأتراك عنه ويدعى محمود مصطفى وروى لنا انه كان فى تعز وفى المنطقة التى ألقى عليها البريطانيون قنابلهم، قال طلب البريطانيون من الامام أن يتخلى لهم عن الضالع وحليلة وقعطبة وألقوا بعض المناشير على تعز ودمار وماوية وإب يقولون فيها انهم سيلقون قنابلهم على هذه البلاد ان لم تخل جنود الامام الضالع وحليلة وقعطبة وحددوا

اليوم السابع من شهر رجب سنة ١٣٣٦ موعدا للضرب ومن البديهى ان جنود الامام ماأخلت هذه الاما كن لذلك جاءت فى اليوم المذكور أسراب كثيرة من الطائرات وألقت قنابلها على جميع البلاد التى ذكرتها وألقت القنابل أيضا على قرية شهاب الواقعة بالقرب من ماوية فقتلت ولدين وضربت قرية عمر الصمدة فجرحت أربعة من الجنود وأما فى تعز المدينة الكبيرة الآهلة بالسكان فقدكانت الخسارةجسيمة جداً إذ بلغت نحو ٣٠٠ شخص بين قتيل وجريح ومعظمهم من الأولادوالنساء وفى يريم قتلت امرأتين ورجلين وفى قرية النادرة امرأتين . ومعظم هذه القرى التى ألقت الطائرات قنابلها عليها لم تكن داخلة فى الانذاروعلاوة على القاءالقنابل كانت الطائرات تمطر الناس على الطرقات العامة وابلا من رصاص رشاشاتها وقد أحدث الرصاص ضرراً جسيما بأبناء السبيل كما هدمت القنابل كثيرا من المنازل والدور فى البلاد التى أنذرت والتى لم تنذر . وذكر لنا محدثنا بأن أهالى اليمن من أقصاه الى أقصاه جزعوا جزعا عظيما من الطائرات وكانواحينما يرونها يعدون أمامها ذات اليمين وذات اليسار واستولى الخوف والذعر على قلوبهم ونفوسهم

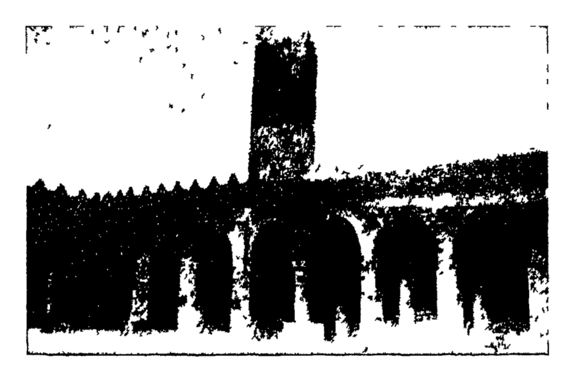


مسجد جند الذى بناه معاذ بن جبل أيام النبى ﷺ

فی ماوية

بعد أن سمعنا حديث هذا الرجل بالسيانى ركبنا بغالنا وسرنا نطلب ماوية والطريق أمامنا جيدة تصلح لسير السيارات وقد مررنا فى أثنائها بجامع نحلان وهو جامع قديم مبنى فى قرية نحلان التى تبعد عن الطريق بنحو كيلو متر واحد ومررنا أيضا بجامع الجند وهو أول جامع بنى فى اليمن بناه الصحابى المشهور معاذ بن جبل عندما ولى اليمن منذ أكثر من ١٣٠٠ سنة وهذان المسجدان يشبهان مساجد الحجاز وخاصة مسجد جند وهو كبير وجميل وله نوافذ كبيرة بادية للعيان ولكن أعداء الهواء والبرد سدوا هذه النوافذ طلبا للتدفئة فشوهوها كثيرا وقد شاهدت فى الطريق الى ماوية بعض الطبقات الحديدية على الآكام الى جانبى الطريق وشاهدت أيضا الأشجار والادواح الكبيرة يتضاءل حجمها كلما سرنا جنوبا الى أن تغيب مرة واحدة ويظهر عوضا عنها هنا وهنالك نبات يشبه الصبر أو الصبر عندنا ورأيت أيضا فى الطريق بعض الانهار والجداول وقد أقام عليها رجال الدولة العثمانية جسوراً حجرية فى عدة أماكن وتجرى مياه هذه الجداول والأنهار الى السيمير وهى عاصمة احدى المحميات التسع

وصلنا مساء الى ماوية فوجدت وكيل العامل فى انتظارنا فاستقبلنا أحسن استقبال وأخذنا الى دار أعدت خصيصاً لنزولنا واعتذر عن عدم مجيء العامل لمقابلتنا بقوله انه مريض وطريح الفراش فقلت عافى الله العامل وحفظه لكم ذخرا وعونا فقال هل من حاجة أو خدمة ترومون قضاءها فقلت لاحاجة بنا الى شيء وشكرته على حسن وفادته فقال استودعكم الله فقلت بأمان الله وما كاد يغيب رسول العامل عنا حتى أتانا بحل العامل ومعه بعض الخدم يحملون لنا طعاما وشمعاً وفى هذه الليلة اضطررنا أن نسهر على نور الشمع اذ لم نجد كازا فى الدار التى حللنا بها وكان رفقائى فى هذه السهرة ابن العامل وأحد أقربائه ورجل ثالث من ماوية يقال له محمد حميد وقد ساح فى بلاد أوربا وقضى زمناً طويلا فى ربوعها ولما عاد الى اليمن كان يقص بعض مشاهداته عن بلاد الغرب ولكن الناس كانوا يهزأون منه ولا يصدقونه لذلك أخذ يقص على



مسجد جدة من الداخل

جلسائنا الذين ازداد عددهم شيئاً فشيئاً عن عظمة دور أوروبا وبنائها وشوارعها وفنادقها وقطاراتها وسياراتها وعرباتها الخ وكان كلما استغرب القوم شيئا ذكره يستشهد بنا ويطلب منا أن نبين الحقيقة لهم فكنا نصادق على كلامه وكانت الدهشة والاستغراب يستوليان على هؤلاء الناس البسطاء الذين لا يعرفون شيئا عن المدنية العربية والى أعظمهم لعدم معرفتهم شيئا عن هذه المدنية فسماعك بالمعيدى خير من أن تراه وقد وجه لي غير واحد من هؤلاء الناس أسئلة كثيرة عن الطيارات وكيفية اتقاء شرها وأبدى الجميع اهتماما زائدا بالمحاضرة الصغيرة التي ألقيتها عليهم بشأن كيفية مقاومة الطائرات وأما السبب في سؤالهم اياى هذه الأسئلة فلأن الطيارات كانت قد هاجمتهم قبل مدة كما رويت سابقا وكانوا اليوم في خطر لمهاجمتها لهم ثانية وفي الحق اني رأيتهم قلقين جدا وكثير منهم صرحوا لي بأنهم سيهجرون القرى ويأوون الى الاحراج والكهوف اذا هددهم الانكليز بالقاء القنابل مرة ثانية

الوسيلة الناجعة فى مكافحة الطيارات

وبعد أن ودعت القوم وانصرفوا رأيت من المناسب أن أكتب كتابا لجلالة الامام أولا أشكره فيه على العطف السامى الذى شملنى به كل مدة اقامتى باليمن وثانياً لأذكر له كيفية اتقاء شر الطائرات وبالفعل كتبت كتابا مطولا ذكرت فيه بعض الشروط الآتية لمقاومة الطائرات —

(١) نصب مدافع فوق القرى المهددة بالضرب ومقابلة الطائرات حين ظهورها بضربها بالقنابل مهما كانت عالية .



أحد الاسواق فى مدينة تعز

(٢) اعداد قوى كافية من الجند فى أمكنة مرتفعة ومقابلة هذه الطائرات برصاص الرشاشات والبنادق وبديهى أن الطيارين عندما يشعرون بالقذائف والرصاص حولهم يضطرون أن يبقوا مرتفعين فى الفضاء وكلما زاد هذا الارتفاع أصبحت اصابتهم للاهداف التى يلقون عليها قذائفهم متعذرة لا بل مستحيلة

(٣) عند ما يرى الناس طائرة قادمة نحوهم يجب أن يجلسوا الى الأرض فى أماكنهم ويجب أن لا يقوموا بأية حركة لأن الطيار لا يفرق بين الانسان والصخر والأشجار الا من حركة الانسان

(٤) اذا كان الجيش ماشياً ورأى طيارة مرتفعة أكثر من الف متر فيجب عليه أن يقف بمكانه ولا يتحرك الا بعد أن تغيب عن أنظاره واذا كانت الطيارة أدنى من الف متر فيجب على الجند أن تسطح الى الأرض حالا لأن الطيار لا يمكنه أن يحقق الهدف متى كان على علو ١٠٠٠ متر وأما اذا كان أدنى من الف متر فبامكانه أن يحقق الهدف أكثر فأكثر

(٥) على الجند والاهلين فى المناطق المهددة بالضرب أن لا يلبسوا على رؤوسهم وأجسادهم ألبسة ملونه بالالوان الزاهية كالاحمر والأصفر بل يجب أن يلبسوا البسة قريبة من لون أرضهم وأفضل الألبسة فى مثل هذه الاحوال هى ذات اللون (الكاكى) التى يلبسها الجنود فى البلاد المتمدنة ومن دواعى سرورى أنى علمت عندما زرت اليمن فى السنة التالية أن جلالة الامام اهتم بكتابى وعمم صوره على جميع القطع العسكرية والعمال



بوابة مدينة رسد القريبة من تعز

فى الصباح نهضت مبكرا ودفعت بكتابى الى حلالة الامام لأحد الجنود وقلت له يجب أن تسلم هذا الكتاب من يدك الى يد مولانا الامام فقال سمعا وطاعة وودعنى الجنود وعادوا أدراجهم الى صنعاء لأن ماوية هى آخر حدود الامام ولا يجوز للجند أن يتخطاها الى حدود المحميات ولكن يسمح للاهلين (السفيل) أن يروحوا ويغدوا بين اليمن والمحميات دون أن يعترضهم معترض بعد ما ودعت الجند شعرت بوحشة شديدة فنزلت من الدار واخذت أطوف فى القرية فاذا بها قرية صغيرة حقيرة وهى تابعة للواء تعز وعليها عامل من قبل أمير جيش تعز وفيها مركز للتلغراف ودار للجمرك ودار الجمرك كبيرة وفسيحة تتوقف فيها القوافل فى ذهابها وايابها الى المحميات حيث تؤدى رسوم البضائع التى تحملها من عدن

زرت وكيل العامل فى مقامه وطلبت اليه أن يستأجر لى بعض البغال لتنقلنى الى لحج وفى الحال أمر حضرته من يلزم فجلبوا لى عدة بغال استبقيت منها ثلاثا واحدا لركوبى واثنين لتحميل حوائجى وأخذتها وسرت الى الدار فحملنا الحوائج على اثنين وامتطيت الثالثة وسرت مع رفقائى الجدد وكانوا ثلاثة من شوافع ماوية فى طريقنا الى المسيمير

فى الطريق الى المسيمر

لم نكد نخرج من ماوية حتى تبعنا أناس كثيرون كانوا يريدون السفر الى لحج أيضاً وكان بينهم شاب تدل ملامح وجهه على كونه غير عمانى فاختلطنا بهم وسرنا سوية فاقترب منى هذا الشاب وقال السلام عليكم بلهجة تبدو فيها نغمة تركية فقلت وعليكم السلام يظهر لى أنك ياحضرة الأخ لست يمانيا فقال كلا أنا تركى الأصل وقضيت زمنا طويلا فى اليمن فى الجيش العثمانى وبعد ارتحال العثمانيين بقيت فى اليمن واتخذت مدينة تعز موطناً لىوصرت أتعاطى التجارة والآن أنا ذاهب الىعدن لجلب بعض البضائع التجارية فقلت أهلا وسهلا بك ان شاء الله ستكون لنا خير الرفيق على هذه الطريق لأنى أنا أيضاً سائر الى عدن فاستأنس الرجل بكلامى وسار الى

حانی وحدثنی كثيرا عن معادن اليمن وخاصة الفحم الحجری فی منطقة قرية من تعز يقال لها الحجرية قال ان الفحم والـكار موجودان هنالك وان الأهلين يستعملونه للوقود وشكا لی من تأخر اليمانيين وعدم ميلهم للاخذ بالمدنية الحديثة وتمسكهم بكل شیء قديم الى غير ذلك من الأمور فسألت هذا الرجـل عن اسمه فقال انه يدعى حسين حاويش سرنا مسافة ساعة ونصف ساعة فی وديان وتلال شاهدت فی بعضها طبقات من الحـديد وعروقاً من الـكوارتز ويكثر فی هذه الطريق أنواع صغيرة من الشجر تصلح للوقود وهی غير مثمرة . وصلنا الى الدريجة بعد مسير ساعتين من ماوية والدريجة هی أول حدود سلطان السيمير وقبل أن أصل اليها بمسافة وجيزة التفت الى الوراء نحو اليمن معقل النسور والأسود ونفسی ملأى بالذكريات الجميـلة اللذيذة الى تركتها بين حواجی هـذه السياحة الطويلة فشعرت كأنی أغادر أهلی ووطنی وبيتی وأودع أمی وأبی وكأن لسان حالی يردد قول الشاعر العربی

ودعته وبودی لو يودعنی طيب الحياة وانی لا أودعه

ولا أبالغ اذا قلت انی لم أشعر يوما من أيام حياتی بلذة لا تفوقها لذة الا فی الأيام التی قضيتها فی بلاد العربية السعيدة بالرغم من عدم وجود أی نوع من أنواع التسلية وبالرغم من وجودی بعيداً عن أهلی ووطنی ولو خيرت اليوم بالذهاب فی رحـلة الى أمريكا أو أوربا لفضلت الذهاب الى صنعاء علی الجميع فصنعاء فيها البساطة والصدق والأمانة والحرية والاستقلال ونحوها مشبع بالتقی والطهر والعفاف والتمسك بشريعة الله والمحافظة على سنة الرسول ﷺ بخلاف أجواء أمريكا وأوربا الموبوءة بجميع أنواع الأوبئة القتالة من نحس وكذب وزندقة وتجديف وكفر و و

وصلنا الى الدريجة بدون عناء لسهولة الطريق والدريجة قرية صغيرة حقيرة وهی أول قری سلطان الحواشب احدی المحميات التسع ويدعى سلطانها محسن بن علی بن مانع وجلسنا فی سمسرة صغيرة تناولنا فيها شيئاً من الشای واسترحنا قليلا ثم تابعنا سيرنا الى السيمير وهی عاصمة الحواشب ومررنا بطريقنا بقرية صغيرة تدعى الملحة فلم نقف بها بل تابعنا سيرنا وكان عددنا يأخذ بالازدياد شيئاً فشيئاً وفی هذه البلاد يشعر

المرء بالخوف من التشليح ولذلك تسير القوافل مجتمعة لتزداد قوة وتسير فى النهار فقط ولا يجسر أحد على السير فى الليل خشية التشليح وعند ما خرجنا من ماوية كنا نفراً نعد على الأصابع ولكن لما وصلنا الى السيمير بلغنا اكثر من مائة شخص وقد تحدثت الى بعض الرفاق الجدد الذين انضموا الينا فى الطريق وكان بعضهم آتياً من بلاد المشرق كما يقولون أى من بلاد سبا ومارب وكانوا يحملون معهم كثيراً من العاديات والدراهم القديمة والتماثيل المصنوعة من المرمر فى أيام حميروهم يحملون هذه الاشياء الى عدن ليبيعوها فى أسواقها ويا حبذا لو كان صاحب الجلالة الامام يحيى يهتم بهذه العاديات ويمنع اخراجها من اليمن بصورة قطعية ويؤسس معرضاً فى صنعاء يجمع فيه كل ما تصل اليه يده من هذه الأنتيكات التى لاتقدر بثمن لو حفظت وضمت بعضها الى بعض فيتألف منها مجموعة نفيسة لامثيل لها فى العالم

حديث مع السلطان محسن بن على

عشى مع الذى يملأ كفنا قروشاً ! !

قبل أن نصل الى السيمير بنزهة وجيزة قابلنا السلطان محسن بن على بن مانع مع حاشيته المؤلفة من ابن عمه وهو شاب وعمه وهو رجل فى مقتبل الشباب تدل هيئته على أنه من أصل زنجى وبعض الرجال من أبناء عشيرته ولما رآنا السلطان ترجل عن « صهوة » فرسه وأقبل نحونا فترجلنا نحن أيضاً وسرنا نحوه وحييناه بقولنا السلام عليكم فأجاب وعليكم السلام والرحمة والاكرام ومد يده مصافحاً على الطريقة العربية فصافحناه وقلنا له اننا مسرورون برؤيته فقال علمت أنكم آتون الينا من قافلة مرت بنا اليوم فجئت لاستقبالكم ، فأهلا وسهلا بكم ، فشكرناه على هذا اللطف وأبدينا أسفنا لتجشمه هذه المشقة فى سبيلنا فقال أنتم ضيوفنا وإكرامكم فرض واجب علينا ، هيا تفضلوا امتطوا هذا الجواد واشار الى جواده فرفضت ذلك فأصر على كل الاصرار الى أن امتطيت الجواد وامتطى حضرته جواد أحد أتباعه وسرنا نحو السيمير فى هذا الموكب السلطانى العظيم ! فاستقبلنا أهل السيمير خارج القرية ثم

مشوا أمامنا الى أن وصلنا الى دار السلطان وهى دار متوسطة الحجم ومبنية من الحجر والطين كدور اليمن فدخلناها دخول الفاتحين وصعدنا فى سلم حجرى الى الدور الثانى حيث قدموا لنا الشاهى والقشر وما كدنا ننتهى من شرب القشر (أى قشر البن) حتى تركنا السلطان وانصرف قائلا ربما تريدون أن ترتاحوا قليلا الآن وسنعود اليكم بعد الاستراحة ان شاء الله شكرنا هذا السلطان الديمقراطى اللطيف على حسن وفادته وكرمه ولطفه وودعناه حتى أول الدرج فأصر علينا بالرجوع فرجعنا الى غرفتنا ونحن نفكر بدماثة أخلاق هذا الشاب الذى لم يتجاوز سنه السبعة عشر ربيعا والذى يطلق عليه اسم سلطان وهو عارى الجسد ماخلا مئزرا يستر به نفسه وعمـامة ملونة يضعها فوق رأسه وهكذا كان حال عمه وحاشيته فجميعهم كانوا عراة الأجسام ماخلا المـآزر وكان معظمهم يحملون البنادق اليونانية القديمـة ويسميها العرب عندنا (نام اصبع) وأما صحة هؤلاء الناس وقوتهم فحدث عنها ولاحرج فهم بالرغم من الحرارة الشديدة وبالرغم من قربهم لخط الاستواء يتجولون تحت أشعة الشمس المحرقة ولا يصـابون بضربة الشمس أو غيرها من الأمراض ، ولا يوجد فى أية ناحية من النواحى التسع المحمية لادواء ولا طبيب ولامدرسة ولا مكتب ولا هم يحزنون وفى الليل أتانا السلطان محسن وعقيب وصوله جلبوا لنا العشاء فأكلنا واياه وبعض خاصته الذين أتوا فى معيته وقضينا سهرتنا سوية وتحدثت الى السلطان الشاب بأحاديث كثيرة هذه خلاصتها

(س) كم عدد سكان سلطنتكم ؟

(ج) لا أعلم لأننا لانحصى النفوس

(س) كم مقاتلا يمكنكم أن تجندوا ؟

(ج) جميع القبائل يمكن تجنيدها عند الحاجة

(س) وكم عدد رجال هذه القبائل الممكن تجنيدها ؟

(ج) عندنا نحو عشرة أو خمسة عشر ألف مقاتل

(س) هل يوجد عندكم جيش نظامى ؟

(ج) لا يوجد عندنا جيش نظامى بل كل الناس جيش وقت الحرب

(س) لمـادا تسمحون لرعيتـكم وأساعكم أن يحلوا بالأمن ويسلبوا القوافل فى الطرقات ؟

(ح) نحن لا نسمح لهم ولكن بعض الأشقياء يقومون بهده الأعمـال ومتى عرفناهم نؤدبهم

(س) كيف أنتم والانـكلير ؟

(ح) الانـكلير أصحاب أبينا من قبلنا ونحن واياهم أصحاب وهم يدفعون لنا معاشاً كل شهر وادا دهبنا الى عدن يطلقون المدافع حين وصولنا ودلك للترحيب بنا !

(س) كيف حالـكم مع الامام ؟

(ح) حالنا حسنة لا أخد ولا عطاء نحن فى أرضنا وعمال الامام فى أرضه فادا تجاوزوا على حدودنا نحاربهم ، والله نحاربهم حتى نفنى جميعنا

(س) هل يجوز لـكم وأنتم مسلمون أن تحاربوا اخوانكم المسلمين ؟ ألا تخافون الله ومن يوم الله !

(ح) والله نخاف من الله ومن يومه ولـكن عمال الامام قوم ظلام لا يخافون الله ونحن لا نريد أن نعاملهم بشىء ؟

(س) هل تعرفون الامام وهل زرتم صنعاء ؟

(ح) كلا لا نعرف صنعاء ولا زرنا الامام ولـكننا سمعنا الشىء الـكثير من أصدقاء الامام ومن اعدائه والـكل مجمعون على انه رجل متدين وطيب القلب ويحب الرعية ولـكن عماله ليسوا مثله فلو كان عماله مثله لـكنا تفاهمنا نحن واياهم

(س) الا تفضلون عمال الامام العرب المسلمين على الاجانب الانكلير ؟

(ح) نحن لا نفضل واحدا على واحد وقد عقد آباؤنا مع الانكلير اتفاقات وما دام الانكلير محافظين على هده الاتفاقات فنحن معهم

(س) وادا اتفق الامام معكم الا ترغبون أن تتفقوا معه وهو أفضل من الانكلير ؟

(ح) والله نتفق معه ونحارب الانكلير أيضاً لأننا لسنا قبيلة أحد وليس علينـا سلطان فمن يملأ كفنا قروشا فهو سلطاننا الحقيق

(س) اذا دفع لكم الامام قروشا فهل تخضعون له ؟

(ح) نعم نخضع له ولكن بشرطين أولا ان لا يطلب منا رهينة وثانيا اذا ابينا الخضوع يجب أن يطلقوا حين وصولنا مدافع

(س) هل تتقنون الكتابة والقراءة ؟

(ح) كلا ! لانكتب ولا نقرأ

(س) كم لكم من العمر ؟

(ح) لا نعلم !

(س) هل يوجد عندكم مدارس ؟

(ح) كلا لا يوجد

(س) هل يوجد فى المساجد أئمة تعلم الطلبة ؟

(ح) نعم يوجد فى كل مسجد امام يعلم « الجهال » أى الاطفال القراءة والكتابة



امام اليمن يقول

أفضل أن آكل أنا وشعبي القصب
على أن أرى أجنبياً واحداً في هذه البلاد !

سألني السلطان أسئلة كثيرة عن الامام وعلاقاته بالانكليز فقلت له ان الامام لا يعترف بسلطة الانكليز في اليمن وفي المحميات (حتى عدن) ويعتبر عدن جزءاً من اليمن اقتطعه الانكليز من اليمن بدون حق وهو يرقب الفرص لكي يستعيد عدن وجميع المحميات، فقال ذلك صعب جدا ولا يمكن للامام أن يقاتل « الصاحب » أي الانكليز لان الصاحب عنده طيارات وقروش وجميع رجال القبائل تمشي معه من أجل قروشه وتقاتل الامام ورجاله ثم سألني من أي بلاد أنت وما هو أصلي ؟ فرويت له قصتي وقصة بلادي باختصار فتعجب كثيرا وكاد لا يصدق ما يسمع ثم قال وهل تريد أن تبقى في عدن ؟ فقلت كلا سأقضي بضعة ايام الى أن أجد سفينة الى نيويورك فأسافر عليها فقال لا شك انك ستقابل « الصاحب » في عدن أي حاكم عدن الانكليزي فقلت ربما اقابله فقال سوف يسألك عني بدون شك فالرجاء أن تحسن الشهادة لي فقلت ان شاء الله

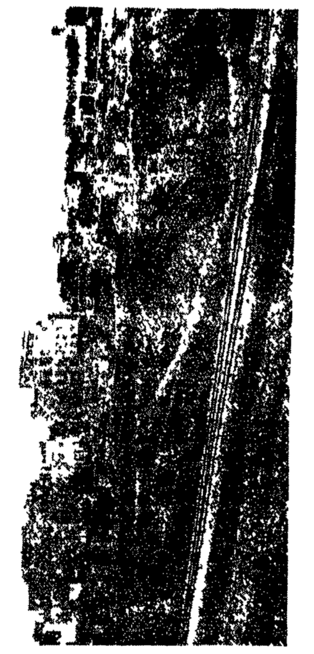
وبعد هذا الحديث ترك لي السلطان مرفقي وذهب الى دار الحريم فنهضت من مقعدي وذهبت الى الفراش لانام فلم أتمكن أولا من شدة الحر وثانياً لهجوم البق عليّ هجوماً عنيفاً فحملت فراشي وصعدت الى السطح ووضعته هنالك وأردت أن أنام فلم أتمكن من النوم أيضاً لشدة الحر وصرت أفكر في السلطان محسن وأضرابه من سلاطين المحميات وهم ليسوا في الحقيقة الا شيوخ قبائل شقهم الانكليز بعضهم على بعض وصاروا يستعملونهم مطايا لتنفيذ ارادتهم وغاياتهم فخضعوا لهم لصغر نفوسهم وجهلهم وطمعهم في المال ومر في ذهني وقتئذ قول جلالة الامام لي مرة بينما كنت أتحدث واياه

عن الاحباب تأكد يا ربيه بانى لو حاول الاحباب دخول اليمن لقاتلتهم الى أن نفنى عن آخرنا وانى أفضل أن آكل وشمى القصب (أى قصب الذره) مدى الحياة على أن أرى أجنبياً واحداً فى هذه البلاد

قضيت ليلتى على أسوأ حال ولم يذق جفنى الكرى وكنت تارة أراقب الدب الاكبر وطورا أبحث عن الدب الاصغر والثريا والميزان فى السماء ولما بزغ الفجر نزلت الى الدار فوجدت الجميع نياما وأبواب الدار مغلقة فعدت أدراجى الى السطح وصرت أترقب قيام السلطان أو أحد من حاشيته ولكن السلطان حفظه الله تأخر فى النوم الى مابعد طلوع الشمس ولم يجسر أحد من الخدم أن ينهض من فراشه لئلا يزعج السلطان وأخيرا سمعته ينادى بعض خدمه فانفرجت نفسى وراح الكرب عنى ونزلت فى الحال الى فناء الدار وطلبت الى أحدهم أن يفتح لى الباب ففتحه وخرجت الى القرية فاذا بها قرية حقيرة لا تزيد منازلها على العشرين منزلا مبنية من الطين والحجر وبعضها دوران وبعضها ثلاثة ادوار ولها جامع صغير لا يسع اكثر من خمسين شخصاً وبعد طواف قصير عدت الى الدار فوجدت السلطان فى انتظارى وبعد التحية والسلام جلسنا على الأرض فجلب لنا بعض الخدم الطعام فأكلنا وشربنا واستأذنت السلطان أن يسمح لى بالسفر فأذن بذلك وأمر لى بسيارته الخاصة ان تنقلنى الى لحج فشكرته على هذا اللطف وعندما امتطيت السيارة مع بعض الرفاق كحسين جاويش وغيره ذكرنى السلطان بلزوم الثناء عليه فى حضرة حاكم عدن فوعدته خيرا واشمأزت نفسى من هذا التكليف القبيح

سارت بنا السيارة من المسيمير تنهب الارض نهباً فجلت نفسى فى حلم اذ من البديهى أن يسر الانسان عند مايعود الى ركوب السيارات بعد سفر طويل شاق على البغال ولكن لم يطل - ويالاسف ! - سير سيارتنا بسرعة ، لأننا وصلنا الى نقيل وعر فوقفت سيارة السلطان فى النقيل واضطررنا الى أن ننزل منها وندفعها بأيدينا حتى وصلنا الى أعلى النقيل وبالرغم من قصر هذا النقيل فقد استمرت عملية الدفع معنا نحو ساعة من الزمن ولما بلغنا قمة النقيل امتطينا السيارة ثانية فاندفعت بنا الى الامام بسرعة زائدة وكانت طريقنا فى البدء تسير فى الجبال ثم هبطنا الى الوديان

والسهول ومررنا بقرى الحمدق والدكيم وشاهدنا فى أثناء الطريق حقولا مغروسة درة ورأينا ينابيع صغيرة من الماء تنبع فى بعض الوديان وتسير مسافة قليلة ثم تغور فى جوف الأرض ثانية وفى الدكيم رأينا خطوطاً امرائية مدها الانكليز أيام حربهم مع الترك وسرنا الى حاسما الى أن وصلنا الى الشقعة ويوجد فى الشقعة معسكر للبريطانيين وشاهدت فى وادى الشقعة شيئا كثيرا من الموز والنخيل والدرة وبعض الاشجار المثمرة وغير المثمرة وجميعها يسقى من ماء يجرى اليها من السيمير



بلد لحج وبها قصر السلطان

وصلنا الى لحج فى ساعتين ونصف ساعة ولحج هى أكبر المحميات التسع وأعظمها واجتزنا جميع أراضيها فى ساعتين ونصف ساعة

ضحكت من هذه السلطنات أو المحميات التى يجتازها الانسان بالسيارة فى بضع ساعات وتذكرت فى نفس الوقت الدول المشمولة بالانتداب الفرنسوى فى سورية وقهقهت من الضحك لما مر هذا الخاطر ببالى فسألنى الرفيق حسين جاويش ماذا أضحكك فقصصت عليه قصة الدول المشمولة بالانتداب الانكليزى والفرنساوى فكاد يغمى عليه هو أيضاً من كثرة الضحك

ذهب سائق سيارتنا فى لحج الى سراى السلطان وكان يحمل للسلطان كتابا من سيفه سلطان السيمير فطال غيابه كثيرا وأخيرا أتى وعلامات الغضب بادية على وجهه فقلت له ما أغضبك ياصاحبى فقال ان السلطان محسنا بعث بكتاب الى سيفه سلطان لحج السلطان عبد الكريم آل فضل يطلب فيه منه أن يدفع لى (أى للسائق) مبلغ ١٥ ريالا لكى ابتاع ترساً لأحل عودتى الى السيمير ولكن السلطان عبد الكريم رفض أن يدفع لى شيئاً فقلت لا بأس ياصاحبى انت أوصلتنا الى هنا وصار من الواجب علينا أن نقوم نحن بشراء الترس لك ودفعته فى الحال مبلغاً من المال لشراء الترس وشراء هدية صغيرة للسلطان محسن وودعناه وانصرفنا

وصفنا جانبا فى سمسرة كبيرة وطفنا قليلا فى البلاد ومررنا بسراى السلطان وهى جميلة وكبيرة وبناؤها متقن وطفنا فى الأسواق فوجدناها نظيفة ومرتبة وفيها بضائع أجنبية ومحصولات وطنية، ولحج هى أكبر المحميات التسع وتدعى عاصمتها الحوطة وعدد سكانها نحو ٣٥٠ الف نفس ومساحتها ثلاثة آلاف الى أربعة آلاف كيلو متر مربع وأهم بلدانها الحوطة والشقراء ولحج وأبين وأنصاب والسيمير وحبان وأعظم قبائلها آل الفضل والعوالق واليوافع والمعادلة والحواشب والصبيحة وجميع سكانها من المسلمين ومعظمهم من الشوافع ، ويوجد أقليات ضئيلة من سائر المذاهب كالاحناف والجعفريين والاسماعيليين والزيود ، وأما حاصلات لحج فالحبوب بانواعها والجلود والبن ، ولكن حاصلاتها لا تقوم بنفقات حكومتها وسلاطينها ولذلك تتناول

سلاطين لحج وسلاطين جميع المحميات مشاهرات من البريطانيين وتبلغ مشاهرة سلطان لحج نحو ٣٥٠٠ روبية وهى أكبر مشاهرة يدفعها الانكليز للسلاطين وتبلغ أقل مشاهرة نحو اربعمائة روبية يتناولها سلطان الصالح وأما بقية المحميات فهى الصبيحة والعوالق والواحدى والعوازل واليوافع والعلوى والقطيبى والحواشب

ولهذه القبائل والبلاد شيوخ كثيرون كل شيخ يعتبر نفسه سلطاناً ولا يخضع لنفوذ أكبر منه من المشايخ أو السلاطين بل يخضع رأساً لسلطان الجميع وهو حاكم عدن الانكليزى ويتناول منه مشاهرة فى رأس كل شهر وينفذ أوامره حسب مشيئته والا يكون عرضة للاسقاط وقطع الراتب وهذا مما جعل هؤلاء السلاطين يضيعون عزة أنفسهم وشممهم وصاروا عبيدا اذلاء للاجنبى يستعملهم لتنفيذ غاياته ويسلط بعضهم على بعض ويدس بينهم الدسائس حتى لا تجتمع لهم كلمة ولا يطلبون متحدين أى طلب .

بعد أن أتممت طوافى فى مدينة لحج أخذت سيارة الى عدن فوصلت اليها فى نحو ساعتين من الزمن وذهبت توا الى فندق « كراند اوتيل » واضطررت أن انتظر فى عدن ثلاثة أيام حتى وجدت سفينة تنقلنى الى بور توفيق

ومنها عدت رأساً الى القاهرة براً عن طريق السيارات

الخاتمة

نصح وتحـــــذير

أرى من واجبي الوطني والديني – كرجل مسلم عربي – أن ألفت نظر حضرة صاحب الجلالة الامام يحيى حميد الدين ورجاله الافذاذ وشعبه الكريم الى المطامع الأجنبية في اليمن، فقد لاحظت في رحلاتي المتعددة في داخل اليمن وخارجه أن انظار بعض الدول الاستعمارية متجهة نحو هذا القطر السعيد أولا لمركزه الجغرافي الحاكم على البحر الأحمر وبوغاز باب المندب وعدن، وثانيا لثروته الزراعية والصناعية وأظن أن معظم اهل اليمن يجهلون أساليب الاستعمار والمستعمرين لأنهم لم يشاهدوه ولا ابتلوا به –ولله الحمد– كما شاهدناه نحن الذين نشأنا وتربينا في مهده منذ نعومة أظفارنا واني أذكر على سبيل التمثيل أن الدول الاستعمارية حينما تطمع في قطر من الأقطار تبدأ بارسال جنودها الكشافة لتمهيد الطريق باسم الانسانية والشفقة والرحمة والدين، أي أنها ترسل بعثا من الأطباء وتبنى مستشفيات حبا في المحافظة على الصحة العامة ! ! الخ، ثم تبعث بالمبشرين والمعلمين فيبنون مدارس وكنائس ويبدأون بنشر سمومهم بين الناس على اختلاف طبقاتهم غيرة على الدين ونشر التعليم !! هذه هي أول فتوح الاستعمار وهؤلاء هم طلائعه، ومتى تأسست المدارس والكنائس والمستشفيات يصير للدولة صاحبة الشأن الحق في المحافظة عليها وعلى رعاياها فكلما بدرت بادرة في البلاد ترى هذه الدولة تتدخل في الامر تحت ستار المحافظة على أرواح رعاياها واموالهم ومؤسساتهم . وانا لا انكر أن اليمن في الوقت الحاضر خلو من هذه البعثات الا أنه ليس خلوا من بعض رجال الأجانب وأذنابهم المندسين في الحديدة وصنعاء تحت أسماء مختلفة وغايات متباينة فالى هؤلاء الناس ألفت نظر حضرة صاحب الجلالة الامام لأنهم هم طلائع المستعمرين في بلاده

هذه هي نصيحتي لحضرة صاحب الجلاله الامام وأما نصيحتي الى كتاب العرب وصحافتهم فهي أن لا يؤخذوا بالدعايات والاخبار التي تنشر عن اليمن بين حين وآخر لأن معظمها لا بل كلها مستقاه من الأجانب وأذنابهم الذين يكيدون لهذه البلاد ويشوهون سمعتها لشيء في نفوسهم ويعلم الله أني ما قصدت من تحرير هذه الرحلة الا الخدمة العامة والله من وراء القصد ؟؟